سُورَةُ هُودٍ

مكية وآياتها ثلاث وعشرون ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾

اللغـــة :

(احمكت آياته) : نظمت نظماً رصيناً محكماً لا يعتوره نقض ولا خلل كأنه البناء المحكم المرصف ويجوز أن يكون نقلاً بالهمزة من حكم بضم الكاف أي صار حكيماً وقيل معناه منعت من الفساد

من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت فيها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

وقد تقدم بحث مسهب عن الحكمة في القرآن وسيرد المزيد منها أيضاً •

الاعراب :

(ألر ، كتاب أحكمت آياته) الر تقدم القول فيها وكتاب خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب وجملة أحكمت آياته صفة لكتاب وآياته نائب فاعل • (ثم فصلت من لدن حكيم خبير) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وفصت فعل ماض مبني للمجهول ومن حرف جر ولدن ظرف مبني على السكون في محل جر وهما متعلقان بفصلت أو بمحذوف صفة لكتاب وهذا أولى لأنه وصف أولاً بإحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ثم وصف بهذه الصفة الدالة على علو شأنه من حيث الاضافة ، وحكيم مضاف الى لدن وخبير صفة لحكيم • (أن لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير) يجوز أن تكون أن مخففة من الثقيلة و اسمها ضمير الشأن ولا ناهية وتعبدوا مجزوم بلا والجملة خبر أن المخففة، ويجوز أن تكون أن حرفاً مصدرياً ناصباً ولا نافية والفعل بعدها منصوب بأن وأن ومافي حيزها مفعول لأجله بتقدير اللام على معنى لئلا تعبدوا ويجوز أن تكون تفسيرية لأن في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل : قال لا تعبدوا إلا الله أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله ولعل هذا أسهل من الوجهين السابقين وإن كانت

الأوجــه الثلاثة متساوية في الرجحان ، وإلا أداة حصر ولفظ الجلالة مفعول به وإن واسمها ونون الوقاية بينهما ولكم جار ومجرور متعلقان بنذير وبشير ومنه حال ونذير خبر إن وبشير عطف على نذير • (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه)الواو عاطفة وأن معطوفة على أن الأولى عطف علة عــلى أخرى وتجري مجراها في الاعراب وربكــم مفعول استغفروا ثم حرف عطف وتوبوا عطف على أن استغفروا فهو علة ثالثة وقال الزمخشري : ويجوز أن يكون « وأن استغفروا » وما بعــده كلاماً مبتدأً منقطعاً عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم إغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله : إنني لكــم منه نذير وبشير • (يمتعكم متاعاً حسناً الى أجل مسمى) يمتعكم فعل مضارع مجزوم لأنهجواب الطلب وهو قوله إن استغفروا ربكم والكاف مفعول به ومتاعاً مفعول مطلق وحسناً صفة والى أجل متعلقان بيمتعكم ومسمى صفة لأجل • (ويؤت كل ذي فضل فضله) الواو عاطفة ويؤت عطف على يمتعكم مجزوم مثله وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل هو أي الله وكــل مفعول به أول وذي فضل مضاف اليــه وفضله مفعول به ثان • (وان تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) الواو عاطفة وإن شرطية وتولوا فعل مضارع أصله تتولوا مجزوم لأنه فعل الشرط والواو فاعل والفاء رابطة وان واسمها وجملة أخاف عليكم خبر إن وجملة فإني أخاف عليكم في محل جزم جواب الشرط وعذاب مفعول به ويوم مضاف اليه وكبير صفة ليوم ويوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل • (إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير) الى الله خبر مقدم ومرجعكم مبتــدأ مؤخر وهو مبتدأ وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بقدير وقدير خبر هو •

أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ * وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾

اللغـــة :

(يثنون) : الثني : العطف تقول ثنيته عن كذا أي عطفته ومنه الاثنان لعطف أحدهما على الآخر في المعنى ومنه الثناء لعطف المناقب في المدح ومنه الاستثناء لأنه عطف عليه بالاخراج منه ، وأصل يثنون يثنيون لأنه من باب يرمي فالمصدر الثني نقلت ضمة الياء الى النون قبلها ثم حذفت لالتقاء الساكنين فوزنه يفعون لأن الياء المحذوفة هي لام الكلمة

وقال الزمخشري : يثنون عنه : يزورون عن الحق وينحرفون عنه لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه •

(ليستخفوا) : الاستخفاء : طلب خفاء الشيء يقال استخفى وتخفّى •

(يستغشون) : يطلبون الغطاء قالت الخنساء •

أرعى النجوم وما كلفت رعيتها وتارة أتغشّى فضل اطماري

وفي القاموس : واستغشى ثوبه تغطّى به كيلا يسمع ولا يرى •

(الدابة) : الحي الذي من شأنه أن يدب ، وقد صار في العرف مختصاً بنوع من الحيوان ، وفي المصباح : دب الصغير يدّب من باب ضرب ، اذا مشى ودب الجيش دبيباً سار سيراً ليناً ، وكل حيوان في الأرض دابة •

الاعراب :

(ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه) ألا أداة استفتاح وتنبيه وإن واسمها وجملة يثنون صدورهم خبرها واللام للتعليل ويستخفوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام • (ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) ألا تأكيد للتنبيه وحين ظرف والعامل فيه مقدر وهو يستخفون ويجوز أن يكون ظرفاً ليعلم أي ألا يعلم سرهم وعلنهم حين يفعلون كذا وجملة يستغشون مضافة للظرف وثيابهم منصوب بنزع الخافض ويعلم فعل مضارع وفاعله هو الله وما مفعول به وجملة يسرون صلة وما يعلنون عطف عليه • (إنه

عليم بذات الصدور) إن واسمها وخبرها وبذات الصدور متعلقـان بعليم • (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان كونه تعالى محيطاً بجميع الكائنات عالماً بكل ما هب ودب، وما نافية ومن زائدة ودابة مبتدأ محـلاً مجرور بمن لفظاً وإلا أداة حصر وعلى الله خبر مقدم ورزقها مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر دابة • (ويعلم مستقرها ومستودعها) الواو حرف عطف ويعلم فعل مضارع وفاعله هو ومستقرها مفعول يعلـم ومستودعها عطف عـلى مستقرها وهما اسما مكان أي يعلـم مواضع استقرارها ومساكنهـا ومواطن استيداعها من صلب أو رحم أو بيضة • (كل في كتاب مبين) كل مبتدأ وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم أي كل واحد من الدواب وستأتي أحكام « كل » في باب الفوائد ، وفي كتاب خبر ومبين صفة • (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) الواو عاطفة وهو مبتدأ والذي خبر وجملة خلق السموات والارض صلة وفي ستة أيام متعلقان بخلق • (وكان عرشه على الماء) كان واسمها وعلى الماء خبرها وفي الصورة تجسيد للاحاطة • (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) اللام للتعليل ويبلوكم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ولام التعليل الجارة ومدخولها متعلقان بخلق وأيكـم مبتدأ وأحسن خبر وعملاً تمييز والجملة في محل نصب معمولة ليبلوكم وعلق عنها بأي الاستفهامية ، وقد أحسن الزمخشري في تقريره إذ قال : « فإن قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى ؟ قلت لما في الاختبار من معنى العلم لأنه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر أيهم أحسن وجهاً واستمع أيهم أحسن صوتاً لأن النظر والاستماع من طرق العلم • (ولئن قلت إنكـم مبعوثون من بعـد الموت)الواو عاطفة والـلام موطئة للقسم ولا يجوز أن تكون للابتداء لأنها دخلت على إن التي هي للجزاء ولام

الابتداء من خصائص الاسم أو ما يضارع الاسم وإن حرف شرط جازم وقلت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وإن واسمها ومبعوثون خبرها ومن بعد الموت متعلقان بمبعوثون • (ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) اللام جواب القسم وجواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم لأنه إذا جاء في صدر الكلام غلب عليه وقد تقدم ذلك ، ويقولن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم كما تقدم وإن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وسحر خبر ومبين صفة وسيأتي بحث اللام وأقسامها في باب الفوائد • (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة) لئن عطف على ما تقدم وقد تقدم إعراب لئن وعنهم متعلقان بأخرنا والعذاب مفعول به وإلى أمة متعلقان بأخرنا والمرادبالأمة الطائفة من الأزمنة وهي في الأصل للطائفة من الناس ومعدودة صفة الأمة • (ليقولن ما يحبسه) اللام جواب القسم ويقولن فعل مضارع مرفوع لأنه مفصول عن نون التوكيد بفاصل وهو واو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين والأصل ليقولونن حذفت إحدى النونات لتوالي الأمثال وحذفت الواو لالتقاء الساكنين والضمة على اللام دليل عليها وقد تقدم تحقيق ذلك وأعدناه للتذكير وما اسم استفهام مبتدأ وجملة يحبسه خبر والاستفهام للانكار والاستهزاء والسخرية حسب اعتقادهم • (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم) ألا أداة استفهام وتنبيه وهي داخلة على ليس في المعنى ويوم يأتيهم نصب على الظرف وهو معمول لخبر ليس واسمها مستتر فيها يعود على العذاب ومصروفاً خبر ليس وعنهم جار ومجرور متعلقان بمصروفاً وستأتي الاشارة إلى جواز تقديم خبر ليس عليها في باب الفوائد • (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) الواو عاطفة وجملة حاق عطف على جملة ليس فهو في حيز ألا وبهم متعلقان

بحاق وما فاعل حاق وجملة كانوا صلة والواو اسم كان وبه متعلقان بيستهزئون وجملة يستهزئون خبر كانوا •

الفوائـد :

١ ـ (كل) اسم موضوع لاستغراق أفراد المتعدد أو لعموم أجزاء الواحد ولا تستعمل إلا مضافة لفظاً أو تقديراً وتفيد التكرار بدخول ما المصدرية الظرفيّة عليها نحو كلما أتاك أكرمه وقد تقدم في كلما عند قوله « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً » وأنها منصوبة على الظرفية باتفاق وناصبها الفعل الذي هو جواب في المعنى والجملة بعدها لا محل لها لانها صلة موصول حرفي وتكون « كل » نعتاً لنكرة أو معرفة فتدل على أنه كامل بلغ الغاية فيما تصفه به نحو هو العالم كل العالم وتكون توكيداً لمعرفة أو نكرة نحو « فسجد الملائكة كلهم » واقمنا حولاً كاملاً كله ولفظة كل حكمها الافراد والتذكير ومعناها بحسب ما تضاف اليه فإن أضيف إلى مذكر وجب مراعاة معناها وجاء الضمير بعدها مفرداً مذكراً « وكل شيء فعلوه في الزبر » أو مفرداً مؤنثاً نحو « كل نفس ذائقة الموت » أو مثنى كقول الفرزدق :

وكل رفيقي كل رحل وإن هما تعاطى القنـا قوماهما اخوان

ولابن هشام تعسف وخبط في إعراب هذا البيت نكتفي بالاشارة إليه ليرجع اليه من شاء في مغني اللبيب •

أو مجموعاً مذكراً كقول لبيد :

وكل اناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الانامل

أو مجموعاً مؤنثاً كقول الآخر :

وكل مصيبات الزمان وجدتها سوى فرقة الاحباب هينة الخطب

وإن أضيفت إلى معرفة جاز مراعاة لفظها ومراعاة معناها فيقال : كل القوم حضر وكل القوم حضروا وإن قطعت عن الاضافة لفظاً فقيل تجوز مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى نحو كل" حضر وكل" حضروا وقيل إذا كان المقدر مفرداً نكرة فيجب الإفراد وان كان جمعاً معرفاً فيجب الجمع والتنوين في المنقطعة عن الإضافة لفظاً عوض عن المضاف اليه والتقدير في المثال الأول كل أحد وفي الثاني كلهم وإن وقعت كل بعد النفي ثابتاً لبعض الأفراد نحو ما جاء كل القوم وإن وقع النفي بعدها ثبت لكل فرد نحو كلهم لم يقوموا ولا تدخلها أل إلا اذا كانت عوضاً عن المضاف اليه أو أريد لفظها كما يقال الكل لاحاطة الأفراد .

٢ ــ اللام : اللام على ثلاثة أقسام : عاملة للجر وعاملة للجزم وغير عاملة .

وأقسامها :

أ ــ اللام الجارة : تكون مكسورة مع الاسم الظاهر نحو لزيد إلا مع المستغاث المباشر لـ « يا » فهي مفتوحة نحو يا لله وتكون مفتوحة مع الضمير إلا مع الياء فهي مكسورة نحو لَكَ ولِي .

واللام الجارة قسمان :

آ ــ اللام الداخلة على الاسم ولها معان كثيرة مذكورة في كتب النحو المطولة وأشهرها الاختصاص نحو « الجنة للمؤمن » والاستحقاق نحو « العزة لله » والملك نحو « لله ما في السموات وما في الأرض » والتبليغ نحو « قلت له » والتعدية نحو « ما أشد حب زيد لعمرو » والقسم نحو « لله لأفعلن هذا » أي والله والصيرورة نحو « ولد

الانسان لحياة أبدية » وتأتي أيضاً بمعنى الى وعلى وعند وفي وبعد ، وقد تكون زائدة نحو ضربت لزيد .

ب ــ أما اللام الداخلة على الفعل فإن الفعل بعدها ينصب بأن المصدرية مضمرة وتكون أن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور باللام وهذه تكون إما للتعليل نحو « جئتك لتعلمني » وإما للصيرورة نحو « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً » وأما لتوكيد النفي وهي المسبوقة بكون منفي وتسمى لام الجحود نحو ما كان زيد ليكذب .

٢ً ــ اللام الجازمة : وهي لام الأمر وتسمى لام الطلب وتكون مكسورة نحو « لينفق ذو سعة من سعته » وقد تفتح ، واسكانها بعد الفاء والواو أكثر من تحريكها نحو « فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي » وقد تسكن بعد ثم نحو « ثم ليقض » .

٣ً ــ غير العاملة : وتكون مفتوحة أبداً وهي :

آ ــ لام الابتداء نحو « لَزيد قائم » و« إن زيداً لقائم » وتسمى بعد إن : اللام المزحلقة .

ب ــ لام الجواب بعد لو ولولا والقسم نحو « لو عدتم لعدنا » و « لولا زيد لهلكنا » و « والله لزيد كريم » .

جـ ــ اللام الزائدة كما في قوله « أراك لشاتمي » .

د ــ لام البعد اللاحقة لأسماء الاشارة وأصلها السكون كما في تلك وإنما كسرت مع ذلك لالتقاء الساكنين .

٣ ــ ليس واسمها وخبرها :

تختص ليس من بين أخوات كان بأمور :

١ ــ ليس فعل لا يتصرف بحال لأنها وضعت موضع الحرف في أنها لا يفهم معناها إلا مع متعلقها .

٢ ــ لا يجوز أن يتقدم خبرها عليها عند جمهور النحاة وأجازه بعضهم من قدماء البصريين والفراء وابن برهان والزمخشري من المتأخرين بقوله تعالى « ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم » وتقرير الحجة منه أن يوم يأتيهم معمول لمصروفاً وقد تقدم على ليس وتقديم المعمول لا يصح إلا حيث يصح تقديم عامله فلولا أن الخبر وهو مصروفاً يجوز تقديمه على ليس لما جاز تقديم معموله عليها وأجيب بأن المعمول ظرف فيتسع فيه مالا يتسع في غيره أو بأن يوم معمول المحذوف تقديره يعرفون يوم يأتيهم ، وليس مصروفاً جملة حالية مؤكدة أو مستأنفة وقال أبو حيان « وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله إلا ما دل عليه ظاهر الآية ».

٤ ــ تعقيب لابن هشام على الزمخشري في تعليقه على قوله تعالى : « ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » وقد اضطرب كلام الزمخشري ثم أورد ما نقلناه عنه وقال : « ولم أقف على تعليق النظر البصري والاستماع إلا من جهته » .

وذكر الرضي أن أفعال الحواس تعلق لأنها طرق للعلم وقال عبد القادر البغدادي في شرح شواهده على الكافية : إن كتاب الرضي لم ينقل للقاهرة إلا بعد موت ابن هشام فكذلك قال ولم أقف الخ ...

وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾

الاعراب :

(ولئن أذقنا الانسان منا رحمة) تقدم القول في لئن وأذقنا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ونا فاعل والانسان مفعول به ومنّا حال لأنه كان في الأصل صفة لرحمة وتقدمت عليها ورحمة مفعول به ثان . (ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور) ثم حرف عطف للترتيب والتراخي ونزعناها فعل وفاعل ومفعول به ومنه جار ومجرور متعلقان بنزعناها وان واسمها واللام المزحلقة ويئوس خبر إن وكفور خبر ثان لإن . (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) تقدم اعراب مثيلتها وبعد ظرف متعلق بمحذوف صفة لنعماء وضراء مضاف اليه ومنع من الصرف لانتهائه بألف التأنيث الممدودة وجملة مسته صفة . (ليقولن ذهب السيئات عني) اللام جواب القسم وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم ويقولن فعل مضارع مبني على الفتح وجملة ذهب السيئات مقول القول وعني متعلقان بذهب . (إنه لفرح فخور) إن واسمها واللام المزحلقة وفرح خبر أول وفخور خبر ثان لإن . (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) إلا أداة

استثناء والذين مستثنى من الانسان لأن اللام فيه للجنس فهو متصل ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً إذ المراد شخص معين وعلى كل حال هو في محل نصب وجملة صبروا صلة وعملوا الصالحات معطوفة ، وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم ومغفرة مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر أولئك •

البلاغة :

١ ـ في الاذاقة استعارة مكنية لأنه في الأصل تناول الشيء بالفم لإدراك الطعام ثم استعير للذات تشبيهاً لها بما يذاق ثم يزول بسرعة كما تزول الطعوم •

٢ ـ بين النعماء والضراء طباق وجميع هذه الابحاث تقدم البحث فيها •

الفوائد :

السراء والنعماء والضراء قيل انها مصادر بمعنى المسرة والنعمة والمضرة والصواب انها أسماء للمصادر وليست أنفسها فالسراء الرخاء والنعماء النعمة والضراء الشدة فهي أسماء لهذه المعاني فإذا قلنا إنها مصادر كانت عبارة عن نفس الفعل الذي هو المعنى واذا كانت أسماء لها كانت عبارة عن المحصّل لهذه المعاني •

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

اللغة :

(ضائق) : اسم فاعل من ضاق وهو أولى بالآية من ضيق لوجهين أحدهما انه عارض وليس على جهة الثبوت وثانيهما أنه أشبه بتارك .

الاعراب :

(فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك) الفاء استئنافية . ولعل على بابها من الترجي بالنسبة للمخاطب وقيل هي للاستفهام الانكاري كقوله صلى الله عليه وسلم لعلنا أعجلناك وسيأتي القول في لعل في باب الفوائد ، والكاف اسمها وتارك خبرها وبعض مفعول به لتارك وما اسم موصول مضاف لبعض وجملة يوحى صلة واليك متعلقان بيوحى أو بمحذوف حال وضائق عطف على تارك وبه متعلقان بضائق وصدرك فاعل لضائق ويجوز أن يكون ضائق خبراً مقدماً وصدرك مبتدأ مؤخراً والجملة خبر ثان للعلك فيكون قد أخبر بخبرين أحدهما مفرد والثاني جملة عظفت على مفرد لأنها بمعناه . (أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) أن وما في حيزها

مصدر في موضع نصب مفعول من أجله أي مخافة قولهم وأعربه بعضهم بدلاً من الهاء في قوله وضائق به صدرك وليس ببعيد ولولا تحضيضية وأنزل فعل ماض مبني للمجهول وعليه جار ومجرور متعلقان به وكنز نائب فاعل ، أو حرف عطف وجاء فعل ماض ومعه ظرف متعلق بجاء وملك فاعل • (إنما أنت نذير والله عــلى كل شيء وكيل) إنما كافة ومكفوفة وأنت مبتدأ ونذير خبره والله مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بوكيل ووكيل خبر الله • (أم يقولون افتراه) أم منقطعــة بمعنى بل ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وجملة افتراه مقول القول وهو تقرير في صورة الاستفهــام والتقدير بــــل أيقولون افتراه • (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات)الفاء الفصيحة وأتوا فعل أمر وفاعل وبعشر متعلقان به وسور مضاف اليه ومثله صفة ، ومثل وان كانت بلفظ الافراد فانها يوصف بها المثنى والمجموع والمؤنث كقوله تعالى « أنؤمن لبشرين مثلنا » وتجوز المطابقة ، قال تعالى : « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون » • (وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) وادعوا عطف على فأتوا والواو فاعــل ومن مفعول به وجملة استطعتم صلة ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وإن شرطية وكنتم كان واسمها وهو فعل الشرط وصادقين خبر كنتم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فأتوا وادعوا • (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) الفاء عاطفة وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويستجيبوا مجزوم بلم وهو فعل الشرط والواو فاعل والضمير يعود على من استطعتم ولكم متعلقان بيستجيبوا والفاء رابطة واعلموا فعل أمر وفاعــل وأنما كافة ومكفوفة وقد سدت مع مدخولها مسد مفعولي اعلموا وأنزل فعل ماض مبني للمجهول وبعلم الله حال أي متلبساً بعلم الله فالباء للملابسة • (وأن لا إله إلا هو فهل

أنتم مسلمون) وأن الواو عاطفة وأن مخففة من الثقيلة وهي منسوقة على أن قبلها ولا إله إلا هو تقدم إعرابه مستوفى والفاء عاطفة وهل حرف استفهام وأنتم مبتدأ ومسلمون خبر •

الفوائد :

(لعل) هي للتوقع وعبر عنه قوم بالترجي في الشيء المحبوب نحو لعل الحبيب قادم وقوله تعالى « لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » والاشفاق في الشيء المكروه نحو « فلعلك باخع نفسك » أي قاتل نفسك والمعنى أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك فتوقع المحبوب يسمى ترجياً وتوقع المكروه يسمى إشفاقاً وقال الأخفش والكسائي : وتأتي لعل للتعليل نحو « افرغ من عملك لعلنا تتغدى » ومنه قوله تعالى : «لعله يتذكر » أي ليتذكر وقال الكوفيون تأتي لعل للاستفهام ، قال في المغني ولهذا علق به الفعل نحو « لاتدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » وقوله تعالى « وما يدريك لعله يزكى » وبعض العرب يجرون بها ويستشهدون على ذلك بقوله :

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة
لعـــل أبي المغـــوار منك قريب

إذا عرفت ما قرره النحاة فأي من معاني لعل ينطبق على الآية التي نحن بصددها ؟ إذا كانت للتوقع فتوقع ترك التبليغ لا يليق بمقام النبوة وأجابوا عن هذا الاعتراض بأننا لا نسلم أن لعل على بابها من الترجي بل هي هنا للتبعيد فانها تستعمل لذلك أيضاً وجواب آخر وهو أن

تكون هنا للاستفهام الانكاري كما تقدم والمعنى انك بلغ الجهد في تبليغهم انهم يتوقعون منك ترك التبليغ لبعضه وهو جميل جداً •

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

اللغـة :

(وزينتها) الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة، يقال زانه يزينه زينة وزيّنه يزينه تزييناً •

(نوف) : التوفية تأدية الحق على التمام •

(يبخسون) : البخس نقصان الحق وكل ظالم باخس وفي المثل « تحسبها حمقاء وهي باخس » •

الاعراب :

(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) من اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ واسم كان ضمير مستتر يعود على من وجملة يريد الحياة الدنيا خبر كان وكان فعل الشرط مجزوم محلاً وزينتها عطف على الحياة، ونوفّ جواب الشرط مجزوم بحذف حرف العلة واليهم جار ومجرور متعلقان بنوفّ وأعمالهم

مفعول به وفيها متعلقان بمحذوف حال وهم الواو حالية وهم مبتدأ وفيها متعلقان بيبخسون وجملة لا يبخسون خبر هم ، وقال الفراء : كان هنا زائدة وتقديره من يرد الحياة الدنيا ، وهو قول جميل وضعيف لولا أنه غير مطرد ولا يسوغ حمل القرآن عليه . (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار) اسم الاشارة مبتدأ والذين خبره وجملة ليس صلة ولهم خبر مقدم لليس وفي الآخرة حال وإلا أداة حصر والنار اسم ليس المؤخر . (وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) الواو عاطفة وحبط فعل ماض وما فاعله وجملة صنعوا صلة ويجوز أن تكون ما مصدرية وهي مع مدخولها في تأويل مصدر فاعل حبط ، وفيها متعلقان بصنعوا أو بحبط وباطل الواو عاطفة وباطل خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر ويجوز أن تكون ما مصدرية وهي مع مدخولها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر وكانوا كان واسمها وجملة يعملون خبرها .

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ
مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ
فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ
أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩) أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٢٢)

اللغة :

(البينة) : الحجة الفاصلة بين الحق والباطل .

(مرية) : المرية بالكسر والضم الشك ففيها لغتان أشهرهما الكسر وهي لغة أهل الحجاز والضم لغة بني أسد .

(لا جرم) : قال السيوطي في الاتقان : « وردتَ في القرآن في خمسة مواضع متلوة بأن واسمها ولم يجىء بعدها فعل واختلف فيها فقيل لا نافيه لما تقدم وقيل زائدة » .

هذا وفي هذه اللفظة خلاف طويل بين النحاة ويتلخص ذلك الخلاف فيما يلي :

الأول : ما ذهب اليه الخليل وسيبويه وهو انها مركبة من لا النافية وجرم ، بنيتا على تركيبهما تركيب خمسة عشر وصار معناهما معنى فعل وهو حق فعلى هذا يرتفع ما بعدهما بالفاعلية فقوله تعالى :

« لا جرم أن لهم النار » أي حق وثبت كون النار لهم أو استقرارها لهم .

الثاني : ان لا جرم بمنزلة لا رجل في كون لا نافية للجنس وجرم اسمها مبني على الفتح وهي واسمها في موضع رفع بالابتداء وما بعدهما خبر لا وصار معناها لا محالة ولا بد في أنهم في الآخرة أي في خسرانهم وهذا مذهب الفراء .

الثالث : ان لا نافية لكلام متقدم تكلم به الكفرة فرد الله عليهم ذلك بقوله لا ، كما ترد هذه قبل القسم في قوله « لا أقسم » ثم آتى بعدها بجملة فعلية وهي جرم أن لهم كذا وجرم فعل ماض معناه كسب وفاعله مستتر يعود على فعلهم المدلول عليه بسياق الكلام وأن وما في حيزها في موضع المفعول به لأن جرم يتعدى إذا كان بمعنى كسب وعلى هذا فالوقف على لا ثم يبتدأ بجرم بخلاف ما تقدم .

الرابع : ان معناها لا حد ولا منع ويكون جرم بمعنى القطع تقول : جرمت أي قطعت فيكون جرم اسم لا مبنياً معها على الفتح كما تقدم وخبرها أن وما في حيزها على حذف حرف الجر أي لا منع من خسرانهم .

وفي هذه اللفظة لغات : لا جرم بكسر الجيم ولا جرم بضمها ولا جر بحذف الميم ولا ذا جرم ولا ذو جرم وغير ذلك وعلى كل فإن هذا التعبير يستعمل في أمر يقطع عليه ولا يرتاب فيه .

الاعراب :

(أفمن كان على بينة من ربه) الهمزة للاستفهام التقريري والفاء

استئنافية ومن موصولية مبتدأ خبره محذوف تقديره كغيره أو كمن ليس كـذلك وجواب الاستفهام محذوف أيضاً تقديره : لا يستويان وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على من وعلى بينة خبرها ومن ربه صفة لبينة • (ويتلوه شاهد منه) الواو عاطفة ويتلوه شاهد فعل مضارع ومفعول به وفاعل ومنه صفة لشاهد • (ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة) الواو عاطفة أيضاً ومن قبله حال من كتاب موسى المعطوف على شاهد عطف المفردات ، هذا ما أعربه معظم المفسرين وأرى أن الحق مع البيضاوي الذي أعرب مـن قبله جاراً ومجروراً متعلقين بمحذوف خبر مقدم وكتاب موسى مبتدأ مؤخراً ففي هـذا الاعراب سلامة من المعاظلة الناشئة عن الفصل بين حرف العطف والمعطوف عليه وإماماً حال من كتاب موسى ورحمة عطف على إماماً • (أولئك يؤمنون به) أولئك مبتدأ وجملة يؤمنون به خبر • (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) الواو عاطفة ومن شرطية مبتدأ ويكفر فعل الشرط وبه متعلقان بيكفر ومن الاحزاب حال والفاء رابطة والنار مبتدأ وموعده خبر والجملة الاسمية جواب الشرط • وفي جعل النار موعداً إشعار بأن فيها مالا يحيط به الوصف من أفانين العذاب ، وقد تعلق حسان بأهداب هذا التعبير فقال :

أوردتموهـا حياض المـوت ضـاحية

فالنار موعدهـا والموت لا قيهـا

(فلا تك في مرية منه) الفاء الفصيحة ولا ناهية وتك فعل مضارع مجزوم وعـلامة جزمه السكون المقدرة على النون المحذوفة للتخفيف واسم تك مستتر تقديره أنت وفي مرية خبر ومنه صفة لمرية (إنه الحق

من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) إن واسمها والحق خبرها ومن ربك متعلقان بمحذوف حال والواو حالية ولكن واسمها والناس مضاف اليه وجملة لا يؤمنون خبر لكن . (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لذكر أوصافهم الأربعة عشر والتي أولها افتراء الكذب وآخرها كونهم في الآخرة أخسر من غيرهم ؛ ومن استفهامية مبتدأ والاستفهام هنا معناه النفي أي لا أحد أظلم وممن متعلقان بأظلم وجملةافترى صلة وعلى الله متعلقان بافترى وكذباً مفعول به . (أولئك يعرضون على ربهم) أولئك مبتدأ وجملة يعرضون خبره والواو نائب فاعل وعلى ربهم متعلقان بيعرضون . (ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) ويقول عطف على يعرضون والأشهاد فاعل وهؤلاء مبتدأ والذين خبره وجملة كذبوا على ربهم صلة الموصول وألا أداة تنبيه ولعنة الله مبتدأوعلى الظالمين خبر . (الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً) الذين بدل من الظالمين وجملة يصدون صلة وعن سبيل الله متعلقان بيصدون ويبغونها عطف على يصدون وهو فعل وفاعل ومفعول وعوجاً حال أي معوجة . (وهم بالآخرة هم كافرون) الواو عاطفة وهم مبتدأ وبالآخرة متعلقان بكافرون وهم الثانية تأكيد لهم الأولى وكافرون خبر « هم » الأولى . (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) أولئك مبتدأ وجملة لم يكونوا خبر ومعجزين خبر يكونوا وفي الأرض حال أي أنهم لا يخرجون عن قبضته على كل حال . (وما كان لهم من دون الله من أولياء) الواو عاطفة وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولهم خبر كان المقدمومن دون الله حال ومن حرف جر زائد وأولياء اسم كان محلاً . (يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) يضاعف فعل مضارع مبني للمجهول ولهم متعلقان به

والعذاب نائب فاعل والجملة مستأنفة ، وما نافية وكانوا كان واسمها وجملة يستطيعون السمع خبر كان والسمع مفعول به وجملة ما كانوا يستطيعون السمع تعليل لمضاعفة العذاب وجملة وما كانوا يبصرون عطف على ما كانوا يستطيعون السمع وسيرد في باب البلاغة معنى هذا الكلام • (أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) أولئك مبتدأ والذين خبر وجملة خسروا أنفسهم صلة وضل عنهم عطف وما فاعل ضل وجملة كانوا يفترون صلة (لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون) لا نافية وجرم فعل ماض وأنهم : أن وما في حيزها في محل رفع فاعل جرم وقد تمشينا على مذهب سيبويه والخليل وانظر باب اللغة وفي الآخرة حال وهم ضمير فصل أو مبتدأ والأخسرون خبر أن أو خبرهم والجملة خبر أن ، وقد تقدمت لضمير الفصل نظائر •

البلاغة :

في قوله تعالى « ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » تشبيه تمثيلي لأنه تشبيه مركب بمركب شبههم في فرط تصامهم عن استماع الحق ونبو أسماعهم عنه بمن لا يستطيع السمع وذلك لوجوه عديدة :

أولها : يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الابصار فلا يبصرون عناداً واصراراً منهم على الخطل والصدوف عن الحق وهذا يقتضي أن تكون ما مصدرية والمصدر المؤول منصوب بنزع الخافض وهو الباء على حد قول الشاعر :

نغالي اللحم للأضياف نيأ   وتبذله إذا نضج القدور

أراد تعالي باللحم وقد ذهب إلى هذا المذهب الفراء •

وثانيها : انه لاستثقالهم استماع آيات الله وكراهتهم تذكرها وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع السمع وان أبصارهم لم تنفعهم مع اعراضهم عن نذر الآيات فكأنهم لم يبصروا • ومما يجري هذا المجرى قول الاعشى في مطلع معلقته :

ودّعْ هُريرة إنّ الرّكب مرتحل

وهل تطيق وداعاً أيّها الرّجل

ومن المعلوم أن الاعشى كان يقدر على الوداع وإنما نفى الطاقة عن نفسه من حيث الكراهية والاستثقال •

وثالثها — ان ما هنا ظرفية مصدرية تجري مجرى سأذكرك ما حييت والمعنى أنهم معذبون ما داموا أحياء •

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٣) * مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤)

اللغة :

(أخبتوا) سكنوا واطمأنوا وأنابوا ، والاخبات الطمأنينة وأصله

الاستواء من الخبت وهو الأرض المطمئنة المستوية الواسعة فكأن الإخبات خشوع مستمر على استواء فيه وهو يتعدى بالى وباللام فإذا قلت أخبت فلان إلى كذا فمعناه اطمأن اليه واذا قلت أخبت له فمعناه خشع وخضع . وللخاء والباء فاءً وعيناً للكلمة خاصة غريبة إذ أن الكلمة تدل على معنى التغطية والستر والخفاء أو ما هو قريب من ذلك أو يمت إليه بصلة ، فقولهم خبأ الشيء ستره وأخفاه وله خبيئة خبأها ليوم حاجة ومن أمثالهم « لا مخبأ لعطر بعد عروس » والله يخرج الخبء وخبَّأتْ الجارية وجارية مخبّأة ونساء مخبآت وخبّ الرجل نزل المنهبط من الأرض ليجهل منزله وخبّ الفرس خباً وخبيباً راوح في عدوه بين يديه ورجليه ، والخب بكسر الخاء الخداع وهو اخفاء المكر وفي حديث عمر بن الخطاب « ما تكلم أحد بالفارسية إلا خَبَّ وما خَبَّ إلا ذهبت مروءته » وخبث فلان ضد طاب والخبيث يضمر خلاف ما يظهر وخبر الشيء علمه عن تجربة أي نفذ إلى دخائله واستوضحها ، وخبز الخبز معروف وإيداعه إلى اخفائه فيه ، واختبس الشيء تناوله وغنمه ، وخبش الاشياء جمعها من ها هنا وها هنا ، وخبص الشيء بالشيء خلطه به . وخبط البعير بيده الأرض ، وبات يختبط الظلماء وهو خابط عشوة للجاهل ، وخبع في المكان دخل فيه ويقال جارية خُبَعَة طلعة أي تخبأ نفسها مرة وتبديها مرة . وخبله أفسده أو أفسد عقله وفساد العقل ذهابه قال :

أرى المال أفياء الظلال فتارة ... يؤوب وأخرى يخبل المال خابله

وخبن الثوب عطفه وخاطه ، وخبن الشاعر أتى بالخبن في شعره وهو حذف ثاني الجزء ساكناً وخبت النار خمدت وسكنت واستخبأ

الخباء دخله ولو شئنا أن نستقيض في النقل من هذه المادة لأريناك العجب العجب وحسبك من القلادة ما أحاط بالجيد .

الاعراب :

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) إن واسمها وجملة آمنوا صلة وجملة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا وكذلك جملة وأخبتوا الى ربهم . (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أولئك مبتدأ وأصحاب الجنة خبر وهم مبتدأ وفيها متعلقان بخالدون وخالدون خبر هم وجملة أولئك أصحاب الجنة خبر إن وجملة هم فيها خالدون خبر ثان لان (مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع) مثل مبتدأ والفريقين مضاف اليه وكالاعمى خبر أو الكاف اسم بمعنى مثل خبر وما بعده عطف عليه . (هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون) هل استفهام معناه النفي ويستويان فعل مضارع مرفوع بثبوت النون ومثلاً تمييز محول عن الفاعل والاصل هل يستوي مثلهم ، أفلا تذكرون : الاستفهام للانكار والتوبيخ .

البلاغة :

في قوله تعالى « مثل الفريقين الخ » تشبيه تمثيلي أي مثل فريق المسلمين كالبصير والسميع ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم وقد زادت الآية على جميع أمثلة التشبيه التمثيلي كقول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا   وأسيافنا ، ليل تهاوى كواكبه

ففي البيت الاول تشبيه قلوب الطير الرطبة بالعناب وتشبيه قلوب الطير اليابسة بالحشف البالي وفي البيت الثاني تشبيه الغبار القاتم والسيوف الملتمعة فيه بالليل الذي تنقض فيه الشهب والكواكب • أما الآية فقد زادت بتشبيه اثنين بأربعة كما هو واضح فقد شبهت كل واحد من الكافر والمؤمن تشبيهين •

هذا ولو جاءت الآية على وجه الطباق خلاف نظمها بأن يقال : كالأعمى والبصير والأصم والسميع لفسد المعنى وان حصل الطباق في اللفظ لأنه سبحانه قسم المشبه به الى قسمين كالمشبه لأنه قسمان مبتلى ومعافى وضاد بينهما ليصح السؤال بينهما على قصد التوابيخ •

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى

رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

اللغـــة :

(أراذلنا) أسافلنا وفيه وجهان أحدهما أنه جمع الجمع فهو جمع أرذل بضم الذال جمع رذْل بسكونها ككلب وأكلب وأكالب وثانيهما أنه جمع مفرد وهو أرذل كأكبر وأكابر وأبطح وأباطح وأبرق وأبارق والأرذل المرغوب عنه لرداءته، واختار الزمخشري الوجه الثاني ورجحه صاحب القاموس •

(بادي الـرأي) ظاهـر الـرأي وقـد يهمز فيقـال بادىء الرأي فمن لم يهمز أراد : أنت فيما بدا من الرأي ، ومن همز أراد : أنت أول الرأي ومبتداه ، ولأبي علي بحث طريف في هذا التعبير ننقله بنصه لفائدته :

« المعنى فيمن قال بادي الرأي بلا همز فجعله من بدا إذا ظهر أي ما اتبعك إلا الأراذل فيما ظهر لهم من الرأي إن لم يتعقبوه بنظر فيه وروية، وهاتان الكلمتان تتقاربان في المعنى لأن الهمزة في اللام معناها ابتداء الشيء وأوله واللام إذا كانت واواً كان المعنى الظهور، وابتداء الشيء يكون ظهوراً فلذلك يستعمل كل منهما مكان الآخر وجاز في اسم الفاعل أن يكون ظرفاً كما جاز في فعيل نحو قريب ومليء لأن فاعلاً وفعيلاً يتعاقبان على المعنى نحو عالم وعليم وشاهد وشهيد وحسن ذلك اضافته الى الرأي وقد أجروا المصدر أيضاً في اضافته اليه في قولهم اما جهد رأيي فإني منطلق فهذا لا يكون إلا ظرفاً » الى آخر هذا البحث الممتع وسيرد المزيد في الاعراب •

(الرأي) : مصدر رأى رأياً ويجمع على آراء والرأي هو التفكر في مبادىء الأمور والنظر في عواقبها والعلم بما تئول اليه من الخطأ والصواب ، وأصحاب الرأي عند الفقهاء هم أصحاب القياس والتأويل وقد أجمع الشعراء على امتداح الرأي فقال أبو فراس الحمداني :

ولا أرضى الفتى ما لم يكمل   برأي الكهـــل اقدام الغــلام

وقال أبو الطيب المتنبي :

الرأي قبــل شجاعة الشجعان   هو أول وهي المحــل الثاني
فإذا هما اجتمعــا لنفس حرة   بلغت من العليــاء كل مكان

الاعراب :

(ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه إني لكم نذير مبين) جملة مستأنفة مسوقة للشروع في ذكر عدد من القصص تسلية للنبي صلى الله عليــه وسلم واعتباراً بها ، وتأسياً بما لاقاه أصحابها وقد احتوت هذه السورة على سبع قصص واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل ونوحاً مفعول به والى قومه جار ومجرور متعلقان بأرسلنا وإني بكسر الهمزة على إرادة القول وكثيراً ما يضمر وهو غني عن الشواهد وان واسمها ولكم متعلقــان بنذير ونذير خبر إن ومبــين صفته • (أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) أن مفسرة ولا ناهية وتعبدوا فعــل مضارع مجزوم بلا والواو فاعــل وإلا أداة حصر ولفظ الجلالة مفعول به وإن واسمها وجملة أخاف خبرها وعليكم متعلقان بأخاف وعذاب يوم مفعول أخاف وأليم صفة ليوم • (فقال

الملأ الذين كفروا من قومه) الفاء عاطفة وقال الملأ فعل وفاعل والذين صفة للملأ وجملة كفروا صلة ومن قومه حال . (ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) الجملة مقول القول وما نافية ونراك فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وإلا أداة حصر والرؤية تحتمل القلبية والبصرية فبشراً مفعول به ثان على الأولى وحال على الثانية ومثلنا صفة وما نراك عطف على ما نراك الأولى وهي أيضاً تحتمل القلبية والبصرية فجملة اتبعك إما مفعول به ثان واما حال وإلا أداة حصر والذين فاعل اتبعك وهم أراذلنا مبتدأ وخبر والجملة صلة وبادي الرأي منصوب على الظرفية أي أول الرأي والعامل فيه اتبعك وقد تقدم القول مسهباً فيه ، وقيل انتصب حالاً من ضمير نوح في اتبعك أي وأنت مكشوف الرأي لا حصافة لك . (وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين) وما نرى عطف على ما تقدم ولكم متعلقان بنرى وعلينا متعلقان بفضل ومن حرف جر زائد وفضل مجرور لفظاً مفعول به منصوب محلاً وبل حرف اضراب وعطف ونظنكم عطف على ما نرى والكاف مفعول به أول وكاذبين مفعول به ثان . (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده) الجملة مستأنفة مسوقة للتلطف بهم في الخطاب ومناصحتهم ويا قوم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وأرأيتم تقدم الكلام عليه مفصلاً ورأيتم فعل وفاعل أي اخبروني وهنا يتطلب البينة مفعولاً به، وكنت تتطلب البينة مجرورة بعلى فأعمل الثاني وأضمر في الأول والتقدير أرأيتم البينة من ربي إن كنت عليها أنلزمكموها فحذف المفعول الأول والجملة الاستفهامية هي المفعول الثاني وجواب الشرط محذوف للدلالة عليه ، وإن شرطية وكنت فعل الشرط والتاء اسمها وعلى بينة خبر كنت ومن ربي صفة ومعنى على هنا الاستعلاء لأن

صاحب البينة يكون مستعلياً على سواه وقيل هي للمصاحبة بمعنى مع وليس ببعيد ، وآتاني الواو عاطفة وآتاني فعل وفاعل مستتر ومفعول به ورحمة مفعول به ثان ومن عنده صفة لرحمة . (فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) الفاء عاطفة وعميت فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هي وعليكم جار ومجرور متعلقان بعميت وسيأتي بيان حقيقة هذا التعبير في باب البلاغة وأنلزمكموها الهمزة للاستفهام أي أنكرهكم عليها وفي هذا الفعل ثلاثة ضمائر الأول مستتر تقديره نحن وهو الفاعل والثاني ضمير المخاطب أي الكاف وهو المفعول الأول والثالث ضمير الغائب أي الهاء وهو المفعول الثاني ، والميم علامة جمع الذكور والواو لإشباع حركة الضم على الميم وليست ضميراً وقد روعي الترتيب فيها لأن المتكلم أخص بالفعل ثم ضمير المخاطب ثم ضمير الغائب ، وأنتم الواو للحال وأنتم مبتدأ ولها متعلقان بكارهون وكارهون خبر والجملة حالية وتقدم القول في جملة أنلزمكموها .

البلاغة :

١ ــ في إسناد العمى الى البينة مجاز عقلي تنزيلاً لها منزلة من يعقل وحقيقته أن الحجة والبينة جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياً لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم رائدهم الذي يسير بهم في المتاهات المظلمة والبوادي المتشعبة فبقوا حائرين يتخبطون ويلتمسون النجاة من حيرتهم وجملة بعضهم من باب القلب أي أنهم هم الذين عموا فيكون من باب أدخلت الخاتم في إصبعي وأدخلت القلنسوة في رأسي وقال الشاعر :

ترى الشوك فيها مدخلاً ظل رأسه

وسائره بادٍ الى الشمس أجمع

٢ ـ التعريض في قوله « قال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي » وقد تقدم القول في التعريض وغرضهم هنا منه التعريض بأنهم أحق منه بالنبوة وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد لجعلها فيهم وقد زعم هؤلاء أن يحجوا نوحاً من وجهين أحدهما أن المتبعين أراذل ليسوا قدوة ولا أسوة والثاني انهم مع ذلك لم يترووا في اتباعه ولا أمعنوا الفكرة في صحة ما جاء به وإنما بادروا الى ذلك ارتجالاً ومن غير فكر ولا روية .

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾

اللغـــة :

(بطارد): الطرد : الإبعاد،وتطارد الأقوال حمل بعضها على بعض.

(تزدري) : الإزدراء : الاحتقار والعيب افتعال من الزراية يقال زريت عليه إذا عبته وازرت به إذا قصرت ، قال الشاعر :

رأوه فازدروه وهـو خـرق ... وينفـع أهله الرجـل القبيح

ولـم يخشوا مقالته عليهـم ... وتحت الرغوة اللبن الصريح

الاعراب :

(ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً) عطف عـلى ما تقدم ولا نافية وأسألكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به وعليه حال ومالاً مفعول به ثان . (إن أجري إلا على الله) إن نافية وأجري مبتـدأ وياء المتكلم مضافة وإلا أداة حصر وعلى الله خبر . (وما أنا بطارد الذين آمنوا) الواو عاطفة وما حجازية تعمل عمل ليس وأنا اسمها والباء حرف جر زائـد وطارد مجـرور لفظاً منصوب محلاً عـلى أنه خبر ما والذين مضاف اليه وجملة آمنوا صلة . (إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون) إن واسمها وملاقوا خبرها وربهم مضاف اليه ولكني الواو حالية أو عاطفة ولكن واسمها وجملة أراكم خبرها والكاف مفعول أول لأراكم وقوماً مفعول به ثان وجملة تجهلون صفة. (وياقوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون) عطف على ما قبله ومن اسم استفهام مبتدأ وجملة ينصرني خبر من الله جار ومجرور متعلقان بينصرني وإن شرطية وطردتهم فعل الشرط وهو فعل ماض وفاعل ومفعول به والجواب محذوف دل عليه ما قبله أي فمن ينصرني ، وأفـلا تذكرون الهمزة

للاستفهام الانكاري وهي اما داخلة على مقدر تقديره أتأمروني بطردهم فلا تذكرون وإما مقدمة من تأخير والأصل فألا تذكرون وقدمت الهمزة على الفاء لأن لها الصدارة وقد تقدم تقرير ذلك وتذكرون مضارع حذفت منه إحدى التاءين وأصله تتذكرون • (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب) الواو عاطفة ولا نافية وأقول فعل مضارع فاعله أنا ولكم متعلقان بأقول وعندي ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم وخزائن الله مبتدأ مؤخر ولا أعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله أي ولا أقول لكم إني أعلم الغيب ولكن يشكل على هذا العطف أنه يترتب عليه أن يكون معمولاً لأقول المنفية فيصير التقدير ولا أقول لا أعلم الغيب وهو غير صحيح والأحوط أن يكون معطوفاً على لا أقول لا على مقولها فيزول الاشكال ، ولا أعلم كيف غرب هذا عن الزمخشري وغيره من كبار المعربين • (ولا أقول إني ملك) نسق على لا أقول الأولى أيضاً وان واسمها وخبرها مقول القول • (ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً) عطف أيضاً وللذين متعلقان بأقول وجملة تزدري أعينكم صلة ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويؤتيهم منصوب بها والهاء مفعول يؤتي الأول والله فاعل وخيراً مفعول يؤتي الثاني • (الله أعلم بما في أنفسهم إني إذن لمن الظالمين) الله مبتدأ وأعلم خبر وبما متعلقان بأعلم وفي أنفسهم صلة الموصول وان واسمها واذن حرف جواب وجزاء مهمل واللام المزحلقة ومن الظالمين خبر إن والجملة تعليلية لا محل لها •

البلاغة :

في هذه الآيات فن رفيع من فنون البديع وهو الجمع مع التقسيم وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر ثم يقسم ما جمع وفي هذه

الآيات رد على ما أوردوه من شبه حيث قالوا « ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » فرد عليهم رداً يمكن ارجاعه الى ما أوردوه من شبه فكأنه يقول : إن كان تفيكم الفضل عني متعلقاً بفضل المال والجاه فأنا لم أدعه ولم أقل لكم إن خزائن الله عندي حتى تنازعوني في ذلك وتنكروه . وقد رمق أبو فراس هذه السماء بقوله :

إنّا إذا اشـــتد الزما	ن وناب خطب وادلهم
ألفيـت حول بيوتنـا	عدد الشجاعـة والكرم
للقا العدا بيض السيو	ف وللندى حمر النعم
هـــذا وهـــذا دأبنا	يودى دم ويـراق دم

قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

اللغـــة :

(الجدال) والمجادلة : المقابلة بما يفتل الخصم من مذهبه بحجة أو شبهة وهو الجدل أي شدة الفتل يقال : جدل الحبل فتله . وزمام مجدول وهو الجديل ويقولون : كأن في الجديل ،إحدى بنات جَديل ، وطعنه فجدّله أي ألقاه على الجَدالة وهي الأرض قال :

قد أركب الآلة بعـــد الآله وأترك العاجز بالجـــداله

ويقال للصقر أجدل لأنه من أشد الجوارح ويقولون : إن وقفن نجادل وإن مررن فأجادل ، أي إن وقفن فقصور ، وان مررن فصقور ، قال الأعشى :

في مَجْدل شيّد بنيانــه يزلّ عنـــه ظُفُر الطائر

ومن المجاز : امرأة مجدولة الخَلْق : قضيفة ، ودرع مجدولة وجدلاء أي محكمة ، وعمل على جديلته أي على شاكلته التي جُدل عليها واستقام جدْول القوم إذا انتظم أمرهم كالجدول إذا اطّرد وتتابع جريه ، ونظر أعرابي الى قافلة الحاج متتابعة فقـال : أما الحاج فقـد استقام جدولهم . ومن متابعة اشتقاق هذه المادة تبين أن كل ما كانت فاؤه وعينه جيماً ودالاً دل على الشدة والفتل والمِرة فجَدُب المكان جُدوبة وجدِب وأجْدَب ضد أخصب ولا يخفى ما في ذلك من شدة وبلاء على الذين تجدب أرضهم ، والجـدث القبر ومن أقوالهم « شر الأحداث ، نزول الأجداث » وجدح السويق واللبن بالمجدح وهو عود في رأسه عودان معترضان يخاض به حتى يختلط وأرسلت السماء مجاديح الغيث ، والمجاديح جمع المِجْدح أي الدّبَرَان ونوءه غزير

وفي حديث عمر بن الخطاب : « لقد استسقيت بمجاديح السماء » أراد الاستغفار ، ورجل مجدود وليس في الدنيا أقوى من أفاعيل الجد بفتح الجيم أي الحظ والجد بالكسر الجهد والتعب ومشى على الجادّة وامشوا على الجوادّ وهو جمع الجادة وأجد المسير وجدّ قال :

أشوقاً ولما يمض لي غير ليلة   فكيف إذا جدّ المطي بنا عشرا

وجدره ناداه من وراء الجدار وهو جدير بكذا أي قوي ينهض به قال زهير :

بخيلٍ عليها جنّةٌ عبقرية   جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا

وجُدِر الصبي وجدّر ، وهو مجدور الوجه ومجدّر ومن أماليح ابن المعتز :

بي قمرٌ جُدّر لما استوى   فزاده حسناً وزالت هموم
أظنه غنى لشمس الضحى   فنقطته طرباً بالنجوم

وجدع أنفه وأذنه فهو مجدوع واذا لزم النعت قيل أجدع وهي جَدْعاء وجادَعَ صاحبه شارّه وشاتمه وَجَدّعه اذا قال له جدعاً لك ، وجدف الملاّح السفينة إذا دفعها بالمجداف قال أعشى همدان :

لمن الظّعائن سَيْرهنّ تزحّف
عَوْمَ السفين إذا تقاعسُ تجدَفُ

وخفق الطائر بمجدافيه أي بجناحيه وهما قوته ، والجدا والجذوى العطاء وما أقواه ، واستجديته سألته وجدوته واجتديته مثله قال :

جدوتُ أناساً موسرين فما جَدَوا

ألا اللهَ أجْدوه إذا كنتُ جاديا

وقد فطن أحد أدبائنا القدامى إلى هذه المادة وسر اجتماع الجيم والدال فأحصى ذلك نظماً نورده فيما يلي :

عَظَمَةٌ والقَطْع حظ جَدٌ	والاجتهاد ضد هزل جِدٌ
وجانبٌ وجاء جمعاً جُدٌ	واسم لمابين الكلا من بئر
أمٌ أبٍ وأمٌ أمٍّ جَدّه	ومصدر الشيء الجديد جِدّه
مدينةٌ أي بالحجاز جُدَّه	والضمّ والكسر لشط النهر
للنبت والحائط قيل جَدْرٌ	وللنبات قيل أيضاً جِدْرٌ
وجمع جَدْر أي جدار جُدْرُ	وآفة الأطفال داء الجُدري
والسنة الشديدة الجَداعُ	أما الجدال فاسمه جداع
والكلأ الذّاوي هو الجُداعُ	كذا وضيم الكلم المضِرِّ
الفتل والصرع وعودٌ جَدْلُ	والصدر بالفتح وكسر جدلُ
جمع جديل أي زمام جُدْل	وجمع جدلاء لدرع الكرَ

وهذا من الغرابة بمكان .

الاعراب :

(قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) قالوا فعل وفاعل ويا أداة نداء ونوح منادى مفرد علم مبني على الضم وقد حرف تحقيق

وجادلتنا فعل وفاعل ومفعول به فأكثرت عطف على جادلتنا وجدالنا مفعول به • (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) الفاء الفصيحة أي ان كنت صادقاً فأتنا ، وبما متعلقان بالفعل وجملة تعدنا صلة والعائد محذوف ويصح أن تكون ما مصدرية أي بوعدك إيانا وان كنت من الصادقين شرط جوابه دل عليه ما قبله أي فأتنا ومن الصادقين خبر كنت • (قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين) إنما كافة ومكفوفة ويأتيكم فعل مضارع ومفعول به وبه متعلقان بيأتيكم والله فاعل وإن شاء شرط وفعله والجواب محذوف وما الواو حالية وما حجازيه وأنتم اسمها وبمعجزين خبرها منصوب محلاً بسبب حرف الجر الزائد • (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) الواو عاطفة ولا نافية وينفعكم نصحي فعل ومفعول به وفاعل وإن اردت شرط وفعله وأن وما في حيزها مفعول أردت ولكم متعلقان بأنصح ، وإن كان شرط وفعله أيضاً والله اسم كان وجملة يريد خبر كان وأن يغويكم أن وما في حيزها مفعول يريد ووجه ترادف الشرطين أن جواب الشرط الثاني وهو إن كان الله يريد أن يغويكم جوابه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي ويكون الشرط الثاني وجوابه جواب الأول وسيأتي تفصيل ذلك ومعناه في باب الفوائد • (هو ربكم وإليه ترجعون) هو مبتدأ وربكم خبر واليه متعلقان بترجعون وترجعون بالبناء للمجهول والواو نائب فاعل • (أم يقولون افتراه) أم منقطعة ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون وجملة افتراه مقول القول • (قل ان افتريته فعليّ اجرامي وأنا بريء مما تجرمون) إن شرطية وافتريته فعل وفاعل ومفعول به وهو فعل الشرط والفاء رابطة وعلي خبر مقدم واجرامي مبتدأ مؤخر وأنا مبتدأ وبريء خبر ومما متعلقان ببريء وجملة تجرمون صلة •

الفوائـد :

إذا اجتمع في الكلام شرطان وجواب يجعل الشرط الثاني شرطاً في الأول فلا يقع الجواب إلا ان حصل الشرط الثاني ووجد في الخارج قبل وجود الأول ونظير هذه الآية من مسائل الفقهاء قول القائل :

« أنت طالق إن شربت إن أكلت » وهي المترجمة بمسألة اعتراض الشرط عـلى الشرط فالمنقول انها ان شربت ثم أكلت لم يحنث وان أكلت ثم شربت حنث ، وقد قرر المفسرون في الآية انه اذا طرأ شرط على شرط كان الثاني مقدماً عـلى الأول في المعنى وإن كان مؤخراً في اللفظ ، والتقدير ولا ينفعكم نصحي ان كان الله يريد أن يغويكم إن اردت أن أنصح لكم وقال البيضاوي : « هكذا تقرير الكلام إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي لذلك ولو قال أنت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيداً فدخلت ثم كلمت زيداً لم تطلق »

وقال ابن هشام في المغني :

ذكروا أنه إذا اعترض شرط على آخر نحو إن أكلت إن شربت فأنت طالق فإن الجواب المذكور للسابق منهما ، وجواب الثاني محذوف مدلول عليه بالشرط الأول وجوابه (أي والشرط الأول وجوابه متأخر معنى لكونه دليل الجواب) كما قالوا في الجواب المتأخر عن القسم والشرط ولهذا قال محققو الفقهاء في المثال المذكور انها لا تطلق حتى تقدم المؤخر وتؤخر المقدم وذلك لأن التقدير حينئذ إن شربت إن أكلت فانت طالق وهذا كله حسن ولكنهم جعلوا منه قوله تعالى : ولا ينفعكم

نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ، وفيه نظر إذ لم يتوال شرطان وبعدهما جواب كما في المثال وكما في قول الشاعر:

إن تستغيثوا بنا إن تذعروا تجدوا منّا معاقل عزٍّ زانها كرم

وقول ابن دريد :

فإن عثرت بعدها إن وألت نفسي من هاتا فقولا : لا لَعا

إذ الآية الكريمة لم يذكر فيها جواب وإنما تقدم على الشرطين ما هو جواب في المعنى للشرط الأول فينبغي أن يقدر إلى جانبه ويكون الأصل إن أردت أن أنصح لكم فلا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم وأما أن يقدر الجواب بعدهما ثم يقدر بعد ذلك مقدماً إلى جانب الشرط فلا وجه له .

وقال في الدرر : وإذا دخل شرط على شرط فتارة يكون بعطف وتارة يكون بغيره فإن كان بعطف فأطلق ابن مالك أن الجواب لا ولهم لسبقه ، وفصل غيره فقال إن كان العطف بالواو فالجواب لهما لأن الواو لمطلق الجمع نحو « إن تأتني وإن تحسن الي أحسن اليك » وان كان العطف بأو فالجواب لأحدهما لأن « أو » لأحد الشيئين نحو ان جاء زيد أو إن جاءت هند فأكرمه أو فأكرمها وإن كان العطف بالفاء فالجواب للثاني والثاني وجوابه جواب للأول وإن كان بغير عطف فالجواب لأولهما والشرط الثاني مقيد للأول كتقييده بحال واقعة موقعه كما في بيت الشاهد وإذا دخل الاستفهام على الشرط فعن يونس ان الجواب للاستفهام لتقدمه على الشرط قياسا على مسألة تقدم القسم على الشرط نحو أإن قام زيد تقوم ؟

خلاصة مفيدة :

توضيح المسألة : إنه قد وجد في هذه الصورة شرطان وليس فيها ما يصلح للجواب إلا شيء واحد فلا يخلو إما أن يجعل جواباً لهما معاً ولا سبيل إليه لما يلزم عليه من اجتماع عاملين على معمول واحد وهو باطل .

وإما أن لا يجعل جواباً لهما ولا سبيل إليه لما يلزم عليه من الآيتان بما لا مدخل له في الكلام وترك ما له مدخل وهو عبث .

وإما ان يجعل جواباً للاخر دون الأول وهذا لا سبيل اليه لأنه يلزم عليه ان يكون الثاني وجوابه جواباً للاول فيجب الاتيان بالفاء الرابطة ولا فاء فتعين القسم الرابع وهو ان يكون جوابا للاول دون الثاني ويكون الأول وجوابه دليل جواب الثاني فالأصل إن شربت فإن أكلت فانت طالق وهو لو قال هذا الكلام لم تطلق حتى تشرب ثم تأكل فكذلك ما هو بمعناه .

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا

تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

اللغـــة :

(الابتئاس) حزن في استكانة قال :

ما يقسم الله إقبل غير مبتئس منه واقعد كريماً ناعـم البالِ

وهو افتعال من البؤس وفي المختار « ولا تبتئس أي لا تحزن ولا تشتك والمبتئس الكاره الحزين » •

(الفلك) الجمهور على أنه بضم الفاء وسكون اللام وقيل انه يقال فلك بضمتين أيضاً وأشار الرضي في شرح الشافية الى جواز أن يكون بضمتين هو الاصل وان ضم الأول وتسكين الثاني لعله تخفيف منه كعنق ، وأطال في توجيهه وفي القاموس « والفلك بالضم السفينة ويذكر وهو للواحد والجميع ، أو الفلك التي هي جمع تكسير للفلك التي هي واحد » وهذا بعينه ورد في الصحاح أيضاً والعباب قال ابن بري صوابه الفلك الذي هو واحد لأنك إذا جعلت الفلك واحد فهو مذكر لاغير وان جمعته جمعاً فهو مؤنث لا غير وقيل إن الفلك يؤنث وان كان واحداً قال تعالى : « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين » وعليه فلا تصويب •

الاعراب :

(وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) الواو عاطفة واوحي فعل ماض مبني للمجهول وأن وما في حيزها نائب الفاعل

وجملة لن يؤمن خبر أن وإلا اداة حصر ومن فاعل يؤمن وجملة قد آمن صلة • (فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) الفاء عاطفة ولا ناهية وتبتئس مجزوم بلا وبما متعلقان بتبتئس وجملة كانوا صلة وجملة يفعلون خبر كانوا • (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا) واصنع عطف على ما تقدم والفلك مفعول به وبأعيننا في موضع نصب على الحال أي مكلوءاً بأعيننا وحقيقته ملتبساً كأن الله معه أعيناً تكلؤه ووحينا عطف على أعيننا • (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) لا ناهية وتخاطبني مجزوم بها والياء مفعول به وفي الذين متعلقان بتخاطبني وجملة ظلموا صلة وانهم مغرقون ان واسمها وخبرها والجملة تعليلية لعدم الخطاب • (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) حكاية حال ماضية فالجملة ابتدائية مسوقة لهذا الغرض والتقدير وجعل يصنع الفلك ، والفلك مفعول به والواو حالية وكلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط متعلق بسخروا منه وقد مر القول في كلما ، ومر عليه ملأ فعل وفاعل وعليه متعلقان بمرّ وجملة سخروا منه لا محل لها لانها جواب شرط غير جازم • (قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون) قال فعل ماض وإن شرطية وتسخروا فعل الشرط ومنا متعلقان بتسخروا والفاء رابطة وان واسمها وجملة نسخر منكم خبر ان وكما تسخرون الكاف صفة لمصدر محذوف وقد مرت له نظائر كثيرة • (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) الفاء استئنافية وسوف حرف ينقل الفعل من الحال الى الاستقبال والفرق بينها وبين السين ان في سوف معنى من التسويف وهو تعليق النفس بما يكون من الأمور التي يمكن أن تحدث ، وتعلمون فعل مضارع وفاعل ومن يجوز أن تكون موصولة في محل نصب بتعلمون وتعلمون بمعنى العرفان فتنصب مفعولاً واحداً ، ويجوز أن تكون استفهامية وتكون

أيضاً مفعولاً به ، ويجوز أن تكون تعلمون يقينية فيكون المفعول الثاني محذوفاً ويأتيه فعل ومفعول به وعذاب فاعل وجملة يخزيه صفة عذاب • (ويحل عليه عذاب مقيم) ويحل معطوف على يأتيه وعليه متعلقان بيحل وعذاب فاعل ومقيم صفة •

البلاغـة :

في قوله « انهم مغرقون » مجيء الخبر انكارياً مؤكداً بإن تأكيداً للكلام وتنزيلاً للسامع منزلة المتردد لأنه للنفس اليقظى مظنة التردد في حكم الخبر ومؤونة الطلب له فقال أولاً : ولاتخاطبني في الذين ظلموا أي لا تدعني يانوح في استدفاع العذاب عنهم ثم قال : انهم مغرقون لأن الكلام مظنة أن يتردد نوح بأنه هل يصيبهم بأس بل بأنهم هل هم مغرقون بملاحظة ما تقدم من قوله واصنع الفلك فأورد الخبر مؤكداً فقال انهم محكوم عليهم بالإغراق •

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ج وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ * وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ج إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ

سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾

اللغــة :

(فار) الفور الغليان وأصله الارتفاع وفي المصباح « فار الماء يفور فوراً نبع وجرى وفارت القدر فوراً وفوراناً غلت» ومنه قولهم فعل ذلك من فوره أي من قبل أن يسكن ، وشرب فورة العقار وهي طفاوتها وما فار منها .

(التنور) قيل وزنه تفعول فقلبت الواو الأولى همزة لانضمامها ثم حذفت تخفيفاً ثم شددت النون للعوض عن المحذوف قال هذا ثعلب وقال أبو علي الفارسي وزنه فعّول وقيل هو أعجمي والمشهور أنه مما اتفقت فيه لغة العرب والعجم كالصابون وقال في القاموس والتاج : التنور الكانون يخبز فيه وصانعه تنّار ووجه الأرض وكل مَفْجَر ما ومحفل ماء الوادي وعقبه التاج بقوله يقال هو في جميع اللغات كذلك وقال الليث التنور عمت بكل لسان قال أبو منصور وهذا يدل على أن الاسم في الاصل أعجمي فعربته العرب فصار عربياً على بناء فَعّول ، ثم قيل هو تنور معروف فالكلام حقيقي ، وقيل هو مجاز ومعنى قولهم فار التنور اشتد به الغضب كما يقولون حمي الوطيس اذا اشتدت الحرب وفار قدر القوم اذا اشتدت حربهم قال الشاعر :

تفور علينا قدرهم فنديمها   ونفثؤها عنا إذا حَمْيها غلا

(الاثنان) الوجه في قراءة حفص بالتنوين « ومن كلٍّ زوجين اثنين » ان الاثنين زوجان قال تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين » والمرأة زوج الرجل والرجل زوجها وقد يقال للاثنين هما زوج قال لبيد :

من كل محفوف يُظلُّ عِصيَّه زوج عليه كلة وقرامها

ومعنى البيت : الهوادج محفوفة بالثياب فعيدانها تحت ظلال ثيابها والمضمر بعد القرام للعصي أو للكلة .

الاعراب :

(حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور) حتى متعلقة بقوله واصنع الفلك بأعيننا أي الى هذا الوقت فهي حرف غاية وجر وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة جا أمرنا في محل جر بالاضافة وجملة وفار التنور معطوفة على جملة جاء أمرنا . (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) الجملة لا محل لها لأنها جواب اذا واحمل فعل أمر وفيها متعلقان باحمل ومن كل حال من زوجين لأنه كان في الاصل صفة له وزوجين مفعول به واثنين صفة للتأكيد والتشديد كما قال : « لا تتخذوا إلهين اثنين » . (وأهلك إلا من سبق عليه القول) واهلك عطف على زوجين وإلاأداة استثناءومن مستثنى متصل وجملة سبق عليه القول صفة. (ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) ومن آمن عطف على أهلك وما الواو عاطفة وما نافية وآمن فعل ماض ومعه ظرف متعلق بآمن والا أداة حصر وقليل فاعل آمن . (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) الواو عاطفة وقال فعل ماض وجملة اركبوا فيها مقول القول وفيها

متعلقان باركبوا ، باسم الله خبر مقدم ومجراها مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية حال من الواو أو الهاء أي اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين باسم الله ومرساها عطف على مجراها وهما مصدران ميميان الأول من جرى ولذلك جاء مجرى والثاني من أرسى ولذلك جاء مُرسى بضم الميم وقرىء الاثنان بالضم على أنهما مصدران ميميان أيضاً ، ويجوز أن يكونا اسمين للزمان أو المكان أي وقت جريانها وارسائها وبسم الله حال أي متبركين باسم الله ويتعلق الظرفان بهذا المحذوف فهو من باب خفوق النجم ومقدم الحاج وهنا أقوال أخرى للمعربين ضربنا عنها صفحاً . (إن ربي لغفور رحيم) إن واسمها واللام المزحلقة وغفور خبر إن الأول ورحيم خبر إن الثاني . (وهي تجري بهم في موج كالجبال) حال من محذوف أي فركبوا فيها والحال انها تجري بهم ويجوز أن تكون مستأنفة ، وهي مبتدأ وجملة تجري خبر وبهم متعلقان بمحذوف حال وفي موج متعلقان بتجري والكاف صفة لموج (ونادى نوح ابنه وكان في معزل) الواو عاطفة ونادى نوح ابنه فعل وفاعل ومفعول ، وكان الواو حالية وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره هو يعود على الابن وهو كنعان وفي معزل خبر كان . (يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) يا حرف نداء وبني منادى مضاف لياء المتكلم وأصله بثلاث ياءات الأولى ياء التصغير والثانية ياء الكلمة والثالثة ياء المتكلم فحذفت ياء المتكلم تخفيفاً وأدغمت ياء التصغير في لام الكلمة فيقرأ بكسر الياء وفتحها فمن قرأ بالكسر جعل الكسرة دالة على الياء المحذوفة ومن فتح فقد أراد الاضافة كما أرادها في قوله يابني إذا كسر الياء التي هي لام الفعل كأنه قال يابنيي باثبات ياء الاضافة ثم أبدل من الكسرة الفتحة ومن الياء الألف فصار يابنيا ثم حذف الألف كما كان حذف الياء والقراءتان سبعيتان واركب فعل أمر ومعنا

ظرف متعلق باركب ولا ناهية وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا واسمها مستتر تقديره أنت ومع الكافرين ظرف متعلق بمحذوف خبره . (قال سآوي إلى جبل يعصمني من المـاء) جملة سآوي مقول القول والى جبـل جار ومجرور متعلقان بآوي وجملة يعصمني صفة لجبل ومن المـاء متعلقان بيعصمني . (قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) لا نافية للجنس وعاصم اسمها مبني عـلى الفتح واليوم ظرف متعلق بأمر الله لأنه بمعنى المصدر ، وأحسن من ذلك أن يكون خبر « لا » محذوفاً لأنه إذا علم كهذا الموضع التزم حذفه بنو تميم وكثر حذفه عند أهل الحجاز لأنه لما قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال له نوح : لا عاصـم أي لا عاصم موجـود ويكون اليـوم منصوبـاً على اضمار فعل يدل عليه عاصم أي لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله ومن أمر جار ومجرور متعلقان بذلك الفعل المحذوف ولا يجوز أن يكون اليوم منصوباً بقولـه لا عاصم ولا أن يكون « من أمر الله » متعلقاً به لأن اسم لا إذ ذاك كان يكون مطولاً واذا كان مطولاً لزم تنوينه واعرابـه ، ومن أمر الله خبر لا وإلا أداة استثناء أو حصـر والاستثناء إما متصـل فيكون من مستثنى وجملة رحم صلة ، وإما منقطع وإلا بمعنى لكن ومن مبتدأ وجملة رحم صلة والخبر محذوف تقديره هو المعصوم ومن المفيد أن نورد هنا ما قاله أبو البقاء : « قوله تعالى لا عاصم اليوم فيه ثلاثة أوجه أحدها انه اسم فاعل على بابه فعلى هذا يكون قوله إلا من رحم فيه وجهان أحـدهما هو استثناء متصل ومن رحـم بمعنى الراحم أي لا عاصم إلا الله والثاني انه منقطع أي لكن من رحمه الله يعصم ، الوجه الثاني أن عاصماً بمعنى معصوم مثل ماء دافق أي مدفوق فعلى هذا يكون الاستثناء متصـلاً أي إلا من رحمه الله والثالث إن عاصماً بمعنى ذا عصمة على النسب مثل حائض

وطالق فالاستثناء على هذا متصل أيضاً فأما خبر لا فلا يجوز أن يكون اليوم لأن ظرف الزمان لا يكون خبراً عن الجثة بل الخبر من أمر الله واليوم معمول من أمر الله ولا يجوز أن يكون اليوم معمول عاصم إذ لو كان كذلك لنون » • وأورد صاحب الانتصاف كلاماً جميلاً نورده فيما يلي : « إن الاحتمالات الممكنة هنا أربعة : لا عاصم إلا راحم ولا معصوم إلا مرحوم ولا عاصم إلا مرحوم ولا معصوم إلا راحم فالأولان استثناء من الجنس والآخران استثناء من غير الجنس فيكون منقطعاً • (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) الواو عاطفة وحال فعل ماض وبينهما متعلقان بحال والموج فاعل فكان عطف على حال واسم كان مستتر ومن المغرقين خبر كان •

وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

اللغة :

(البلع) معروف والفعل منه مكسور العين ومفتوحها بلع وبلع حكاهما الكسائي والفراء وفي المصباح : بلعت الطعام بَلَعاً من باب تعب والماء والريق بلْعاً ساكن اللام وبلعته بلْعاً من باب نفع لغة وابتلعته، ومن مجاز هذا الفعل : أبلعني ريقي أي أمهلني حتى أقول أو أفعل . قال الزمخشري في أساس البلاغة : وقلت لبعض شيوخي : ابلعني ريقي فقال : قد أبلعتك الرافدين •

(الاقلاع) إذهاب الشيء من أصله حتى لا يرى له أثر يقال : أقلعت السماء إذا ذهب مطرها حتى لا يبقى منه شيء وأقلع عن الأمر إذا تركه رأساً .

(غيض) مبني للمجهول إذ يستعمل لازماً ومتعدياً والغيض النقصان وفعله لازم ومتعد فمن اللازم قوله تعالى « وما تغيض الأرحام » أي تنقص ومن المتعدي الآية التي نحن بصددها لأنه لايبنى للمجهول من غير واسطة حرف جر إلا المتعدي بنفسه وفي المختار : غاض الماء : قلّ ونضب وبابه باع وانغاض مثله وغيض الماء فُعل به ذلك وغاضه الله يتعدى ويلزم ، وأغاضه الله أيضاً ، وغيّض الدمع تغييضاً نقصه وحبسه ويقال : غاض الكرام أي قلّوا وفاض اللئام أي كثروا .

(الجودي) : جبل بأرض الجزيرة استوت عليه السفينة عند انتهاء الطوفان .

الاعراب :

(وقيل : يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي) الواو عاطفة وقيل فعل ماض مبني للمجهول ويا حرف نداء وأرض منادى نكرة مقصودة مبني على الضم وابلعي فعل أمر والياء فاعل وماءك مفعول به ويا سماء أقلعي عطف على يا أرض ابلعي . (وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي) جمل معطوفة بعضها على بعضها الآخر وسيأتي في البلاغة من أسرارها ما يدهش العقول . (وقيل : بُعداً للقوم الظالمين) بعداً منصوب على المصدر بفعل مقدر أي وقيل بعدوا بعداً فهو مصدر

بمعنى الدعاء عليهم وللقوم جار ومجرور متعلقان بمحذوف والتقدير إرادتي ونحوه أو بقيل أي قيل لأجهلم هذا القول والظالمين صفة للقوم.

البلاغـة :

في هذه الآية من أفانين البلاغة وبدائع الفصاحة ما يذهل اللب ويشده العقـول وسنورد أهـم الفنون التي تلفت النظر وتستهوي الموهوب ليحذو حذوها وينسج على منوالها.

١ ـ المساواة :

ونبدأ بالفن الذي يتناول الآية عموماً وقـد عرفوه بأن يكون اللفظ مساوياً للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه وهو من أعظم أبواب البلاغة بل هو البلاغة عينها كما وصف بعض الوصاف بعض البلغاء فقال : كانت أوصافه قوالب لمعانيه وكما قال العتابي : « الألفاظ أجساد والمعاني أرواح » وهو ميزة كـل لغة ، قال إميـل فاكيه في وصف فيكتور هيغو«هيغو من الخالدين لأن الذي يخلد هو جمال الأسلوب» وجمال الأسلوب هو الملاءمـة بين اللفظ والمعنى والآيـة التي نحن بصددها خير مثال لهذه المساواة فإنه سبحانه أراد اقتصاص من هذه القصة بأوجز لفظ وأبلغه فجاء بها مرتبة الألفاظ والجمل على حسب ما وقع في صور لا تفصل عن معانيها لاو تقصر عنها فإن قيل : لفظة « القوم » زائدة تمنع الآية من أن توصف بالمساواة لأنها إذا طرحت استقلّ الكلام بدونها بحيث يقال : « وقيـل بعداً للظالمين » قلت : لايستغني الكلام عنها وذلك انه لما قال في أول القصة « وكلما مر عليه

ملأ من قومه سخروا منه » وقال بعد ذلك « ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون » جاءت لفظة القوم في آخر القصة ، ووصفهم بالظلم ليرتد عجز الكلام على صدره .

٢ ـ رد العجز على الصدر :

وهو الفن الثاني من فنون هذه الآية ، وليعلم أن القوم الذين هلكوا بالطوفان هم الذين كانوا يسخرون من نوح فهم مستحقون للعقاب لئلا يتوهم ضعيف أن الطوفان لعمومه ربما أهلك من لا يستحق الهلاك فأخبر الله سبحانه أن الهالكين هم الذين تقدم ذكرهم وما كانوا يفعلونه مع نبيه من السخرية التي استحقوا بها الهلاك ، وانهم الذين وصفهم بالظلم ووعد نبيه باغراقهم ونهاه عن مخاطبته فيهم ليرفع ذلك الاحتمال فيعلم أن الله سبحانه قد أنجز نبيه ما وعده وأهلك القوم الظالمين الذين قدم ذكرهم ووصفهم ووعد باغراقهم .

٣ ـ الاشارة :

الفن الثالث من فنون هذه الآية فن الاشارة وقد تقدم بحثه وعرفه قدامة فقال : هو أن يكون اللفظ القليل دالاً على الكثير من المعاني حتى تكون دلالة اللفظ بمثابة الإشارة باليد أو الايماءة بالحاجب والعين فانها تشير بحركة واحدة سريعة الى أشياء كثيرة تستوعب العبارات الطويلة ومن أمثلتها في الآية التي نحن بصددها قوله « وغيض الماء » فإن غيض الماء يشير الى انقطاع مادة الماء من نبع الارض ومطر السماء ولولا ذلك لما غاض الماء .

٤ ـ الارداف :

أما الفن الرابع فهو فن عجب في بابه ، وهو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ، ولا بلفظ الاشارة الدال على المعاني الكثيرة بل بلفظ هو ردف المعنى الخاص وتابعه قريب من لفظ المعنى قرب الرديف من الردف وهو هنا في قوله تعالى « وقضي الأمر » وحقيقة ذلك : وهلك من قضى الله هلاكه ونجا من قضى نجاته وانما عدل عن هذه الحقيقة الى لفظ الارداف من الايجاز والتنبيه على أن هلاك الهالك ونجاة الناجي كان بأمر آمر مطاع ، وقضاء من لا يرد قضاؤه ، والأمر يستلزم آمراً وقضاؤه يدل على قدرة الآمر به وطاعة المأمور تدل على قدرة الآمر وقهره ، وان الخوف من عقابه ورجاء ثوابه يحضّان على طاعة الآمر ، ولا يحصل ذلك كله من اللفظ الخاص.

هذا ومن أمثلة الارداف في الشعر قول أبي الطيب المتنبي :

لو كنت حشو قميصي فوق نُمرُقِها

سمعت للجن في غيطانها زجلا

ومراده نفسه بقوله « حشو قميصي » ، يقول : لو كنت بدلي تحت ثيابي وفوق نمرق ناقتي وهو الذي يلقي عليه الراكب فخذه للاستراحة ، لسمعت جلبة الجن وأصواتهم في منخفض هذه المفاوز البعيدة لأنها مأوى الجن لبعدها عن الإنس، والعرب تجعل المكان البعيد مسكناً للجن تهويلاً له واستيحاشاً منه .

٥ ـ الاحتراس :

والفن الخامس في هـذه الآية هو الاحتراس وتعريفه أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن لذلك حال العمل فيأتي في أصل الكلام بما يخلصه من ذلك ، ومن أمثلته قوله تعالى فيها : « وقيل بعداً للقوم الظالمين » فإنه سبحانه لما أخبر بهـلاك من هلك بالطوفان أعقبه بالدعاء على الهالكين ووصفهم بالظلم ليعلم أن جميع من هلك كان مستحقاً للعذاب مستأهلاً له احتراساً من ضعيف يتوهم أن الهلاك بعمومه قد شمل من لا يستحق العذاب فلما دعا على الهالكين علم أن كل من هلك كان مستحقاً للهلاك لأنه قد ثبت بالبرهان أنه عادل فلا يدعو إلا على من يستحق الدعاء ووصفهم بعد الدعاء عليهم بالظلم فإن لم يكونوا ظالمين فقد دخل خبره الخلف وخبره منزه عن ذلك فوقع هـذا الدعاء وهـذا الوصف احتراساً من ذلك الـذي قدر توهمه والاحتراس يبدو جملاً في الشعر ومنه قول طرفة المشهور :

فسقى ديـارك غـير مفسدهـا
صوب الربيـع وديمـة تهمي

فقوله « غير مفسدها » احتراس من محو معالمها وطمس آثارها وقد جنح أبو الطيب اليه كثيراً فقال :

ويحتقر الـدنيا احتقـار مجرب
يرى كل ما فيها ، وحاشاك ، فانيا

فقوله « وحاشاك » احتراس من دخولـه في كل من فيها •

وقوله أيضاً :

إذا خلت منك حمص لا خلت أبداً

فـلا سقاهـــا من الوسمي باكره

فقوله « لا خلت أبداً » احتراس من توهم الدعاء عليه .

٦ ـ حسن النسق :

والفن السادس من فنون هذه الآية العجيبة هو فن النسق وهو عبارة عن أن يأتي المتكلم بالكلمـــات من النثر والأبيـــات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً لامعيباً مستهجناً ، والآية من أولها الى آخرها من شواهد هذا الفن فقد ترادفت الجمل منسوقة بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة لأنه سبحانه بدأ بالأهـــم إذ كان المراد اطـلاق أهـــل السفينة من سجنها ولا يحصل ذلك ولا يتأتى إلا بانحسار المـــاء عن الأرض فلذلك بدأ بالأرض فأمرها بالابتـــلاع وثنى بالسماء فأمرها بالاقلاع لئلا يتأذى بذلك أهل السفينة ثم أخبر بغيض الماء عندما ذهب ماء الأرض وانقطع ماء السماء ثم قال « وقضي الأمر » أي هلك من جفّ القلم بهلاكه ، ونجا من سبق العلم بنجاته وهذه حقيقة المعجزة وكنه الآية ولا بد أن تكون معلومة لأهل السفينة ولا يتسنى علمهم بها إلا بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم فلذلك اقتضت البلاغة أن تأتي هذه الجملة رابعة الجمل وكذلك استقرار السفينة على الجودي أي استقرارها على المكان الذي استقرت عليه استقراراً لا حركة معه لتبقى آثارها آية لمن يأتي بعد أهلها وعدل عن لفظـــة استقرت الى لفظـــة

استوت لما يحتمله الاستقرار من الزيغ والميل ويدل عليه الاستواء من استقامة وعدم انحراف وفي هذا طمأنينة أهل السفينة وأمنهم بعد المخافة وافراخ روعهم إذا كان استقرارها استقراراً فقط بحيث لا تؤمن معه الحركة لكانت حالهم في مكابدة الحركة واضطراب القلوب ووجيفها واحدة في حال سيرها ووقوفها ثم قال أخيراً « وبعداً للقوم الظالمين »وهذا دعاء أوجبه الاحتراس ممن يظن أن الغرق لشموله الأرض ربما أودى بمن لا يستحق العذاب فدعا على الهالكين ووصفهم بالظلم ليعلم أن الهلاك إنما شمل من يستحق العذاب دون سواهم احتراساً من هذا الاحتمال .

٧ ـ التنظير :

والفن السابع فيها هو فن التنظير وقد تكلم عنه ابن الاثير في كتابه الاستدراك تحت اسم المفاضلة بين الشعراء ليظهر الأفضل منهما وهو الى النقد أقرب منه الى فنون البديع ، وحدّه أن ينظر الانسان بين كلامين إما متفقي المعاني أو مختلفي المعاني ليظهر الأفضل منهما ، والآية التي نحن بصددها تناولت قصة الطوفان التي انطوت على الكثير من العقد والحلول والعبر فإذا نظرتها بغيرها من القصص وجدتها سامية عليها جميعاً باستقصاء جميع ما اتفق فيها وما سنح .

٨ ـ المناسبة اللفظية :

بين ابلعي واقلعي وهي تشبه المناسبة التي مرت في قوله « لهم شراب من حميم وعذاب أليم » بسورة يونس .

٩ ـ الجناس الناقص :

بين ابلعي واقلعي ويسميه بعضهم المضارعة ويكون أنواعاً منها أن يختلف حرف في الكلمتين بعد أن تتفق بقية الأحرف ومثله قوله تعالى « وهم ينهون عنه وينأون عنه » وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل سمعه وهو ينشد على سبيل الافتخار وقيل بل سأله عن نسبه فقال :

إني امرؤ حميري حين تنسبني ... لا من ربيعة آبائي ولا مضر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ذلك والله ألأم لجدك ، وأضرع لخدك ، وأقل لعدك ، وأبعد لك عن الله ورسوله » .

١٠ ـ الطباق :

والفن العاشر هو الطباق فقد طابق بين السماء والأرض .

١١ ـ الاستعارة :

والفن الحادي عشر هو الاستعارة المكنية الكائنة في نداء الأرض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التحضيض والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا أرض ويا سماء ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم والبلع عبارة عن تغدير الماء وشربه في بطنها مستعار لهذا المعنى من بلع الحيوان أي ازدراده لطعامه وشرابه والبلع هو أثر القوة الجاذبة في المطعوم لكمال الشبه بينهما وهو

الذهاب الى مقر خفي ومع هذا فهي قرينة للاستعارة المكنية التي في الماء أي استعارة الماء للغذاء لجامع تقوي الأرض بالماء في الإنبات تقوي الآكل بالطعام .

١٢ ـ المجاز المرسل :

وذلك في قوله « يا سماء » فان الحقيقة : ويا مطر السماء اقلعي ، والعلاقة في هذا المجاز السببية لأن المـاء سبب المطر أو المحلية لأنها محلها بما يتجمع فيها من سحب واضافة المـاء الى الأرض مجاز أيضاً تشبيهاً لاتصاله بها باتصال الملك بالمالك ، وفيها نكتة أخرى وهي التنبيه على حدوث هذا الماء من الأرض أيضاً لا من السماء فقط كما يدل عليه قوله تعالى « وفار التنور » .

١٣ ـ التمثيل :

وهو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الخاص ولا بلفظي الاشارة والارداف بل بلفظ هو أبعد من لفظ الارداف قليلاً يصلح أن يكون مثلاً للفظ الخاص لأن المثل لا يشبه المثل من جميع الوجوه ولو تماثل المثلان من كل الوجوه لاتحدا ، وقد تقدم تفصيل هذا الفن في قوله « واستوت على الجودي » فإن حقيقة ذلك : وجلست على ذلك المكان فعـدل عن الحقيقة الى التمثيل لمـا في الاستواء من الاشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل ولا حركة معه ولا اضطراب .

١٤ ـ الايجاز :

فقد اقتص سبحانه القصة بلفظها مستوعبة بحيث لم يخلُ منها بشيء في أخصر عبارة وبألفاظ غير مطولة .

١٥ ـ التسهيم :

وهو أن يكون ما تقدم من الكلام دليلاً على ما يتأخر منه أو بالعكس والتسهيم في الآية هو أن أول الآية يقتضي آخرها •

١٦ ـ التهذيب :

لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن ، وكل لفظة سهلة مخارج الحروف ، سلمت من التنافر والغرابة ومخالفة القياس •

١٧ ـ التمكين :

لأن الفاصلة مستقرة في قرارها مطمئنة في مكانها غير قلقة ولا ناشزة •

١٨ ـ الانسجام :

وهو تحديد الكلمات بسهولة وعذوبة مع الجزالة التي يقتضيها المقام ويتطلبها مقتضى الحال •

١٩ ـ الارصاد :

وهو أن يحدس القارىء بالفاصلة قبل أن يتلفظ بها •

٢٠ ـ ائتلاف اللفظ مع المعنى :

وهو ما يسميه أهل الفن المزاوجة بين الألفاظ حتى لقد قال أناتول فرانس الكاتب الفرنسي : « ان بين الألفاظ زواجاً كاثوليكياً »

وكل لفظة لا يصلح في موضعها غيرها ، وقد كان أبو تمام يحرص في شعره على هذا الفن فاستمع الى قوله :

وفي الكلّــة الوردية اللون جؤذر
من الانس يمشي في رقاق المجاسد
رمته بخلف بعــد أن عاش حقبة
له رسفان في قيــود المواعــد

وفاعل رمته في أبيات سبقت ، وهذا أمر تعجز الألفاظ عن إيجاد حدود له وانما هو مما يستشعره الذوق وحده على حد قول فولتير : « ذوقك أستاذك » .

٢١ ـ الاستعارة المتكررة :

فاذا أضفت إلى ما تقدم أن الاستعارة وقعت فيها في موقعين وهما استعارة الابتلاع والاقلاع حصل لك واحد وعشرون فناً .

هذا وقد أضاف بعض البلاغيين إلى هذه الفنون ما يلي :

١ ـ ومنها انه تعالى لم يصرح بفاعل غيض وقضي وقيل ، كما لم يصرح في صدر الآية بقائل قيل وكذا لم يصرح بمن سوى السفينة تنبيهاً على أن تلك الأمور العظام لا يتصور وقوعها إلا من قادر لا يكتنه وقهار لا يغالب فلا يذهب الوهم إلى فاعل غيره ولا ينشط الخيال الى مدى أبعد من هذا المدى وقيل في وجه العدول عن تصريح الفاعل

اشارة الى أن هــذه الأمور أهون عند الله تعــالى من أن ينسبها الى قدرته صراحة ٠

٢ ــ ومنها إفراد الماء إشعاراً بأن هذا ا لماء لم يحصل من اجتماع المياه وتكاثرها بل هو نوع واحد حصل بقدرته تعالى دفعة واحدة ٠

٣ ــ ومنهــا افراد « أرض » إشارة الى شمول هــذا الماء الكل بحيث صار الكل بمثابة شيء واحد باعتبار هذا الشمول ، وأيضاً افراد « سماء » إشارة الى أن المراد بها هاهنا جهة العلو الذي لا يكتنــه مداه لا الاجرام العلوية ٠

٤ ــ ومنها التعريض الذي اختتم بهالكلام تنبيهاً لسالكي مسكهم والجانحين جنوحهم في تكذيب الرسل الى أن ما حل بهم من إغراق شمل العالم بأسره لم يكن إلا لظلمهم وإمعانهم في اللجاج والتمادي في الإنكار ٠

٥ ــ ومنها ذكر مفعول ابلعي لئلا يعم بالحذف ابتلاع البحار وسواكن الماء كما يقتضيه مقام الكبرياء ٠

٦ ــ ومنها تقديم أمر الأرض على السماء لابتداء الطوفان منها ٠ هذا وقد ذكر السكاكي أسراراً أخرى أضربنا عنها لما فيها من تكلف قد يحيل الأمر الى العكس ٠

الفوائــد :

١ ــ قد يقام المصدر المؤكد مقام فعله المستعمل أو المهمل فيمتنع ذكره معه وهو نوعان :

أ ــ مالا فعل له أصلاً من لفظه نحو ويلك وويحك وبنه الأكف وسبحان الله •

ب ــ ماله فعل مستعمل من لفظه وهو نوعان : نوع واقع في الطلب وهو الوارد في دعاء بخير أو ضده فالأول كسقيا ورعيا والأصل سقاك الله سقياً ورعاك الله رعياً أو الوارد نهياً أو أمراً نحو قياماً لا قعوداً وكذلك النوعي نحو « فضرب الرقاب » أي فاضربوا ضرب الرقاب ونوع واقع في الخبر نحو حمداً وشكراً لا كفراً ، ولها أنواع مذكورة في المطولات والجار والمجرور الواقعان بعد نحو سقيا لك وبعداً للقوم الظالمين متعلق بمحذوف خرج مخرج البيان التقدير إرادتي لهم ولا تتعلق بالمصدر فنحو سقيا لك على هذا جملتان •

٢ - لام التبيين

ويجدر بنا هنا أن نورد خلاصة وجيزة لهذه اللام التي شغلت النحاة كثيراً ولم يوفوها حقها من الشرح وهي ثلاثة أنواع :

أ ــ ما تبين المفعول من الفاعل وضابطها أن تقع بعد فعل تعجب أو اسم تفضيل مفهمين حباً أو بغضاً تقول : ما أحبني وما أبغضني فإن قلت : لفلان ، فأنت فاعل الحب والبغض وهو مفعولهما وإن قلت : الى فلان ، فالأمر بالعكس •

ب و ج : ما يبين فاعلية غير ملتبسة بمفعولية وما يبين مفعولية غير ملتبسة بفاعلية ومصحوب كل منهما إما غير معلوم مما قبلها أو معلوم لكن استؤنف بيانه تقوية للبيان وتوكيداً له واللام في ذلك كله

متعلقة بمحذوف . مثال المبينة للمفعولية : سقياً لك وجدعاً لك فهذه اللام ليست متعلقة بالمصدرين ولا بفعليهما المقدرين لأنهما متعديان بنفسيهما كالمصدرين و « لا » هي ومجرورها صفة للمصدر فتتعلق بالاستقرار لأن الفعل لا يوصف فكذا ما أقيم مقامه وإنما هي لام مبينة للمدعو له أو عليه والتقدير إرادتي لك ، ومثال المبينة للفاعلية : تباً لزيد وويحاً له ، فإنه في معنى خسر وهلك وحينئذ فزيد هو الفاعل واللام متعلقة بمحذوف إرادتي كائنة لزيد .

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

الاعراب :

(ونادى نوح ربه فقال : رب إن ابني من أهلي) الواو استئنافية والنداء على ما يبدو كان قبل سير السفينة لأنه سؤال في نجاة ابنه ولا معنى للسؤال إلا عند امكان النجاة ، ونادى نوح فعل وفاعل وربه مفعول به ، فقال الفاء حرف عطف وقال فعل ماض معطوف على نادى عطف تفسير لأن القول المذكور هو عين النداء ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وإن واسمها ومن أهلي خبرها وإنما أورد ذلك لأن الله تعالى وعده بنجاة أهله . وللمفسرين كلام طويل حول بنوة هذا الابن يخرج عن نطاق هذا الكتاب . (وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) الواو عاطفة وان واسمها وخبرها وأنت أحكم الحاكمين مبتدأوخبر والجملة معطوفة أيضاً . (قال يانوح إنه ليس من أهلك)قال فعل ماض وضمير الله فاعله المستتر وان واسمها وجملة ليس من أهلك خبر إن ومن أهلك خبر ليس . (إنه عمل غير صالح) ان واسمها والضمير يعود الى ابنه ولا مبرر لقول من قال إن الضمير يعود الى سؤاله كما ذهب الجلال وغيره لأن بلاغة الكلام تستبعده وعمل خبر إنوهو من باب إقامة الصفة مقام الموصوف عند ظهور المعنى وقد تقدمت الاشارة إليه ومنه قول عمر بن أبي ربيعة :

أيها القائل غير الصواب أخّر النصح وأقلل من عتابي

وقوله أيضاً :

وكم من قتيل لا يُباء به دم ومن غَلِقٍ رهناً إذا ضمّه منى

ومن مالىء عينيه من شيء غـــيره
إذا راح نحو الجمرة البيض كالــدمى

أراد أيها الانسان القاتل وكم من إنسان قتيل • وقول الخنساء :

ترتـــع ما رتعت حتى إذا ادّكـرت
فإنمـــا هي إقبـــال وإدبـــار

وغير صالح صفة لعمـل والجملة تعليل لانتفاء كونه من أهله الناجين • (فلا تسألن ما ليس لك به علم) الفاء الفصيحة ولا ناهية وتسأل فعل مضارع مجزوم بلا والنون للوقاية وياء المتكلم المحذوفة للتخفيف مفعول به وما مفعول به ثان وجمـلة ليس صلة واسم ليس علم ولك خبرها المقدم وبه جار ومجرور متعلقان بعلم • (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) إن وإسمها وجملة أعظك خبرها وان وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض أي أخوفك من أن تكون ، والجار والمجرور متعلقان بأعظك واسم تكون مستتر تقديره أنت ومن الجاهلين خبر تكون وسيأتي في باب الفوئد معنى تسمية سؤال نوح جهـلاً (قال ربّ إني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم) إنواسمها وجملة أعوذ خبرها وبك متعلقان بأعوذ وأن ومافيحيزها منصوب بنزع الخافض وماليس لي بهعلم تقدم إعرابها • (وإن لا تغفرلي وترحمني أكن من الخاسرين) الواو عاطفة وإن شرطية ولا نافية وتغفر فعل الشرط ولي جار ومجرور متعلقان به وترحمني عطف على تغفر وأكن جواب الشرط واسمها مستتر تقديره أنا ومن الخاسرين خبرها • (قيـل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك) اهبط فعل أمر وبسلام جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل اهبط أي متلبساً بسلام ومنّا صفـة لسلام أو بنفس سلام وبركات عطف على سلام وعليك صفة • (وعلى أمم ممن معك)

وعلى أمم عطف على عليك وممن صفة لأمم ومعك ظرف مكان صلة الموصول • (وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) الواو استئنافية وأمم مبتدأ وساغ الابتداء به لأنه موصوف تقدير أي وأمم ممن معك وجملة سنمتعهم خبرها أو تجعل سنمتعهم صفة والمحذوف هو الخبر وإنما حذف لأن قوله ممن معك يدل عليه ، ثم حرف عطف للتراخي ويمسهم فعل مضارع ومفعول به ومنا حال لأنه كان صفة لعذاب وعذاب فاعل وأليم صفة ثانية • (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك) تلك مبتدأ ومن أنباء الغيب خبر أول وجملة نوحيها إليك خبر ثان وإن شئت كان في موضع الحال أي تلك كائنة من أنباء الغيب موحاة إليك • (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) خبر ثالث وهذا أولى الأعاريب وكان واسمها وجملة تعلمها خبر كنت و « ها » مفعول به وأنت تأكيد لفاعل تعلمها المستتر ولا قومك عطف على أنت ومن قبل هذا حال من الهاء في نوحيها أو الكاف في إليك أي جاهلاً أنت وقومك بها • (فاصبر إن العاقبة للمتقين) الفاء الفصيحة أي ان عرفت هذه القصة ومنطوياتها وما آلت إليه حادثة الطوفان فاصبر وجملة إن العاقبة للمتقين من إن واسمها وخبرها تعليلية وهذا هو المقصود من قصة نوح والقصص التي ستتلوها •

الفوائد :

للمفسرين كلام طويل في هذه الآية وتعليل وصف سؤال نوح بالجهل وهو يدل على عدم العصمة حتى لقد ذهب الزمخشري الى أن نوحاً عليه السلام صدر عنه ما يوجب نسبة الجهل اليه ومعاتبته على ذلك ويطول بنا القول إن أردنا أن ننقل ما أوردوه أو نلخصه على الأقل وأقرب ما يقال في ذلك انه لما صدر الوعد الى نوح بنجاة أهله إلا من

سبق عليه القول منهم ولم يكن كاشفاً لحال ابنه المذكور ولا مطلعاً على دخيلة نفسه وحقيقة أمره بل معتقداً بظاهر الحال أنه مؤمن بقي على التمسك بصيغة العموم للأهلية الثابتة ولم يعارضها يقين في كفر ابنه حتى يخرج من الأهل ويدخل في المستثنين فسأل الله فيه بناء على ذلك فتبين له أنه في علمه من المستثنين وانه هو لا علم له بذلك فلذلك سأل فيه وهذا بأن يكون ابانة عذر أولى منه أن يكون عتباً وأما قوله : « إني أعظك أن تكون من الجاهلين » فالمراد منه النهي عن وقوع السؤال في المستقبل بعد أن أعلمه الله باطن أمره وأنه إن وقع في المستقبل السؤال كان من الجاهلين والغرض من ذلك تقديم ما يبقيه على سمة العصمة ، والموعظة لا تستدعي وقوع ذنب وقد أشفق نوح من اقدامه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فخاف من ذلك الهلاك فلجأ الى ربه وخشع له ودعاه وسأله المغفرة والرحمة لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين •

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا

عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

اللغـــة :

(فطرني) : فطر الله الخلق وهو فاطر السموات مبتدعها وافتطر

الأمر ابتدعه « وكل مولود يولد على الفطرة » أي على الجبلة وقد فطر هذه البئر وفطر الله الشجر بالورق فانفطر به وتفطّر ، وتفطّرت الأرض بالنبات ، وتفطرت اليد والثوب : تشققت وفطر ناب البعير : طلع وفطرت المرأة العجين ، وهذا كلام يفطر الصوم أي يفسده .

(مدراراً) : المدرار : الكثير الدرور كالمغزار ولم يؤنثه وإن كان من مؤنث لثلاثة أسباب أحدها أن المراد بالسماء السحاب أو المطر فذكر على المعنى والثاني أن مفعالاً للمبالغة فيستوي فيه المذكر والمؤنث كصبور وشكور والثالث أن الهاء حذفت من مفعال على طريق النسب وفي القاموس : درت السماء بالمطر دراً ودروراً فهي مدرار .

(الناصية) : منبت الشعر من مقدّم الرأس ويسمى الشعر النابت أيضاً ناصية باسم محله ونصوت الرجل أخذت بناصيته فلامها واو ويقال له ناصاة فقلبت ياؤها ألفاً فالأخذ بالناصية عبارة عن الغلبة والقهر وإن لم يكن ثمة أخذ بناصيته ولذا كانوا إذا منّوا على أسير جزوا ناصيته .

الاعراب :

(وإلى عاد أخاهم هوداً) عطف على قصة نوح والمعطوف محذوف أي وأرسلنا الى عاد فيكون من عطف الجمل لا من عطف المفردات لطول الفصل وعاد اسم قبيلة وصرفها لأنه أراد الحي ولو أراد القبيلة لم تصرف وأخاهم مفعول لأرسلنا المحذوفة وأراد أخوتهم في النسب وهوداً بدل أو عطف بيان وسيرد في باب الفوائد الفرق الدقيق بين البدل وعطف البيان . (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره)

اعبدوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وما نافية ولكم خبر مقدم ومن حرف جر زائد وإله مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر وغيره صفة لإله على المحل ويجوز الجر صفة على اللفظ وقد قرىء بها • (إن أنتم إلا مفترون) إن نافية وأنتم مبتدأ وإلا أداة حصر ومفترون خبر أنتم (يا قوم لا أسألكم عليه أجراً) لا نافية وأسألكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به أول وعليه حال وأجراً مفعول به ثان • (إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون) إن نافية وأجري مبتدأ وإلا أداة حصر وعلى الذي خبر وجملة فطرني صلة والهمزة للاستفهام والفاء حرف عطف وقد تقدم بحث هذا التركيب وتعقلون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل • (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً) استغفروا ربكم فعل أمر وفاعل ومفعول به ، ثم توبوا اليه عطف على استغفروا ، ويرسل فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب والسماء مفعول به وعليكم جار ومجرور متعلقان بمدراراً ومدراراً حال من السماء وقد تقدم ذكر انسيب في عدم تأنيثها • (ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) ويزدكم عطف على يرسل والكاف مفعول به أول وقوة مفعول به ثان وإلى قوتكم صفة والى بمعنى مع ولا تتولوا لا ناهية وتتولوا مجزوم بلا ومجرمين حال من الواو • (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة) يا حرف نداء وهود منادى مفرد علم مبني على الضم وما نافية وجئتنا فعل وفاعل ومفعول به وببينة جار ومجرور متعلقان بجئتنا فتكون الباء للتعدية ويجوز أن تتعلق بمحذوف على أنها حال أي مستقراً أو متلبساً ببينة • (وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك) الواو عاطفة وما حجازية ونحن اسمها والباء حرف جر زائد وتاركي مجرور لفظاً منصوب محلاً على

أنه خبر ما وعن قولك حال من الضمير في تاركي كأنه قال وما تترك آلهتنا صادرين عن قولك ويجوز أن تكون عن للتعليل والمعنى وما نحن بتاركي آلهتنا لقولك فيتعلق بنفس تاركي • (وما نحن لك بمؤمنين) الواو عاطفة وما حجازية نحن اسمها ولك متعلقان بمؤمنين والباء حرف جر زائد ومؤمنين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما • (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) إن نافية ونقول فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن وإلا أداة حصر وجملة اعتراك معمول لنقول أي منصوبة بمصدر محذوف ، وذلك المصدر منصوب بنقول أي : إلا قولنا اعتراك ، والكاف مفعول به وبعض آلهتنا فاعل وبسوء جار ومجرور متعلقان باعتراك والمعنى ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وسيأتي مزيد بحث عن هذه الفائدة في باب الفوائد •

(قال : إني أشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون) إن واسمها وقد كسرت همزتها بعد القول وجملة أشهد خبرها واشهدوا فعل أمر وأن المفتوحة الهمزة وما في حيزها معمول لاشهدوا أو لأشهد الله ، على أن المسألة من باب التنازع وسيأتي بحث التنازع في باب الفوائد ، وان واسمها وخبرها ومما متعلقان ببريء وجملة تشركون صلة ويجوز أن تكون ما مصدرية أي من اشراككم • (من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون) من دونه حال ، فكيدوني الفاء الفصيحة وكيدوني فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء المحذوفة للتخفيف مفعول به وجميعاً حال ثم حرف عطف ولا ناهية وتنظرون فعل مضارع مجزوم بلا والياء المحذوفة للتخفيف مفعول به • (إني توكلت على الله ربي وربكم) اني : ان واسمها وجملة توكلت خبرها وعلى الله جار ومجرور متعلقان بتوكلت وربي بدل أو صفة وربكم عطف على ربي •

(ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) ما نافية ومن حرف جر زائد ودابة مبتدأ وساغ الابتداء بالنكرة لسبقها بالنفي وإلا أداة حصر وهو مبتدأ وآخذ خبر وبناصيتها جار ومجرور متعلقان بآخذ • (إن ربي على صراط مستقيم) إن واسمها وعلى صراط خبرها ومستقيم صفة • (فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم) الفاء عاطفة وإن شرطية وتولوا فعل مضارع حذفت فيه إحدى التاءين والأصل تتولوا وهو فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو فاعل والفاء رابطة وقد حرف تحقيق وأبلغتم فعل وفاعل ومفعول به وما مفعول به ثان وجملة أرسلت صلة وبه متعلقان بأرسلت وإليكم حال • (ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً) كلام مستأنف ولذلك رفعه ولم ينسقه على الجواب على أنه قرىء بالجزم أيضاً على الموضع وهو صحيح لا غبار عليه وربي فاعل وقوماً مفعول به وغيركم صفة لقوماً ولا تضرونه عطف على يستخلف وشيئاً مفعول مطلق أي شيئاً من الضرر • (إن ربي على كل شيء حفيظ) إن واسمها وعلى كل شيء متعلقان بحفيظ وحفيظ خبر ان • (ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا) لما ظرفية حينية متعلقة بنجينا أو رابطة وجاء أمرنا فعل وفاعل ونجينا هوداً فعل وفاعل ومفعول به والذين عطف على هود وجملة آمنوا صلة ومعه ظرف مكان متعلق بآمنوا وبرحمة متعلقان بنجينا ومنا صفة لرحمة • (ونجيناهم من عذاب غليظ) ونجيناهم فعل وفاعل ومفعول به ومن عذاب جار ومجرور متعلقان بنجيناهم وغليظ صفة لعذاب • (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) الواو استئنافية والجملة مستأنفة سيقت لتلخيص القبائح التي ارتكبها قوم عاد وتلك مبتدأ وعاد بدل أو عطف بيان وجملة جحدوا خبر تلك ولك أن تجعل تلك عاد مبتدأ وخبراً ثم تستأنف ، وبآيات متعلقان بجحدوا وربهم مضاف

وعصوا رسله فعل وفاعل ومفعول به • (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) واتبعوا عطف عـلى جحدوا وأمر مفعول به وكل مضاف إليه وجبار مضاف لكل وعنيد صفة لجبار • (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) واتبعوا عطف على ما تقدم وهو فعـل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل وفي هذه الدنيا متعلقان بأتبعوا والدنيا بدل من اسم الاشارة ولعنة مفعول به ثان ويوم القيامة ظرف متعلق بفعل محذوف تقديره اتبعوا ، وأجاز الفارسي أن يكون يوم القيامة عطفاً على محل هذه لأن قوله في هذه جار ومجرور متعلقان بأتبعوا فهو عامل في محل النصب ولا مانع من عطف الزمان على الدنيا لأنها ظرف مكان فاشتركا في الظرفية • (ألا إن عاداً كفروا ربهم) ألا أداة تنبيه وان واسمها وكفروا فعل وفاعل وربهم منصوب بنزع الخافض ولك أن تنصبه على المفعولية بتضمين كفروا معنى جحدوا • (ألا بعداً لعاد قوم هود) ألا أداة تنبيه تأكيد للأولى وبعداً تقدم اعرابها وتقدم معنى اللام وتعليقها مفصلاً في موضع قريب فجدد به عهداً ، وقوم بدل أو عطف وهود مضاف إليه •

البلاغـة :

في قوله تعالى : « قال إني أشهـد الله واشهـدوا اني بريء مما تشركون » فإنه إنما قال : أشهد الله واشهدوا ، ولم يقـل وأشهدكم ليكون موازناً له وبمعناه لأن إشهاده الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم ولذلك عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر كقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد عليّ اني لا أحبك تهكماً

به واستهانة بحاله ، هـذا من جهة ومن جهـة ثانية فإن صيغة الخبر لا تحتمل سوى الاخبار بوقوع الاشهاد منه فلما كان اشهاده لله واقعاً ومحققاً عبر عنه بصيغة الخبر لأنه إشهاد صحيح وثابت وعبر في جانبهم بصيغة الأمر التي تتضمن الاستهانة بدينهم وهو مراده في هذا المقام ومن جهة ثالثة إنما عدل الى صيغة الأمر عن صيغة الخبر للتمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم بأن يعبر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر التي هي أجل وأشرف وأوقر للمخاطب من صيغة الأمر •

الفوائـد :

١ ـ الفرق بين عطف البيان والبدل :

أوجه الشبه بينهما :

أوجه الشبه بين عطف البيان والبدل أربعة وهي :

١ ـ ان فيه بياناً كما في البدل للثاني •

٢ ـ انه يكون بالأسماء الجوامد كالبدل •

٣ ـ انه يكون لفظه لفظ الاول على جهة التأكيد •

٤ ـ كلاهما تابع •

أوجه المفارقة بينهما :

أما أوجه المفارقة بينهما فهي :

١ ـ ان البدل يكون هو المقصود بالحكم دون المبدل منه وأما

عطف البيان فليس هو المقصود بل ان المقصود بالحكم هو المتبوع. وإنما جيء بعطف البيان توضيحاً له وكشفاً عن المراد منه •

٢ ـ كل ما جاز أن يكون عطف بيان جاز أن يكون بدل الكل من الكل إذا لم يمكن الاستغناء عنه أو عن متبوعه فيجب حينئذ أن يكون عطف بيان فمثال عدم جواز الاستغناء عن التابع قولك : فاطمة جاء حسين أخوها ، لأنك لو حذفت « أخوها » من الكلام لفسد التركيب •

٣ ـ ان عطف البيان يجري على ما قبله في تعريفه وليس كذلك البدل لأنه يجوز أن تبدل النكرة من المعرفة والمعرفة من النكرة ولا يجوز ذلك في عطف البيان •

٤ ـ ان البدل يكون بالمظهر والمضمر وكذلك المبدل منه ولايجوز ذلك في عطف البيان وان البدل قد يكون غير الاول كقولك : سلب زيد ثوبه ، وعطف البيان لا يكون غير الاول •

٢ ـ الفائدة الثانية :

« إن نقول إلا اعتراك » إن حرف نفي لحقت نقول فنفت جميع القول إلا قولا واحداً وهو قولهم اعتراك بعض آلهتنا بسوء والتقدير ما نقول قولاً إلا هذه المقالة والفعل يدل على المصدر وعلى الظرف وعلى الحال ويجوز أن يذكر الفعل ثم يستثنى من مدلوله ما دلّ عليه من المصادر والظروف والأحوال فنقول اعتراك مستثنى من المصدر الذي دل عليه ، نقول كقوله تعالى « فما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى » فنصب

موتتنا على الاستثناء لأنه مستثنى من ضروب الموت الذي دل عليه قوله بسيتين ومما جاء من ذلك في الظروف قوله « ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار » فساعة استثناء مما دل عليه لم يلبثوا من لأوقات ، ومما جاء من ذلك في الحال قوله « ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله » التقدير ضربت عليهم الذلة في جميع الأحوال أينما ثقفوا إلا متمسكين بحبل أي بعهد من الله .

٣ ـ الفائدة الثالثة : التنازع :

هو أن يتقدم فعلان متصرفان أو اسمان يشبهانهما ويتأخر عنهما معمول وهو مطلوب لكل منهما كقوله تعالى « آتوني أفرغ عليه قطرا » ولك أن تعمل في الاسم المذكور أيّ العاملين شئت ، فإن أعملت الثاني فلقربه وإن أعملت الأول فلسبقه فإن أعملت الاول في الظاهر أعملت الثاني في ضميره مرفوعاً كان أم غيره نحو : قام وقعدا أخواك واجتهد فأكرمتهما أخواك ووقف فسلمت عليهما أخواك وأكرمت فسرا أخويك وأكرمت فشكر لي خالداً ، ومن النحاة من أجاز حذفه إن كان غير ضمير رفع كقوله :

بعكاظ يعشي الناظريـــن إذا هم لمحوا شعاعه

وإن أعملت الثاني في الظاهر أعملت الأول في ضميره إن كان مرفوعاً نحو قاما وقعد أخواك واجتهدا فأكرمت أخويك ووقفا فسلمت على أخويك ومنه قول الشاعر :

جفوني ولم أجف الأخلاء إنني لغير جميل من خليلي مهمل

وإن كان ضميره غير مرفوع حذفته نحو أكرمت فسر أخواك وأكرمت فشكر لي خالد وأكرمت وأكرمني سعيد ومررت ومر بي علي؛ وهناك أحكام أخرى للتنازع يرجع اليها في كتب النحو المطولة .

* وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ

فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

اللغـــة :

(واستعمركم) عمركم وأسكنكم فالسين والتاء زائدتان ، أو صيركم عامرين لها فهما للصيرورة ولهذه المادة في اللغة شعاب واسعة نعرضهما فيما يلي : عَمَرَ يَعْمُرُ من باب دخل عَمْراً المنزل بأهله كان مسكوناً وعمر المنزل سكنه فهو معمور وعمر الـدار بناها والاسم العمارة وعمر بالمكان أقام وعمره الله أبقاه ، وعمر يَعْمُرُ من بابي دخل وضرب عُموراً وعَمارة وعُمراناً الرجل بيته لزمه وعمرته كذا جعلته له طول عمره أو عمري واستعمره في المكان جعله يعمره واستعمر الله عباده في الأرض أي طلب منهم العمارة فيها ولكن الكلمة تحولت في العصر الحديث الى معنى الاستعمار المشئوم الذي يسير في طريقه الى الزوال ، والمستعمرات ما تمتلكه دولة من الدول في بلاد غير بلادها فهي مولدة ولكنها صارت من الكلمات الدارجة التي تعبر عن معنى شائع فلا بأس باقرارها ، أما العمر بفتح العــين فهو الحياة والدين ، وفي القسم يقال : لعمري ولعمر الله وهو مبتدأ محذوف الخبر وجوباً تقديره قسمي واللام الداخلة عليه للابتــداء لا للقسم لأنه لا يجوز دخول قسم على قسم وتقول عمر الله ما فعلت بالنصب على المصدرية وسيرد المزيد من هذه المادة والأعاريب المستعملة فيها ونعود الى الآية التي نحن بصددها فنقول معنى واستعمركم فيها أي أمركم بالعمارة

وقد قسم الفقهاء العمارة الى واجب وندب ومباح ومكروه والتفاصيل مذكورة في المطولات ، وعن معاوية بن أبي سفيان : انه أخذ في احياء الأرض في آخر أمره فقيل له ما حملك على ذلك ؟ فقال : ما حملني إلا قول القائل :

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا تكون له في الأرض آثار

وقيل المعنى استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقيل هو من العمرى بمعنى أعمركم فيها دياركم ورثها منكم بعد انصرام أعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها نغيركم .

(فعقروها) : ضربها قدار في رجليها فأوقعها فذبحوها واقتسموا لحمها وقدار هذا شقي معروف أشار إليه زهير بن أبي سلمى في معلقته عندما وصف شؤم الحرب وما تولده من أضرار فقال :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفتم

أراد فتلد الحرب لكم أبناء من خلالها كل واحد منهم يضاهي في الشؤم أحمر عاد وهو عاقر الناقة واسمه قدار بن سالف وأراد أحمر ثمود ولكنه أطلق عليه الاسم الشائع على عاد الثانية وهم قوم ثمود فلا معنى لمن قال ان زهيراً غلط .

(جاثمين) : في المصباح جثم الطائر والأرنب يجثم من باب ضرب جثوماً وهو كالبروك من البعير والفاعل جاثم وجثّام مبالغة .

(لم يغنوا) : لم يقيموا وفي المختار وغني بالمكان أقام به .

الاعراب :

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ ثم عطف سبحانه على ذلك قصة صالح وهي القصة الثالثة من من قصص السورة وقد تقدم اعراب هذه الكلمات بنصها في قصة هود • ﴿ هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ هو مبتدأ وجملة أنشأكم خبر ومن الأرض جار ومجرور متعلقان بأنشأكم واستعمركم فيها عطف على أنشأكم • ﴿ فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب ﴾ الفاء الفصيحة واستغفروه فعل أمر وفاعل ومفعول به ثم حرف عطف وتوبوا إليه عطف على استغفروه وان واسمها وخبراها • ﴿ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا ﴾ قد حرف تحقيق وكان واسمها ومرجواً خبرها وفينا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وقبل ظرف متعلق بمرجواً وهذا مضاف إليه والمراد لقد خيبت رجاءنا فيك لما كنا نتوسمه من مخايل تنبيء بالرشد • ﴿ أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ﴾ الهمزة للاستفهام الانكاري بزعمهم وتنهانا فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض وهما متعلقان بتنهانا وآباؤنا فاعل يعبد • ﴿ وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب ﴾ الواو استئنافية وان واسمها واللام المزحلقة وفي شك خبر إننا ومما صفة لشك وجملة تدعونا صلة ونا مفعول تدعو واليه متعلقان به ومريب صفة لشك • ﴿ قال : يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ﴾ أرأيتم تقدم نظيره أكثر من مرة وهي هنا معلقة عن العمل لمجيء ماله صدر الكلام بعدها وان شرطية وكنت فعل الشرط والتاء اسم كان وعلى بينة خبر كان ومن ربي صفة لبينة • ﴿ وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته ﴾ وآتاني عطف على كنت والياء

مفعول به أول ومنه حال ورحمة مفعول به ثان والفاء رابطة لجواب الشرط ومن اسم استفهام مبتدأ وينصرني فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والجملة خبر وجملة فمن ينصرني جواب إن وإن الثانية شرطية وعصيته فعلها وجوابها محذوف دل عليه جواب الأولى أي فمن ينصرني والاستفهام هنا معناه النفي فكأنه قال فلا ناصر لي من الله إن عصيته وانما جاز الفاء رأيت هنا لأنها دخلت على جملة قائمة بنفسها من جهة أنها تفيد لو انفردت عن غيرها . (فما تزيدونني غير تخسير) الفاء عاطفة وما نافية وتزيدونني فعل مضارع وفاعل ومفعول به وغير مفعول ثان لتزيدونني قال أبو البقاء : الأقوى هنا أن تكون صفة لمفعول محذوف أي شيئاً غير تخسير . (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) الواو عاطفة وهذه مبتدأ وناقة الله خبر ولكم حال لأنه كان في الأصل صفة لآية وتقدمت ، وآية حال من ناقة الله والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل . (فذروها تأكل في أرض الله) فذروها الفاء عاطفة وذروها فعل أمر ومفعول به وتأكل جواب الطلب ولذلك جزم وفي أرض الله متعلقان بتأكل . (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) ولا تمسوها عطف على ما تقدم ولا ناهية وتمسوها مجزوم بلا والواو فاعل والهاء مفعول به وبسوء متعلقان بتمسوها والفاء فاء السببية والكاف مفعول به وعذاب فاعل وقريب صفة . (فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام) فعقروها الفاء عاطفة وعقروها فعل ماض وفاعل ومفعول به ، فقال عطف على عقروها وجملة تمتعوا من فعل الأمر والفاعل مقول القول وفي داركم حال وثلاثة أيام ظرف متعلق بتمتعوا . (ذلك وعد غير مكذوب) اسم الاشارة مبتدأ ووعد خبر وغير مكذوب صفته ومكذوب يجوز أن يكون مصدراً على وزن مفعول نحو المجلود والمعقول والمتشور والمغبون ويجوز أن يكون اسم مفعول

على الأصل وفيه تأويلان أحدهما غير مكذوب فيه ثم حذف حرف الجر فاتصل الضمير مرفوعاً مستتراً في الصفة والثاني انه جعل هو نفسه غير مكذوب لأنه قد وفى به واذا وفى به فقد صدق • (فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطة وجاء أمرنا فعل وفاعل ونجينا صالحاً فعل وفاعل ومفعول به والجملة لا محل لها والـذين عطف عـلى صالحاً وجملة آمنوا صلة ومعه ظرف مكان متعلق بآمنوا • (برحمـة منا ومن خزي يومئذ) برحمـة حال أي ملتبسين برحمة ومناصفة ومن خزي متعلقان بمحذوف دل عليه ما قبله أي ونجيناهـم من خزي ويومئذ يوم مضاف الى خزي ويوم مضاف والظرف وهو إذ مضاف اليه ولـم يفتح اليوم لاضافتـه الى المبني لأن المضاف منفصل من المضاف إليه ولا يلزمه الاضافة فلما لم يلزم الاضافة المضاف لم يلزم فيه البناء ويجوز فتح يوم بالبناء عـلى الفتح لاضافته الى المبني ومن ذلك قوله تعالى « انه لحق مثل ما انكم تنطقون» فمثل في موضع رفع وقد جرى وصفاً للنكرة إلا انه فتح للاضافة إلى ما وسيأتي مزيـد من هـذا البحث • (إن ربك هو القوي العزيز) ان واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والقوي العزيز خبران لإن أو لهو والجملة خبر إن (وأخـذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين) الواو عاطفة على المعنى وأخذ فعل ماض وحذفت منه تاء التأنيث إما لكون المؤنث وهو الصيحة مجازياً أو للفصل بالمفعول به والذين مفعول به وجملة ظلموا صلة والصيحة فاعل فأصبحوا عطف على أخذ والواو اسم أصبح وجاثمين خبرها وفي ديارهم جار ومجرور متعلقان بجاثمين • (كأن لم يغنوا فيها) كأن مخففة من الثقيلة واسمها أي كأنهم ، وجملة لم يغنوا خبرها وفيها متعلقان بيغنوا • (ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود) تقدم إعراب نظيره بحروفه •

الفوائـد :

للأفعال التي تنصب مفعولين ثلاثة أحكام (وهي أفعال القلوب):

١ ـ الإعمال : وهو الأصل فيها وهو نصب مفعولين •

٢ ـ الإلغاء : وهو إبطال العمـل لفظاً ومحلاً لضعف العامل بتوسطه بين المبتدأ والخبر أو تأخره عنهما فلمتوسط كزيد ظننت قائم والتأخر نحو زيد قائم ظننت •

قال منازل بن ربيعة المنقري :

أبالأراجيز يا ابن اللؤم توعـدني

وفي الأراجيز خلت اللـؤم والخور

فوسط خلت بين المبتدأ المؤخر وهو اللؤم والخبر المقدم وهو في الاراجيز •

وقال أبو سيده الدبيري :

وإن لنا شيخـين لا ينفعاننا غنيين لا يجري علينا غناهمـا

هما سيدانا يزعمـان وإنما يسودان إن أيسرت غنماهما

وإلغاء العامل المتأخر أقوى من إعماله والعامل المتوسط بالعكس فالإعمال فيه أقوى من إهماله •

٣ ـ التعليق : وهو ابطال العمل لفظاً لا محلاً لمجيء ماله صدر الكلام بعده وهو :

لام الابتداء نحو « لقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق » فمن مبتدأ وهو موصول اسمي وجملة اشتراه صلة من وعائدها فاعل اشتراه المستتر فيه وما نافية وله وفي الآخرة متعلقان بالاستقرار خبر خلاق ومن زائدة وجملة ماله في الآخرة من خلاق خبر من والرابط بينهما الضمير المجرور باللام وجملة من وخبره في محل نصب معلق عنها العامل بلام الابتداء لأن لها الصدر فلا يتخطاها عامل .

ولام القسم كقول لبيد :

ولقد علمت لتأتين منيتي إن المنايا لا تطيش سهامها

فاللام في لتأتين لام جواب القسم ، والقسم وجوابه في محل نصب معلق عنها العامل بلام القسم .

وما النافية نحو « لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » فما نافية وهؤلاء مبتدأ وينطقون خبره والجملة الاسمية في موضع نصب بعلمت وهي معلق عنها العامل في اللفظ بما النافية .

ولا وإن النافيتان الواقعتان في جواب قسم ملفوظ به أو مقدر فالقسم الملفوظ نحو : علمت والله لازيد في ولا عمرو وعلمت والله إن زيد قائم .

والاستفهام وله صورتان :

آ ـ أن يعترض حرف الاستفهام بين العامل والجملة بعده نحو « وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون » فقريب مبتدأ وأم بعيد معطوف عليه وما اسم موصول في محل رفع خبر المبتدأ وما عطف عليه وجملة توعدون صلة الموصول والعائد محذوف وجملة المبتدأ وخبره في موضع نصب بأدري المعلق بالهمزة .

ب ـ أن يكون في الجملة اسم استفهام عمدة كان نحو « لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا » فأي اسم استفهام مبتدأ وأحصى خبره وهو فعل ماض وقيل اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد وجملة المبتدأ والخبر معلق عنها نعلم لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ولا فرق في العمدة بين المبتدأ كما مر والخبر نحو علمت متى السفر والمضاف إليه نحوعلمت أبو من زيد أو الخبر نحو علمت صبيحة أي يوم سفرك أو فضلة نحو « سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » فأي منقلب مفعول مطلق منصوب بينقلبون مقدم من تأخير والاصل ينقلبون أي انقلاب وليست أي مفعولاً به ليعلم كما قد يتوهم لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وجملة ينقلبون معلق عنها العامل فهي في محل نصب .

تنبيه هام :

إنما يعطف على محل الجملة المعلق عنها العامل مفرد فيه معنى الجملة فتقول علمت لزيد قائم وغير ذلك من أموره ولا تقول علمت لزيد قائم وعمرو لأن مطلوب هذه الأفعال إنما هو مضمون الجمل فإن كان في الكلام مفرد يؤدي معنى الجملة صح أن تتعلق به وإلا فلا .

قال كثير عزة :

وما كنت أدري قبل عزة ما البكا

ولا موجعات القلب حتى تولت

فعطف موجعات بالنصب بالكسرة على محل ما البكا الذي علق عن العمل فيه قوله أدري

وأبحاث الإلغـــاء والتعليق تضيق عن استيعابها هذه الفوائد فحسبنا ما ذكرناه ومن شاء المزيد فليرجع الى المطولات •

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

اللغــــة :

(العجل) : ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة أهـل السراة ويجمع على عجول وعجلة وعِجّال وعجاجيل قيل : سمي بذلك لتعجيل أمره بقرب ميلاده .

(حنيذ) : المشوي على الحجارة المحماة في حفرة من الأرض وهو من فعل أهل البادية وكان سميناً يسيل منه الودك وكان عامة مال ابراهيم البقر وفي المختار حنذ الشاة شواها وجعـل فوقها حجارة محماة لينضجها فهي حنيذ وبابه ضرب .

(نكرهم) : في المختار : نكره بالكسر نكراً بضم النون وأنكره كله بمعنى ، وعبارة الأساس : « أنكر الشيء ونكِره واستنكره وقيل نكِر أبلغ من أنكر وقيل : نكر بالقلب وأنكر بالعين . قال الأعشى :

وأنكرتني وما كان الـــذي نكِرت

من الحوادث إلا الشيب والصلعـــا

وفيهم العُرف والنُكر ، والمعروف والمنكر ، وشتم فلان فما كان عنده نكـير ، وهم يركبون المنكرات والمناكـير ، وهو من مناكـير قوم لوط » .

(أوجس) : الايجاس : الاحساس وحـديث النفس وأصله من الدخول كأن الخوف داخله والوجيس ما يعتري النفس أوان الفزع ووجس في نفسه كذا أي : خطر بها يجس وجساً ووجوساً ووجيساً .

(بعلي) : البعـل هو المستعلي على غـيره ولما كان زوج المرأة مستعلياً عليها قائماً بأمرها سمي بعلاً ، ويقولون للنخل الذي يستغني بماء السماء عن سقي الأنهار والعيون بعل لأنه قائم بالأمر في استغنائه عن تكلف السقي له ويجمع البعل على بعول وبعال وبعولة والبعـل الرب أيضاً والسيد ، يقولون : من بعل هذه الناقة أي ربها وبهـذا المعنى استعملها الكنعانيون وغيرهم من عبدة الاصنام للدلالة عـلى أعظم آلهتهم .

(أواه) : تقدمت معانيه في سورة التوبة .

الاعراب :

(ولقـد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) ثم شرع سبحانه في القصة الرابعة من قصص السورة وهي قصة ابراهيم توطئة لقصة لوط لا استقلالاً ولهذا خولف في أسلوب القصة عن سابقاتها فلم يقـل وأرسلنا . واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وجاءت رسلنا فعـل وفاعل وابراهيم مفعول به وبالبشرى متعلقان بجاءت . (قالوا سلاماً قال سلام) قالوا فعـل وفاعل وسلاماً مصدر معمول لفعل محذوف كما تقدم أي سلمنا سلاماً وقال فعل ماض وسلام مبتدأ خبره محذوف أي عليكم وسوغ الابتداء به معنى الدعاء وهو أولى من جعله خبراً لمبتـدأ محـذوف أي قولي سلام وستأتي مسوغات الابتداء بالنكرة في باب الفوائد . (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) الفاء عاطفة وما لبث يجوز في ما أن تكون نافية ولبث فعل ماض فاعله أن وما في حيزها أي مجيئه أو الفاعل مستتر تقديره إبراهيـم وان

وما في حيزها خبره والتقدير فلبثه أو الذي لبثه قدر مجيئه ٠ (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة) الفاء عاطفة على محذوف والتقدير فقربه إليهم فلم يمدوا أيديهم فقال ألا تأكلون فلما رأى أيديهم والرؤية هنا بصرية ،وأيديهم مفعول به وجملة لا تصل إليه حالية وجملة نكرهم لا محل لها لأنها جواب لمّا وأوجس منهم عطف على نكرهم وخيفة مفعول به ومنهم حال لأنه كان صفة لخيفة ٠ (قالوا لا تخف إنا أُرسلنا إلى قوم لوط) لا تخف لا ناهية وتخف مجزوم بها وان واسمها وجملة أرسلنا خبرها ونا نائب فاعل والى قوم لوط جار ومجرور متعلقان بأرسلنا ٠(وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) وامرأته الواو حالية أو استئنافية وامرأته مبتدأ وقائمة خبر ، فضحكت فعل ماض وفاعله هي فبشرناها عطف أيضاً وهو فعل وفاعل ومفعول به وباسحق متعلقان ببشرناها ومن وراء أسحق خبر مقدم ويعقوب مبتدأ مؤخر ٠ (قالت : يا ويلتا أألد وأنا عجوز) يا ويلتا كلمة تقال للتعجب من أمر عجيب خارق للعادة من خير أو شر وهو منادى مضاف إلى ياء المتكلم المنقلبة ألفاً وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقيل هي ألف الندبة التي يوقف عليها بهاء السكت وسيأتي الكلام عنها في حينه ، أألد : الاستفهام مقصود به التعجب والواو حالية وأنا مبتدأ وعجوز خبر والجملة نصب على الحال من الضمير المستتر في أألد ٠ (وهذا بعلي شيخاً إن هذالشيء عجيب) الواو حالية وهذا مبتدأ وبعلي خبر وشيخاً حال والعامل فيه ما في اسم الاشارة من معنى الفعل ، قال الزجاج : الحال ها هنا نصبها من لطيف النحو وذلك انك اذا قلت هذا زيد قائماً يصلي فإن كنت تقصد أن تخبر من لا يعرف زيداً انه زيد لم يجز أن تقول هذا زيد قائماً لأنه يكون « زيداً » ما دام قائماً فإذا زال عن القيام فليس بزيد

وانما تقول للذي يعرف زيداً : هذا زيد قائماً فيعمل في الحال التنبيه والمعنى انتبه لزيد في حال قيامه أو أشير لك الى زيد في حال قيامه . وإن واسمها واللام المزحلقة وشيء خبرها وعجيب صفة . (قالوا : أتعجبين من أمر الله) الهمزة للاستفهام والمقصود به النهي أي لا تعجبي ولم ينكروا عليها لأن عجبها ليس إنكاراً وانما هو دهشة بما هو خارق المعادة ، وتعجبين فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والياء فاعل ومن أمر الله جار ومجرور متعلقان بتعجبين . (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) رحمة الله مبتدأ وبركاته عطف على رحمة وعليكم خبر رحمة وأهل البيت نصب على الاختصاص المراد به المدح ويجوز أن يكون منادى محذوفاً منه حرف النداء أي يا أهل البيت وان واسمها وخبراها .

وبين النصب على المدح والنصب على الاختصاص فرق ولذلك جعلهما سيبوية في بابين وهو أن المنصوب على المدح لفظ يتضمن بوضعه المدح كما أن المنصوب على الذم يتضمن بوضعه الذم والمنصوب على الاختصاص لا يكون إلا لمدح أو ذم لكن لفظه لا يتضمن بوضعه المدح ولا الذم كقوله « بنا تميماً يكشف الضباب » وقوله « ولا الحجاج عيني نبت ماء »

(فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطة وذهب عن ابراهيم الروع فعل وفاعل وجاءته البشرى عطف على ذهب وجواب لما محذوف تقديره أقبل أو فطن لمجادلتهم . (يجادلنا في قوم لوط) جملة يجادلنا حالية أو مستأنفة وفي قوم لوط متعلقان بيجادلنا (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) ان واسمها واللام المزحلقة وحليم وأواه ومنيب أخبار ثلاثة . (يا إبراهيم أعرض عن هذا)

الجملة مقول قول محذوف أي قالت الملائكة ، وأعرض فعل أمر وعن هذا متعلقان به والاشارة الى الجدال • (إنه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود) ان واسمها وجملة قد جاء أمر ربك خبر وانهم ان واسمها وآتيهم خبرها وعذاب فاعل آتيهم وغير صفة ومردود مضاف إليه •

البلاغة :

الاستعارة التمثيلية في قوله « فلما رأى أيديهم لا تصل إليه » جعل عدم الوصول استعارة لامتناعهم عن الأكل والمعنى لا يمدون أيديهم الى أكله فهو لا يريد أن ينفيَ الوصول الناشيء عن المدّ •

الفوائد :

مسوغات الابتداء بالنكرة :

الواجب في المبتدأ أن يكون معرفة ويسوغ الابتداء بالنكرة إذا أفادت وذلك في مواضع أهمها :

١ ـ بالاضافة اللفظية نحو « خمس صلوات كتبهن الله » وقد تكون الاضافة بالمعنى نحو « قل كلٌّ يعمل على شاكلته » أي كل احد •

٢ ـ بالوصف لفظاً نحو « لعبد مؤمن خير من مشرك » أو تقديراً نحو : أمر أتى من ربك أي عظيم ، أو معنى بأن تكون النكرة مصغرة نحو : رجيل عندنا أي رجل حقير •

٣ ــ بأن يكون خبرها ظرفاً أو جاراً ومجروراً مقدماً عليها نحو « وفوق كل ذي علم عليم » « ولكل أجل كتاب » •

٤ ــ بأن تقع بعد نفي أو استفهام أو لولا أو اذا الفجائية نحو : ما أحد عندنا ونحو « أأله مع الله » وقول الشاعر :

لولا اصطبارٌ لأودى كــل ذي مقة

لمــا استقلّــت مطاياهنّ للظّعــن

ونحو : خرجت فاذا أسدٌ رابضٌ •

٥ ــ بأن تكون عاملة نحو : اعطــاءٌ قرشاً في سبيل العلــم ينهض بالأمة •

٦ ــ بأن تكون مبهمة كأسماء الشرط والاستفهام وما التعجبية وكم الخبرية •

٧ ــ بأن تكون مفيدة للدعاء بخير أو شر فالأول نحو : « سلام عليكم » والثاني : « ويل للمطففين » •

٨ ــ بأن تكون خلفاً عن موصوف نحو : عالم خير من جاهل •

٩ ــ بأن تقع صدر جملة حالية نحو :

سرينا ونجم قد أضاء فمذ بدا محياك أخفى ضوءه كلّ شارق

١٠ ــ بأن يراد بها التنويــع أي التفصيــل والتقسيم كقول امرىء القيس :

فأقبلت زحفاً عــلى الركبتــين فثوبٌ نسيــت وثوبٌ أجر

١١ ــ بأن تعطف على معرفة أو يعطف عليها معرفة نحو : خالد ورجل يتعلمان النحو ، أو رجل وخالد يتعلمان النحو .

١٢ ــ بأن تعطف على نكرة موصوفة نحو : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى » .

١٣ ــ بأن يراد بها حقيقة الجنس لا فرد واحد منه نحو : تمرة خير من جرادة .

١٤ ــ بأن تقع جواباً نحو : رجـــل ، في جواب من قال : من عندك ؟

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ

أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

اللغــــة :

(سيء بهم) أصله سويء بهم من السوء فأسكنت الواو وقلبت كسرتها الى السين ويقــال : سؤته فسيء كما يقــال شغلته فشغـل وسررته فسُرّ .

(ذرعاً) : من أقوالهم ضاق فلان ذرعاً : والذرع يوضع موضع الطاقة والأصل فيه أن البعير يذرع بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة خطوه فإذا حمل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعه عن ذلك وضعف ومدّ عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة فمعنى قوله تعالى « وضاق بهم ذرعاً » أي لم يجـد من ذلك المكروه مخلصاً ، وقال بعض علماء اللغة : معناه وضاق بهم قلباً وصدراً ولا يعرف أصله إلا أن يقال إن الذرع كناية عن الوسع ، والعرب تقول : ليس هذا في يدي ، يعنون ليس هــذا في وسعي لأن الــذراع من اليد ، وقال آخرون : ويقال ضاق فلان ذرعاً بكذا إذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه .

وفي القاموس والتاج ما ملخصه : « الذَّرع مصدر ، بسط اليد، وضقت بالأمر ذرعاً : أي لم أقدر عليه وهو واسع الذرع أي مقتدر وهو خالي الذرع أي قلبه خال من الهموم والغموم » .

(يهرعون) : أي يسوق بعضهم بعضاً وفي المصباح هُرع وأُهرع بالبناء فيهما للمفعول إذا أُعجل على الإسراع . وفي القاموس : والهرع محرك وكغراب والاهراع مشي في اضطراب وسرعة وأقبل يهرع بالضم وأُهرع بالبناء للمجهول فهو مهرع مرعد من غضب أو خوف وقد هرع كفرح ورجل هرع سريع البكاء .

(عصيب) : العصيب الشديد في الشر خاصة وأصله من الشد يقال عصبت الشيء شددته وعصبت فخذ الناقة لتدر وناقة عصوب ويوم عصيب وعصبصب كأنه التف على الناس بالشر أو يكون التف شره بعضه ببعض قال الشاعر :

فإنك إن لم ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصيب

وقال الراجز :

يوم عصيب يعصب الأبطالا عصب القوي السلم الطوالا

(ركن) الركن : معتمد البناء بعد الاساس وركنا الجبل جانباه قال الزاجز :

يأوي الى ركن من الأركان في عدد طلس ومجد بان

(فأسر) : من أسرى بمعنى سرى أي سار ليلاً قال النابغة :

أسرت عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد

ويروى سرت ، وقال امرؤ القيس :

سريت بهم حتى تكلّ مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بأرسان

(سجيل) : قال الزمخشري : « قيل هي كلمة معربة من سنككل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من أسجله إذا أرسله لأنها ترسل على الظالمين وقيل مما كتب الله أن يعذب به من السجل وسجل لفلان » وقال أبو عبيدة : « هو الحجارة الشديدة » وأنشد لابن مقبل :

ورجلة يضـربون البيض ضاحيـة

ضرباً تواصى به الأبطـال سجينا

وسجين وسجيل بمعنى واحد والعرب تعاقب بين النون واللام فقلبت النون ها هنا لاماً » واكتفى صاحب القاموس بقوله : « السجيل الطين اليابس » .

(منضود) : متراكب والنضد جعـل الشيء بعضه فوق بعض والمراد وصف الحجارة بالكثرة .

(مسومة) : معلمة للعذاب ، والتسويم العلامة .

الاعراب :

(ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً) لما ظرفية حينية أو رابطة وجاءت رسلنا لوطاً فعل وفاعل ومفعول به وجملة سيء بهم لا محل لها ونائب الفاعل يعود الى لوط وبهم جار ومجرور متعلقان

به وذرعاً تمييز محول عن الفاعل . (وقال هـذا يوم عصيب) وقال عطف على ضاق وهذا مبتدأ ويوم خبر وعصيب صفة والجملة مقول القول . (وجاءه قومه يهرعون اليه) الواو عاطفة وجاءه قومه فعل ومفعول به وفاعل وجملة يهرعون في محل نصب على الحال واليه متعلقان بيهرعون . (ومن قبل كانوا يعملون السيئات) الواو حالية ومن قبل من حرف جر وقبل ظرف مبني على الضم لانقطاعه عن الاضافة لفظاً لا معنى والجار والمجرور متعلقان بيعملون وكان واسمها وجملة يعملون السيئات خبر كانوا . (قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) هؤلاء مبتدأ وبناتي خبر وكذلك قوله هن أطهر لكم ، وجوزوا في بناتي أن يكون بدلاً أو عطف بيان ، وهن ضمير فصل لا محل له وأطهر خبر هؤلاء ، ولكم متعلقان بأطهر لأنه اسم تفضيل ولا يرد اعتراض خلاصته ان اسم التفضيل يعني المشاركة ليصح التفضيل فيقتضي أن يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهراً والجواب أن هذا جار مجرى : أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها على الاطلاق . (فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي) الفاء الفصيحة واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به ولا تخزوني عطف على اتقوا الله ولا ناهية وتخزوني مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والنون للوقاية والواو فاعل والياء مفعول به وفي ضيفي جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، والضيف في الأصل مصدر ثم أطلق على الطارق ليلاً إلى المضيف ولذلك يقع على المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع وقد يثنى فيقال ضيفان وقد يجمع فيقال أضياف وضيوف وضيفان . (أليس منكم رجل رشيد) الاستفهام للانكار والتوبيخ وليس فعل ماض ناقص ومنكم خبر ليس المقدم ورجل اسمها المؤخر ورشيد صفة . (قالوا :

لقد علمت مالنا في بناتك من حق) علمت معلقة عن العمل بما النافية ولنا خبر مقدم وفي بناتك حال لأنه كان في الأصل صفة لحق وتقدمت ومن حرف جر زائد وحق مبتدأ مؤخر محلاً . (وانك لتعلم ما نريد) الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وجملة تعلم خبرها ، وما : يجوز أن تكون مصدرية وأن تكون موصولة أي تعرف الذي نريد أو تعلم إرادتنا (قال لو أن لي بكـم قوة أو آوي الى ركن شديد) لو شرطية وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت واستقر وأما سيبويه فيرى انه مبتدأ لا خبر له وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد . وأن حرف مشبه بالفعل ولي خبرها المقدم وبكم حال من قوة إذ هو في الأصل صفة للنكرة وقوة اسم ان وجواب لو محذوف تقديره لفعلت بكم وصنعت وأو حرف عطف وآوي معطوف على المعنى وتقدير الكلام أو أني آوي ، ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على جملة ثبت المحذوفة إذا أعربت أن وما في حيزها فاعلاً لفعل محذوف ، ويجوز أن تعطف على قوة لأنه منصوب في الأصل بتقدير « ان » فلما حذفت « أن » رفع الفعل كقوله تعالى « ومن آياته يريكم » واستضعف أبو البقاء هذا الوجـــه . والى ركن متعلق بآوي وشديد صفة . (قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك) إن واسمها ورسل ربك خبرها ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويصلوا مضارع منصوب بأن واليك متعلقان بيصلوا (فأسر بأهلك بقطع من الليل) الفاء عاطفـة وبأهلك حال أي مصاحباً لهم وبقطـع حال من أهلك أي مصاحبين لقطع ،ولك أن تجعل الباء للتعـدية فتعلقها بأسر والقطـع هنا نصف الليل لأنه قطعة منه مساوية لباقيه وقد تقدم الكلام على القطع في سورة يونس ، ومن الليل صفة لقطع . (ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك

إنه مصيبها ما أصابهم) الواو حرف عطف ولا ناهية ويلتفت فعل مضارع مجزوم بلاومنكم حال لأنه كان في الأصل صفة لأحد وأحد فاعل وإلا أداة استثناء وامرأتك مستثنى من قوله فأسر بأهلك وفي قراءة بالرفع بدل من أحد وسيأتي تفصيل مسهب لهذا الاستثناء والمعنى لاتسر بها وخلفها مع قومها وقيل هي مستثنى من أحد وان واسمها والهاء ضمير الشأن والحديث ومصيبها خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة أصابهم صلة والجملة خبر ان لأن ضمير الشأن يفسر بجملة مصرح بجزأيها • (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) إن واسمها والصبح خبرها والهمزة للاستفهام التقريري وليس واسمها والباء حرف جر زائد وقريب مجرور لفظاً خبر ليس محلاً (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) لما ظرفية حينية أو رابطة وجاء أمرنا فعل وفاعل وجملة جعلنا جواب لما ونا فاعل وعاليها مفعول جعل الاول وسافلها مفعول جعلنا الثاني • (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك) وأمطرنا عطف على جعلنا وعليها متعلقان بأمطرنا وحجارة مفعول به ومن سجيل صفة لحجارة ومنضود صفة لسجيل ومسومة صفة ثانية لحجارة وعند ربك الظرف متعلق بمسومة • (وما هي من الظالمين ببعيد) ما حجازية وهي اسمها واختلف في هذا الضمير فقيل يعود على العقوبة المفهومة السياق وقيل يعود على الحجارة وهي أقرب مذكور وقيل يعود على القرى المهلكة وكل ما ذكروه جائز وسائغ • ومن الظالمين متعلقان ببعيد والباء حرف جر زائد وبعيد مجرور لفظاً خبر ما محلاً ولم يؤنث بعيداً إما لأنه في الأصل نعت لمكان محذوف تقديره وما هي بمكان بعيد بل قريب وإما لأن العقوبة والعقاب شيء واحد وإما لتأويل الحجارة بعذاب •

الفوائـد :

١ ـ عود إلى « لو » :

تقدم بحث لو في البقرة وغيرها ونزيد هنا بحث الاسم الواقع بعد لو الشرطية والمعروف أنها تختص بالفعل شرطية كانت أم مصدرية ويجوز أن يليها الاسم فيعرب فاعلاً لفعـل محذوف يفسره ما بعده وعلى ذلك يتخرج قول عمر بن الخطاب لأبي عبيدة وقد كان في طريقه الى الشام وبلغه في أثناء الطريق قبل الوصول اليها انه وقع بها وباء فاستشار في التوجه اليها أو الرجوع الى المدينة فاختلفوا عليه ثم أجمع أمره على الرجوع بعد أن أشار به جماعة من الصحابة فقال له أبو عبيدة ابن الجراح أفراراً من قدر الله تعالى ؟ فقال له عمر بن الخطاب : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نفرّ من قدر الله إلى قدره . فغيرك فاعل لفعل محذوف يفسره قالهاوالتقدير لو قالها غيرك وجواب لو محذوف أي لعذرناه .

وقال الغطمش الضبي :

أقول وقـــد فاضت لعيـــني عبرة
أرى الأرض تبقى والأخـــلاء تذهب
أخـلاي لو غـــير الحمام أصابكم
عتبت ولكن ما على الـــدهر معتب

فغير فاعل بفعل محذوف يفسره أصابكم والتقـدير لو أصابكم غـــير الحمام ــ وهو بكسر الحاء الموت ــ عتبت ، ومن ملاحظـات التبريزي على هذا البيت الثاني قولـه : الناس ينشدون أخلاي بياء

مفتوحة وكأنهم حملوه على قصر المحدود وأجود من ذلك في حكم العربية أن ينشد أخلاء بهمزة مكسورة ويراد يا أخلائي فحذفت ياء الاضافة وتركت الهمزة كما تقول يا غلام ، ومن ذلك أيضاً قولهم في المثل « لو ذات سوار لطمتني » أخذاً من قول حاتم الطائي حين لطمته جارية وهو مأسور في بعض أحياء العرب فذات سوار فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير والتقدير لو لطمتني ذات سوار وذات السوار الحرة لأن الإماء عند العرب لا تلبس السوار وجواب لو محذوف والتقدير لهان الأمر علي ، أو يكون منصوباً بفعل محذوف أو خبراً لكان محذوفة فمثال الاول : لو زيداً رأيته أكرمته والثاني : نحو التمس ولو خاتماً من حديد وقد تقدم ذلك .

ويجوز أن يلي « لو » كثيراً أن المشددة وصلتها نحو « ولو أنهم صبروا » والآية التي نحن بصددها وهي « لو أن لي قوة » واختلف في اعراب أن وما في حيزها بعد أن اتفق الجميع على أنه مرفوع الموضع فقال سيبويه وجمهور البصريين مبتدأ لا خبر له أو خبره محذوف والتقدير ولو صبرهم ثابت وذهب الكوفيون والزمخشري والمبرد والزجاج من البصريين الى انه فاعل بثبت مقدراً كما تقدم أي ولو ثبت صبرهم وسيأتي المزيد من أحكام « لو » في مواضع أخرى من هذا الكتاب .

٢ ـ أقوال النحاة في « إلا امرأتك » :

والفائدة الثانية هي أقوال النحاة في استثناء امرأتك قالوا : « ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك » بالرفع في قراءة أبي عمرو وابن كثير فامرأتك بدل من أحد بدل بعض من كل والنصب عربي جيد وقد

قرىء به في السبع لكنه خلاف المنتخب الراجح والذي قرىء به أكثر ومن هنا جعل الزمخشري النصب على الاستثناء من أهلك ليكون من تام موجب ، والرفع على البدلية من أحد ، واعترض بأنه يستلزم التناقض بين القراءتين فإن المرأة تكون مسرياً بها على قراءة الرفع وغير مسري بها على قراءة النصب وأجاب أنصار الزمخشري بأن إخراجها من جملة النهي لا يدل على أنها مسري بها بل على أنها معهم وقد روي أنها تبعتهم، وقد فنّد ابن هشام اعراب الزمخشري وقال إنه خلاف الظاهر وأسهب في الحديث عن هذا الاستثناء في الجهة الثانية من الباب الخامس .

أقول : والأظهر من هـذا كله أن الاستثناء من جملة الأمر أي فأسر بأهلك والاستثناء منقطـع على القراءتين ووجه الرفع انه عـلى الابتداء وخبره الجملة بعده وعندئذ تكون قراءة النصب جيدة غـير مرجوحة وتتفادى بذلك وقوع غير المرجوح في القرآن ، وقد تقدم في ابن نوح « انه ليس من أهلك » لأن المراد بالأهل المؤمنون وعلى هذا تكون امرأته من غير أهله .

البلاغـة :

في قوله تعالى : « أليس الصبح بقريب » إرسال المثل أو التمثيل وهو فن يمكن تعريفه بأن يكون ما يخرجه المتكلم سارياً مسير الأمثال السائرة وقد تقدمت الاشارة إليه وسيرد المزيد منه وقد عني علماؤنا الأقدمون باستقصاء جميع أمثال الكتاب العزيز من السور على ترتيبها ، أما في الشعر العربي فقد أوردنا فيما تقدم أمثالاً ضمنها شاعر الخلود أبو الطيب المتنبي أبياته فجاءت آيـة في الابداع كما أوردنا قصيدة

لابن زيدون ، ويحكى انه كان بعض مشايخ الأنبار في زمن الرشيد يؤذن ويصلي في مسجد وكان إذا حضر أوان الورد دفع مفتاح المسجد الى أهل المحلة ثم انغمس في لجة لهوه فلم يظهر وفي الدنيا وردة وكان إذا جلس الى شرابه يغني بصوت عال ويقول :

يا صاحبي اسقياني	من قهوة خندريس
خذا من الورد حظاً	بالقصف غير حبيس
على وجينات ورد	يذهبن همّ النفوس
ما تنظران فهذا	زمان حث الكؤوس
فبادروا قبل فوت	« لا عطر بعد عروس »

* وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ

فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ
أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا
تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ
صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا
تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ
وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ
عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٞ يُخْزِيهِ وَمَنْ
هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا
شُعَيْبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ

فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

اللغـــة :

(يجرمنكم) : مضارع جرم وبابه ضرب كما في المختار ويتعدى لواحد أو اثنين ومعناه يكسبنكم .

(رهطي) : الرهط : جماعة الرجل وقيل الرهط والراهط لما دون العشرة من الرجال ولا يقـع الرهط والعصبة والنفر إلا على الرجال

وقال الزمخشري : من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة ويجمع عـلى أرهط وأرهط عـلى أراهط . وفي القاموس والتاج : الرَّهْط والرَّهَط : قوم الرجل وقبيلته ، وعدد يجمع من الثلاثة الى العشرة وليس فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه والجمع أرهُط وأرهاط وجمع الجمع أراهط وأراهيط وإذا أضيف الى الرهط عـدد كان المراد به الشخص والنفس نحو : عشرون رهطـاً أي شخصاً ويقـال : ذوو رهط أي مجتمعون .

(ظِهْرِيّاً) : منبوذاً خلف ظهوركـم لا تراقبونه والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب والقياس فتح الظاء وقد قالوا في أمس إمسيّ بكسر الهمـزة وفي الدهر دهري بضم الـدال وسيأتي في باب الفوائد ما يطرأ عـلى النسب من تغيير وللظهر في لغتنا تعابير نوردها ملخصة من معاجم اللغة : يقال ساروا في طريق الظهر أي

طريق البر وقرأ الكتاب على ظهر قلبه أو على ظهر لسانه أي حفظاً وأعطاه عن ظهر يد أي ابتداء بلا مكافأة وهو نازل بين ظهريهم وظهرانيهم وبين أظهرهم أي وسطهم وفي معظمهم ورأيته بين ظهراني الليل أي بين العشاء والفجر وقلب له ظهر المجن أي تغير عليه وعاداه وقلب الأمر ظهراً لبطن أي أنعم تدبيره وقتله ظهراً أي غيلة وهو يأكل على ظهر يدي أي إنني أنفق عليه وهذا من غريب لغتنا ونادره وما أجمل قول عمر بن أبي ربيعة :

وضربنا الحديث ظهراً لبطن وأتينا من أمرنا ما اشتهينا

(مكانتكم) : المكانة إما بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وإما مصدر من مكن فهو مكين •

الاعراب :

(وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) جرت العادة أن يستهل كل قصة من قصص هذه السورة بهذه الجملة وهذه هي القصة السادسة وقد تقدم اعراب هذه الجملة بلفظها • (ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير) الواو عاطفة ولا ناهية وتنقصوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والمكيال مفعول به والميزان عطف على المكيال وان واسمها وجملة أراكم خبرها وجملة إني أراكم تعليلية للنهي • (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط) الواو عاطفة وان واسمها وجملة أخاف عليكم خبرها وعذاب مفعول به ويوم مضاف إليه ومحيط صفة • (ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط)

أوفوا فعل أمر والواو فاعل والمكيال مفعول به والميزان عطف عليه وبالقسط حال أي عادلين • (ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) الواو عاطفة ولا ناهية وتبخسوا مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والناس مفعول به وأشياءهم مفعول به ثان أي لا تنقصوهم أموالهم ، ولا تعثوا في الأرض مفسدين عطف أيضاً ومفسدين حال • (بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ) بقية الله مبتدأ أي رزقه الباقي بعد إيفاء الكيل والوزن ، وخير خبر ولكم متعلقان بخير وان شرطية وكنتم فعل الشرط ومؤمنين خبر كنتم والجواب محذوف أي فبقية الله خير ، وما الواو عاطفة وما نافية حجازية وأنا اسمها وعليكم متعلقان بحفيظ والباء حرف جر زائد وحفيظ مجرور لفظاً منصوب محلاً • (قالوا : يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا) الهمزة للاستفهام ومعناه الهزء والسخرية وصلاتك مبتدأ وجملة تأمرك خبر وأن وما في حيزها منصوب بنزع الخافض ومتعلقان بتأمرك أي تأمرك بترك ، وما موصولية أو مصدرية وعلى كل حال هي مفعول الترك وجملة يعبد لا محل لها على الحالين وآباؤنا فاعل • (أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) أو حرف عطف وأن نفعل مصدر مؤول معطوف على مافي حالتيها فالترك مسلط عليه أي هل تأمرك بتكليفك لنا ترك ما يعبد آباؤنا وترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء •

هذا وقد أورد ابن هشام في مغني اللبيب هذه الآية في الباب الخامس من الكتاب في الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها قال « وبعض هذه الأمثلة وقع للمعربين فيه وهم بهذا السبب وسترى ذلك معيناً فأحدها قوله تعالى : « أصلاتك تأمرك أن نترك

ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ، فإنه يتبادر الى الذهن عطف أن تفعل على أن تترك وذلك باطل لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم مايشاءون وانما هو معطوف على « ما » فهو معمول للترك ، والمعنى أن تترك ان تفعل » الى أن يقول : « وموجب هذا الوهم المذكور أن المعرب يرى أن والفعل مرتبين وبينهما حرف العطف » واختلف في « أو » فقيل هي بمعنى الواو وقيل هي على بابها للتخيير بمنزلتها في قولك جالس الحسن أو ابن سيرين . وما اسم موصول تفعل وجملة نشاء صلة .

(إنك لأنت الحليم الرشيد) إما أن يكونوا قد أرادوا الهزء به الى أقصى درجة فعكسوا ليتهكموا وإما أن يكون على حقيقته وان ما يأمرهم به لا يتفق مع ما يتسم به وإن واسمها واللام المزحلقة وأنت مبتدأ والحليم الرشيد خبراه والجملة خبر إنك . (قال : يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً) أرأيتم تقدم انها بمعنى أخبروني فينصب مفعولين وقد حذفا معاً وتقدير الأول أخبروني فياء المتكلم هي المفعول الأول والثاني يقدر غالباً بجملة استفهامية أي أفأشوب رزقي بالحرام من البخس والتطفيف ، وإن شرطية وكنت كان واسمها وهي فعل الشرط وعلى بينة خبر كنت ومن ربي صفة لبينة وجواب الشرط محذوف يدل عليه المفعول الثاني المحذوف ورزقني فعل وفاعل مستتر ومفعول به ورزقاً مفعول به أو مفعول مطلق وحسناً صفة . (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) ما نافية وأريد فعل مضارع وفاعله أنا وأن وما في حيزها مفعول أريد وإلى ما متعلقان بأخالفكم وجملة أنهاكم عنه صلة والمعنى ما أريد أن أسبقكم الى أهوائكم التي نهيتكم عنها ، يقال خالفه الى كذا إذا قصده وهو مول عنه . (إن أريد الاصلاح ما استطعت) ان نافية وأريد فعل

مضارع فاعله مستتر تقديره أنا وإلا أداة حصر والاصلاح مفعول به وما ظرفية زمانية متعلقة بأريد • (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) ما نافية وتوفيقي مبتدأ وإلا أداة حصر وبالله خبر وعليه متعلقان بتوكلت وإليه متعلقان بأنيب والجملتان حاليتان • (ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح) لا يجرمنكم لا ناهية ويجرمنكم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو في موضع جزم بلا والكاف مفعوله الأول وشقاقي فاعل وأن ومافي حيزها مفعول يجرمنكم الثاني والكاف مفعول يصيبكم ومثل فاعل يصيبكم وهو في الأصل صفة لفاعل محذوف أي عذاب مثل ، وما مضاف إليه أي مثل الذي وجملة أصاب صلة وقوم نوح مفعول به • (أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد) أو قوم هود عطف على قوم نوح وكذلك قوم صالح وما نافية حجازية وقوم اسمها ولوط مضاف إليه ومنكم جار ومجرور متعلقان ببعيد والباء حرف جر زائد وبعيد مجرور بالباء لفظاً خبر ما محلاً وأتى ببعيد مفرداً وإن كان خبراً عن جمع لأحد أمور منها حذف مضاف تقديره وما إهلاك قوم لوط واما باعتبار زمان أي بزمان بعيد أو مكان أي بمكان بعيد أو لأن صيغة فعيل يستوي فيها المذكر والمؤنث مما سيرد معنا في تضاعيف هذا الكتاب الجامع • (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود) واستغفروا ربكم فعل أمر وفاعل ومفعول به ثم توبوا إليه عطف على استغفروا وان واسمها وخبراها • (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول) ما نافية ونفقه فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن وكثيراً مفعول به ومما صفة لكثيراً وجملة تقول صلة • (وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت

علينا بعزيز) وانا ان واسمهـا والـلام المزحلقة وجملة نراك خبر ان والكاف مفعول به وفينا حال وضعيفاً مفعول به ثان لأن الرؤية علمية وان ر وي انه كان أعمى وألثغ لأنه لو قيل انا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاماً لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم ، ولولا حرف امتناع لوجود ورهطك مبتدأ محذوف الخبر واللام رابطة لجواب لولا وجملة رجمناك لامحل لها وما نافية حجازية وأنت اسمها والباء زائدة وعزيز خبرها وقد تقدمت نظائره كثيراً • (قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي ورهطي مبتدأ وأعز خبر وعليكم ومن الله متعلقـان بأعز • (واتخـذتموه وراءكم ظهرياً) الواو حالياً بتقدير قد أي والحال انكم اتخذتموه وراءكم واتخذ يجوز أن يتعدى لاثنين أولهما الهاء والثاني ظهرياً ، ووراءكم متعلقان باتخذتموه أو حال من ظهرياً ويجوز أن يتعدى لواحد فيكون الهاء مفعوله وظهرياً حال والواو في اتخذتموه لاشباع ضمة الميم • (ن ربي بما تعملون محيط) ان واسمها وبما متعلقان بمحيط وجملة تعملون صلة ومحيط خبر إن (ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل) اعملوا فعل أمر وفاعل وعلى مكانتكم حال أي حال كونكـم موصوفين بالمكانة العالية والقـدرة البعيدة وان واسمها وخبرها • (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) سوف حرف استقبال وتعلمـون فعـل مضارع مرفوع بثبوت النون والجملة استئناف بياني وسيأتي المزيد منه في باب البلاغة ومن اسم موصول مفعول به لتعلمون وهذا أرجح من جعلها استفهامية كما أعربها بعضهم لتتساوق مع من الثانية وهي موصولة باتفاق وجملة يأتيه صلة والهاء مفعول يأتي وعذاب فاعـل يأتي وجملة يخزيه صفة لعذاب • (ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب) ومن اسم موصول عطف

على من الأول وهو مبتدأ وكاذب خبر والجملة صلة وارتقبوا عطف على المعنى وارتقبوا فعل أمر وفاعل وإن واسمها ومعكم ظرف متعلق برقيب ورقيب خبر ان • (ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا) تقدم إعراب نظيرها تماماً • (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) الذين مفعول مقدم لأخذت وجملة ظلموا صلة الموصول والصيحة فاعل أخذت • (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) أصبح واسمها وجاثمين خبرها وفي ديارهم متعلقان بجاثمين • (كأن لم يغنوا فيها ألا بُعداً لمدين كما بعدت ثمود) كأن مخففة واسمها محذوف وجملة لم يغنوا خبرها وفيها متعلقان بيغنوا وألا أداة تنبيه وبعداً مفعول مطلق لفعل محذوف ولمدين جار ومجرور متعلقان بمحذوف وقد تقدم وكما نعت لبعد وما مصدرية أي كبعد ثمود •

البلاغـة :

١ ــ التكرار :

فقد وقع التكرار في هــذه القصة من ثلاثة أوجه لأنه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان وهذا عين الاول وليس فيه إلا التعبير تبخسوا الناس أشياءهم والفائدة فيه أن القول لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح احتيج في المنع منه الى المبالغة في التأكيد ، والتكرير يفيد شدة الاهتمام بالشيء وقد نهوا أولاً عــن القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيــال والميزان ثم ورد الأمر بالإيفاء مصرحاً بلفظه ليكون أحيج عليه وأدعى الى الترغيب فيه •

٢ ـ الاستئناف البياني :

إذا كان الكلام المسوق أولى مما سبقه بالاتنباه وأجدر بلفت الأسماع اليه قطع عما قبله بما يلفت النظر اليه وذلك في قوله تعالى : « ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون » فقد حذفت الفاء التي يتطلبها السياق لتلفت نظر السامع وانتباهه الى أن ثمة سؤالاً وهو فماذا يكون بعد ذلك وهو أبلغ في التهويل لأن قوله سوف تعلمون ينطوي على مالا يدرك كنهه ولا يسبر غوره من أعمال الانتقام والتهديد .

قال الزمخشري في صدد هذا الحذف : « أي فرق بين إدخال الفاء وتركها في سوف ؟ » وأجاب بقوله : « إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل وتركها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا : فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت على مكانتك فقيل سوف تعلمون وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف لأنه أكمل في باب الفصاحة والتهويل .

٣ ـ التعريض :

وفي قوله إني عامل تعريض وقد تقدمت الاشارة الى هذا الفن فقد ذكر لهم احدى العاقبتين دون ذكر الثانية تعريض أبلغ من التصريح وقد تقدم نظير هذا في سورة الانعام إذ قال « قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار » فذكر هناك إحدى العاقبتين لأن المراد بهذه العاقبة عاقبة الخير واستغنى عن

ذكر مقابلتها ، أما في آية هود فقد ذكر عاقبتهم وهي « سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه » واستغنى بها عن عاقبته وقد لا يذكر عاقبته فتنصرف الى المخاطب كقولك لمن تهدده : ستعلم من يهان ومن يعاقب وانما تعني المخاطب في الكلامين .

الفوائــد :

النسبة المعدولة عن القياس :

نسبت العرب إلى أشياء كثيرة فغيروا لفظ المنسوب اليه فاستعمل ذلك كما استعملته العرب ولا يقاس عليه غيره ، وقواعد النسبة معروفة في كتب النحو ، وإنما أتت هذه النسبة معدولة عن القياس فمن ذلك قولهم بدوي نسبة الى البادية والقياس بادي أو بادوي وقالوا بصري بكسر الباء نسبة الى البصرة والقياس فتحها وقالــوا طائي والقياس طيئي وقالوا سهلي ودهري بضم السين والدال والقياس سهلي ودهري وقالوا بحراني في النسب الى البحرين وصنعاني في النسب الى صنعاء وقد قسموا ذلك الى تسعة أقسام نوردها باختصار :

١ ــ بالتحريف فقط كقولهم أموي بالفتح في الهمزة نسبة الى أمية بضمها ودهري للشيخ الكبير .

٢ ــ بالزيادة كقولهم مروزي نسبة الى مرو وفوقاني وتحتاني ورباني نسبة الى فوق وتحت ورب .

٣ ــ بالنقص كقولهــم بدوي بحذف الألف وجلولي نسبة الى البادية وجلولاء .

٤ ــ بالحذف والتحريف كشتوي في شتاء ٠

٥ ــ بالزيادة والتحريف كأنافي في أنف ٠

٦ ــ بالزيادة والحذف نحو رازي نسبة الى الري ٠

٧ ــ بالقلب نحو طائي وصنعاني وروحاني نسبة الى طي وصنعاء وروحاء ٠

٨ ــ بالقلب والتحريف نحو ثوب حاري نسبة الى الحيرة ٠

٩ ــ بتوقير ما يستحق التغيير نحو أميتي نسبة الى أمية ٠

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ
يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ
لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ
نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن
شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ

رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

اللغـــة :

(يقدم) : يقـال قدمت القوم أقدمهـم قدماً إذا مشيت أمامهم واتبعوك قال الأزهري قدم يقدم وتقدم وقدم واقدم واستقدم بمعنى .

(الورد) ورود الماء الذي يورد والابل الواردة والجمع أوراد ، والايراد إيجاب الورود في الماء أو ما يقوم مقامه ، قال لبيد :

فوردنا قبـــل فراط القطـا إن من وردي تغليس النهـل

وأصل الورود الاشراف على الدخول وليس بالدخول قال زهير :

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصي الحاضر المتوسم

(الرفد) : العون على الأمر يقال : رفده يرفده رَفداً ورِفداً بفتح الراء وكسرها ، قال الزجاج كل شيء جعلته عوناً لشيء وأسندت به شيئاً فقد رفدته به ، يقال عمدت الى الحائط وأسندته وأرفدته ورفدته بمعنى واحد يقال رفده وأرفده إذا أعطاه والاسم الرفد لأن العطاء عون المعطي .

(الحصيد) : بمعنى المحصود والحصد قطع الزرع من الأصل وهذا زمن الحصاد بفتح الحاء وكسرها يقال حصدهم بالسيف إذا قتلهم .

(تتبيب) : من تبت يده أي خسرت وهلكت قال جرير :

عرابة من بقيــة قوم لوط ألا تبأ لمــا فعلوه تبــا

(الزفير والشهيق) : الزفير ترديد النفس حتى تنفتح منه الأضلاع والشهيق رد النفس الى الصدر وقال ابن فارس : الزفير ضد الشهيق لأن الشهيق رد النفس والزفير اخراج النفس من شدة الحزن مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته وقيل الشهيق النفس الممتد مأخوذ من قولهم جبل شاهق أي عال وقال الليث : الزفير أن يملأ الرجل صدره حال كونه في الغم الشديد من النفس ، والشهيق أن يخرج ذلك النفس . وهو قريب من قولهم : تنفس الصعداء ، وقال أبو العالية والربيع بن أنس : الزفير في الحلق والشهيق في الصدر

وقيل الزفير للحمار والشهيق للبغل، وقال الثعالبي في ترتيب الأصوات: إذا أخرج المكروب أو المريض صوتاً رقيقاً فهو الرنين فإذا أخفاه فهو الهنين فإذا أظهره فخرج خافياً فهو الخنين فإذا زفر به وقبح الأنين فهو الزفير فإذا مد النفس ثم رمى به فهو الشهيق فإذا تردد نفسه في الصدر عند خروجه فهو الحشرجة .

(مجذوذ) مقطوع والجذّ القطع يقال جذه يجذه وبابه رد كما في المختار وجذ الله دابرهم قال النابغة :

تجذ السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصُّفَّاح نار الحباحب

الاعراب :

(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين) وهذه هي القصة السابعة والأخيرة في هذه السورة وقد تقدمها قصة نوح وهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب على هذا الترتيب وهذه قصة موسى . وبآياتنا حال أي حال كونه ملتبساً بآياتنا التسع وقد تقدمت الاشارة اليها وسلطان عطف على آياتنا ومبين صفة . (إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) الى فرعون جار ومجرور متعلقان بأرسلنا وملئه عطف على فرعون فاتبعوا عطف على أرسلنا والواو فاعل وأمر فرعون مفعول به والواو حالية وما نافية حجازية وأمر اسمها وبرشيد خبرها على زيادة الباء وقد تقدم نظيره . (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود) جملة يقدم قومه مستأنفة والفاء عاطفة وأوردهم النار فعل وفاعل مستتر والهاء مفعول به أول والنار مفعول به ثان وجاء بلفظ الماضي وسياق الكلام يقتضي أن

يكون مضارعاً لإراءة الصورة كأنها أمر بت فيه وفرغ منه ، وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم والورد فاعل والمورود نعت والمخصوص بالذم محذوف أي وردهم • (وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود) اتبعوا فعل ماض بالبناء للمجهول والواو نائب فاعل وفي هذه متعلقان باتبعوا والاشارة للحياة الدنيا ويوم القيامة عطف على موضع في هذه والمعنى انهم الحقوا لعنة في الدنيا وفي الآخرة ، وبئس الرفد المرفود تقدم إعرابها • (ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد) ذلك مبتدأ ومن أنباء القرى خبره الاول وجملة نقصه خبره الثاني وعليك متعلقان بنقصه ومنها خبر مقدم وقائم مبتدأ وحصيد عطف على قائم والجملة مستأنفة أي بعضها عفا أثره وامحى رسمه وبعضها باق ماثل للعيان والاستئناف بياني كأنه جواب لسؤال سائل عنها • وقال أبو البقاء : منها قائم ابتداء وخبر في موضع الحال من الهاء في نقصه وحصيد مبتدأ خبره محذوف أي ومنها حصيد ورجح أبو حيان أن تكون الجملة حالية قال « والحال أبلغ في التخويف وضرب المثل للحاضرين » • (وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) الواو عاطفة وما نافية وظلمناهم فعل وفاعل ومفعول به ولكن مهملة للاستدراك وظلموا أنفسهم فعل وفاعل ومفعول به (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء)الفاء عاطفة وما نافية وأغنت فعل ماض وعنهم متعلقان بأغنت وآلهتهم فاعل والتي صفة وجملة يدعون صلة ومن دون الله حال ومن زائدة وشيء مجرور لفظاً منصوب محلاً مفعول به • (لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيت) لما ظرفية حينية متعلقة بأغنت أو رابطة وجاء أمر ربك فعل وفاعل وما زادوهم عطف على ما أغنت وعبر بواو العقلاء عن الآلهة لأنهم نزلوها منزلتهم وزادوهم فعل وفاعل ومفعول به وغير تتبيت مفعول به ثان • (وكذلك

أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) محل الكاف الرفع على الابتداء وأخذ ربك خبر وإذا أخذ القرى اذا ظرف مستقبل وجملة أخذ القرى في محل جر باضافة الظرف إليها • والواو حالية وهي مبتدأ وظالمة خبر والجملة نصب على الحال وتجدر الاشارة الى أن المسألة هنا من باب التنازع فقد تنازع المصدر وأخذ في القرى فأعمل الفعل وحذف الضمير من المصدر وجواب ا ذا الذي هو ناصبه محذوف والتقدير فلا يغني عنهم من أخذه شيء (إن أخذه أليم شديد) إن واسمها وخبراها • (إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك خبرها المقدم واللام المزحلقة وآية اسمها المؤخر ولمن صفة لآية وجملة خاف عذاب الآخرة صلة (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) ذلك مبتدأ ويوم خبر ومجموع صفة وله متعلقان بمجموع والناس نائب فاعل وذلك يوم مشهود عطف على ما تقدم ولا بد من تقدير جار ومجرور أي مشهود فيه وسيأتي في باب البلاغة السر في ذلك • (وما نؤخره إلا لأجل معدود) الواو استئنافية وما نافية ونؤخره فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وإلا أداة حصر ولأجل متعلقان بنؤخره ومعدود صفة • (يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه) اضطربت أقوال المعربين في هذه الآية كثيراً وخبطوا في متاهات يضل معها رائد الحقيقة والسهولة غير المتكلفة وسنختار الأجوبة التي لا معدى عن ايرادها ضاربين صفحاً عن التطويل فنقول الظرف متعلق بقوله لا تكلم أي لا تتكلم في نفس ذلك اليوم وجملة يأتي مضافة الى الظرف وفاعل يأتي ضمير يعود على ذلك اليوم المتقدم ذكره لا ضمير اليوم المضاف الى يأتي واختار الزمخشري أن يكون فاعل يأتي هو الله عز وجل لأن ضمير بإذنه يعود عليه وهو قول وجيه ولكن الأول أقرب الى سياق الكلام ، ولا نافية وتكلم مضارع أصله تتكلم فحذفت إحدى

تأتيه ونفس فاعل تكلم وإلا أداة حصر وباذنه حال • (فمنهم شقي وسعيد) الفاء للتفريع ومنهم خبر مقدم وشقي مبتدأ مؤخر وسعيد مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله أي ومنهم سعيد • (فأما الذين شقوا ففي النار) الفاء للتفريع أيضاً وأما حرف شرط وتفصيل والذين مبتدأ وجملة شقوا صلة والفاء رابطة وفي النار خبر الذين (لهم فيها زفير وشهيق) لهم خبر مقدم وفيها حال لأنه كان صفة لزفير وزفير مبتدأ مؤخر وشهيق مبتدأ حذف خبره أيضاً • (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) خالدين حال من الذين شقوا وفيها متعلقان بخالدين وما دامت السموات ما مصدرية زمنية ودامت هنا تامة لأنها بمعنى بقيت والسموات فاعل دامت والارض عطف• (إلا ماشاء ربك) إلا أداة استثناء وما مستثناة وسيأتي القول في هذا الاستثناء المشكل في باب الفوائد وجملة شاء ربك صلة • (إن ربك فعال لما يريد) ان واسمها وخبرها ولما متعلقان بفعال وجملة يريد صلة (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلا ما شاء ربك) تقدم اعرابها آنفاً •

قرأ ابن مسعود وطلحة بن مصرف وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وحفص سعدوا بضم السين وباقي السبعة والجمهور بفتحها وكان علي بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي سعدوا مع علمه بالعربية ولا يتعجب من ذلك إذ هي قراءة منقولة عن ابن مسعود ومن ذكرنا معه وقد احتج الكسائي بقولهم مسعود قيل ولا حجة فيه لأنه يقال مكان مسعود فيه ثم حذف فيه وسمي به وقال الثعلبي : « سعد وأسعد بمعنى واحد » وفي الاساس : « وسَعِدت به وسُعِدت وهو سعيد ومسعود » وفي القاموس « وقد سعد كعلم وعني فهو سعيد ومسعود ولا يقال مسعد » وقال أبو عمرو بن العلاء : « يقال

سعد الرجل كما يقال حسن وقيل سعده لغة مهجورة وقد ضعف جماعة قراءة الأخوين » وهي قراءة حفص وفي المصباح : سعد فلان يسعد من باب تعب في دين أو دنيا سعدا وبالمصدر سمي والفاعل سعيد والجمع سعداء ويعدى بالحركة في لغة فيقال:سعده الله يسعده بفتحتين فهو مسعود وقرىء في السبعة بهذه اللغة في قوله : وأما الذين سعدوا بالبناء للمجهول والاكثر أن يتعدى بالهمزة فيقال أسعده الله وسعد بالضم خلاف شقي •

(عطاء غير مجذوذ) عطاء نصب على المصدر المؤكد من معنى الجملة قبله لأن قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وإنعاماً ، وغير مجذوذ صفة لعطاء •

البلاغة :

انطوت هذه الآيات على أفانين من البلاغة، ومجموعة من الفوائد:

١ ــ فأولها استعمال اسم المفعول مكان فعله في قوله تعالى : « ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود » والسر في إيثار المفعول هو وصف اليوم بمعنى الجمع والثبات المستقر والديمومة لذلك الثبات فيه وانه يوم أعد ليكون ميعاداً مضروباً لا محيد عنه ولا مساغ لتبديله لجميع الناس على السواء ولو انه عبر بالفعل لم يقع ذلك الموقع ولأشعر بالتجدد والتبدل ونظيره قول المتهدّد : انك لمنهوب مالك ، محروب قومك ، فيه من ثبات الوصف وديمومته ما ليس في الفعل والاتساع في الظرف •

٢ ــ ٣ وثانيها وثالثها الجمع مع التفريق فالجمع في قوله «لا تكلم نفس إلا بإذنه » والتفريق في قوله « فمنهم شقي وسعيد » •

٤ ــ التقسيم في قوله « فأما الذين شقوا » الى آخر الآية • ومن أمثلة الجمع مع التفريق في الشعر قول البحتري :

ولما التقينا والنقا موعـد لنا تعجّب رائي الدّر منا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

أما التقسيم فقـد طفح به الشعر العربي فقال أبو نواس مقسماً الزمن الى يوم وأمس وغد :

أمر غـد أنت منـه في لبس وأمس قد فات فاله عن أمس
وانمـا الشأن شأن يومك ذا فباكـر الشمس بابنة الشمس

وافتنوا فيه كثيراً فأطلقه أبو الطيب عـلى أحوال الشيء المراد تقسيمه مضافاً الى كل من تلك الاحوال ما يليق به فقال :

سأطلب حقي بالقنا ومشايـخ كأنهم من طول ما التثموا مرد
ثقال إذا لاقوا خفاف اذا دعوا كثير إذا شدّوا قليل إذا عدوا

وله أيضاً :

الدهر معتذر والسيف منتظر وأرضهم لك مصطاف ومرتبع
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولـــدوا
والنهب ما جمعـوا والنار ما زرعوا

وله في الغزل :

وأغيـــد يهوى نفسه كلّ عاقـــل
ظريف ويهوى جسمه كـــل فاسق

سهـــادٌ لأجفـــان وشمسٌ لناظر
وسقم لأبـــدان ومسك لناشق

وما أحلى قول عمر بن الفارض :

يقولون لي : صفهـا فأنت بوصفهـا
خبير أجـل عنـدي بأوصافها علـم

صفاء ولا مـــاء ولطف ولا هوا
ونور ولا نـــار وروح ولا جسم

الفوائـد :

الاستثناء الموجود في قوله تعالى « إلا ما شاء ربك » تقدم بحثه في سورة الانعام فجدد به عهداً وقد رجحنا هناك ما ذهب اليه الزجاج ونضيف اليه هنا أن الفراء ذهب الى ما ذهب اليه الزجاج وقال كلاماً لطيفاً في صدده ننقله ليضاف الى ما تقدم قال : « إنه استثناء في الزيادة من العذاب لأهل النار والزيادة من النعيم لأهـل الجنة والتقدير إلا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك ألف دينار إلا الألفين اللذين اقرضتكهما في وقت كذا فالألفان زيادة على الألف بغير شك لأن الكثير لا يستثنى من القليل ورأيت لعلي بن عيسى المعروف بالرماني كلاماً بهذا المعنى وحاصل ما تقدم أن الا في

المعنى بمعنى حرف العطف والاستثناء منقطع فكأنه قيل خالدين فيها ما دامت السموات والارض وزيادة على هذه المدة فكأن إلا بمعنى الواو وأنشد الفراء مستدلاً على ذلك :

وأرى لهـا داراً بأغدر السيدان لـم يدرس لهـا رسـم
إلا رمـاداً هامـداً رفعت عنه الرياح خوالـد" سحم

وهذا الوجه الذي وقع عليه اختيارنا وذهب اليه الزجاج والفراء هو الثالث عشر فهناك اثنا عشر مذهباً متفاوتة .

ويطول بنا القول إذا ما حاولنا نقل هذه الأوجه فليرجع اليها من شاء في التفاسير الكبرى ليرى كيف تتفاوت الأفهـام ويطيب لنا أن ننقل هنا رأياً يحتاج الى التأويل وهو لفيلسوف الصوفية محيي الدين ابن عربي قال : انهم يعذبون فيهـا مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلـذذون بها لموافقتها لطبيعتهم فإن الثناء بصدق الوعـد لا بصدق الوعيد . وقال في موضع آخر : إن أهل النار إذا دخلوها لا يزالون خائفين مترقبين أن يخرجوا منها فاذا أغلقت عليهم أبوابها اطمأنوا لأنها خلقت على وفق طباعهم .

ولبدوي الجبل في العصر الحديث قصيدة عصماء قال فيها يصف أهل النار :

لا يألمون ولا تشكو جسومهم من اللظى فهي نيران بنـيران

وقد علق ابن القيم على هذا القول قائلاً : وهذا في طرف والمعتزلة القائلون بأن الله يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب في طرف آخر

فأولئك عنـدهم لا ينجو من النار من دخلهـا أصـلاً وقد استرسل الزمخشري في التشنيع على أهل السنة في هذا الصدد مما يطول بحثه وانما نقلنا هذه اللمح للاطلاع .

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١١٠) وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١) فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) ﴾

اللغـة :

(مرية) : المرية بكسر الميم وضمها الشك مع ظهـور الدلائل للتهمة وهي مأخوذة من مرى ضرع الناقة ليدرّ بعد دروره وامترى في الشيء شك وامترى اللبن ونحوه استخرجه واستدره .

الاعراب :

(فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء) الفاء استئنافية والجملة مسوقة للدلالة على ما أحدثته القصص السالفة في نفسه صلى الله عليه وسلم من أثر وان عكوف كفار قريش على عبادة أصنامهم ليست من دواعي المثبطات لعزيمته • ولا ناهية وتك فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه السكون المقدرة على النون المحذوفة للتخفيف وقد سبق ذكر خصائص كان ، واسمها ضمير مستتر تقديره أنت وفي مرية خبرها ومما صفة وجملة يعبد صلة وهؤلاء فاعل ويجوز أن تكون ما مصدرية (ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل) ما نافية ويعبدون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وإلا أداة حصر والكاف نعت لمصدر محذوف وما يجوز أن تكون موصولة أو مصدرية ومن قبل متعلقان بمحذوف حال • (وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص) الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وموفوهم خبر ان والهاء مضاف اليه ونصيبهم مفعول به وغير منقوص حال مبينة للنصيب الموفى وقيل بل حال مؤكدة لأن التوفية تستلزم عدم نقصان الموفى كاملاً كان أو ناقصاً فقولك وفيته نصف حقه يستلزم عدم نقصانه فما وجه انتصابه حالاً عنه والأوجه أن يقال استعملت التوفية بمعنى الاعطاء ومن قال أعطيت فلاناً حقه كان جديراً بأن يؤكده بقوله غير منقوص • (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وآتينا موسى الكتاب : فعل وفاعل ومفعول به ، فاختلف : الفاء حرف عطف واختلف فعل ماض مبني للمجهول وفيه سد مسد نائب الفاعل ومعنى في الظرفية أي من شأنه وقيل هي سببية • (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم) الواو عاطفة ولولا

حرف امتناع لوجود وكلمة مبتدأ محذوف الخبر وجملة سبقت صفة ومن ربك جار ومجرور متعلقان بسبقت واللام جواب لو وقضي بينهم فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر والظرف متعلق به أي وقضي الأمر بينهم • (وانهم لفي شك منه مريب) الواو حالية وان واسمها وفي شك خبرها ومنه صفة لشك ومريب صفة ثانية • (وان كلاً لمّا ليوفينهم ربك أعمالهم) هذه الآية مشكلة جداً ويزداد الاشكال في قراءتنا وهي تشديد إن وتثقيل لما وقد اعترف المعربون القدامى بعجزهم فقال السمين ما نصه : « هذه الآية الكريمة مما تكلم الناس فيها قديماً وحديثاً وعسر على أكثرهم تلخيصها قراءة وتخريجاً وقد سهل الله تعالى ذلك فذكرت أقاويلهم وما هو الراجح منها » ثم هام في متاهات سحيقة يضيع الطالب فيها وسنتجاوز جرياً على عادتنا تلك الاوجه المتشعبة والمسالك المتباينة ونكتفي بقراءتنا وهي قراءة حفص وأبي جعفر وابن عامر وحمزة فنقول : إن واسمها ولمّا ذكروا فيها أوجهاً أربعة أسهلها وأبعدها عن التكلف ما اختاره الزجاج انها بمعنى إلا كقولهم سألتك لما فعلت بمعنى إلا وهو وجه سهل يزول به كل إشكال لولا أنه يتعارض مع ما قاله الفراء : هذا لا يجوز إلا في التمني كما قال الخليل أو بعد النفي كقوله تعالى « إن كل نفس لما عليها حافظ » ولكنه على ما فيه أسهل من الأوجه الثلاثة الباقية وهي أن تكون بمعنى لمن ما فحذفت الميمات الثلاث واختاره الفراء وأنشد :

وإني لما أصدر الأمر وجهه ... إذا هو أعيا بالسبيل مصادره

والثاني أن تكون مخففة وشددت للتأكيد واختياره المازني ولكن هذا مردود لأنه إنما يجوز تخفيف المشددة عند الضرورة فأما تشديد المخففة فلا يجوز بحال ورابع الأوجه انها مصدر لمّ من لممت الشيء إذا جمعته

إلا أنها بنيت فلم تصرف فكأنه قال وإن كلاً جميعاً ليوفينهم وفي هذا ما فيه والله أعلم . وليوفينهم اللام جواب للقسم المقدر ويوفينهم فعل مضارع مبني على الفتح والهاء مفعول وربك فاعل والجملة خبر ان وأعمالهم مفعول به ثان (إنه بما يعملون خبير) إن واسمها وبما يعملون متعلقان بخبير وخبير خبر ان (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) الفاء الفصيحة واستقم فعل أمر وكما نعت لمصدر محذوف أي فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير منحرف عنها ، ومن : الواو عاطفة ومن موصول معطوف على الضمير في استقم وانما جاز العطف عليه من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه ومعك ظرف متعلق بمحذوف صلة للموصول ويجوز أن يكون مفعولاً معه والواو للمعية . (ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير) لا ناهية وتطغوا مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وان واسمها وبما تعملون خبرها وقد تقدم نظيره .

البلاغة :

الايجاز في قوله تعالى « فاستقم » ذلك لأن الاستقامة هي الاستمرار في جهة واحدة وأن لا يعدل يميناً أو شمالاً ومعروف أن الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين فأقل انحراف يخرجه عن استقامته واذن فقد انتظم في كلمة الاستقامة جميع مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأحكام الأصلية والفرعية والكمالات التي ينشدها العارفون والمقربون ، والتحلل من ذلك خطير واجتناب التحلل عسير ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن عباس عندما قال له أصحابه : لقد أسرع فيك الشيب : « شيبتني هود والواقعة وأخواتهما » .

الفوائـد :

ما يقوله أبو حيان :

وقال أبو حيان : « وأما القراءة الثانية فتشديد إن وإعمالها في كل واضح وأما تشديد لما فقال المبرد : هذا لحن لا تقول العرب إن زيداً لما خارج ، وهذه جسارة من المبرد على عادته وكيف تكون قراءة متواترة لحناً ، وليس تركيب الآية كتركيب المثال الذي قال وهو إن زيداً لما خارج ، هذا المثال لحن وأما في الآية فليس لحناً ولو سكت وقال كما قال الكسائي : ما أدري ما وجه هذه القراءة لكان قد وفق وأما غير هذين من النحويين فاختلفوا في تخريجها » .

ثم أورد أبو حيان سيلاً من التخريجات وشجبها كلها ومنها الوجه الذي اخترناه وقال أخيراً :

« وهذه كلها تخريجات ضعيفة جداً ينزه عنها القرآن وكنت قد ظهر لي فيها وجه جار على قواعد العربية وهو ان « لما » هـذه هي لما الجازمة حذف فعلها المجزوم لدلالة المعنى عليه كما حذفوه في قولهم: قاربت المدينة ولما يريدون ولما ادخلها وكذلك هنا التقدير : وإن كلا لما ينقص من جزاء عمله ، ويدل عليه قوله تعالى : ليوفينهم ربك أعمالهم لما أخبر بانتفاء نقص أجزاء أعمالهم أكده بالقسم فقال ليوفينهم ربك أعمالهم وكنت اعتقدت اني سبقت الى هذا التخريج السائغ العاري من التكلف وذكرت ذلك لبعض من يقرأ علي فقال : قد ذكر ذلك أبو عمرو ابن الحاجب ولتركي النظر في كلام هذا الرجل لم أقف عليه ثم رأيت في كتاب التحرير نقل هذا التخريج عن ابن الحاجب قال : « لما » هذه

هي الجازمة حذف فعلها للدلالة عليه لما ثبت من جواز حذف فعلها في قولهم : خرجت ولما سافرت ولما ونحوه وهو سائغ فصيح فيكون التقدير لما يتركوا لما تقدم من الدلالة عليه من تفصيل المجموعين في قوله : فمنهم شقي وسعيد ثم ذكر الاشقياء والسعداء ومجازاتهم ثم بين ذلك بقوله : ليوفينهم ربك أعمالهم قال : ما أعرف وجهاً أشبه من هذا وان كانت النفوس تستبعده من جهة أن مثله لم يقع في القرآن ».

وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

اللغـــة :

(تركنوا) : الركون الى الشيء هو السكون إليه بالمحبة له

والانصات اليه وفي المصباح : « ركنت الى زيد اعتمدت عليه وفيه لغات احداها من باب تعب وعليه قوله تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا » وركَن ركُوناً من باب قعد قال الأزهري وليست بالفصيحة ، والثالثة ركَن يركَن بفتحتين وليسب بالاصل بل من باب تداخل اللغتين لأن باب فعَل يفعَل يكون حلقي العين أو اللام » • وقال الراغب : « والصحيح انه يقال ركن يركن بالفتح فيهما وركن يركن بالكسر في الماضي والفتح في المضارع وبالفتح في الماضي والضم في المضارع » ويؤخذ من القاموس وشرحه وغيره من معاجم اللغة انه من باب دخل ومن باب تعب أما اللازم منه فبابه ركن بضم الكاف أي كان رزيناً وقوراً •

(زلفاً) بضم الزاي وفتح اللام : جمع زلفة من الليل أي طائفة وفي القاموس : الزلفى الطائفة من الليل والجمع زُلَف وزلَفات كغرف وغرفات ، قال العجاج :

ناج طواه الاين مما رجفا طيّ الليالي زلفا فزلفا

(اترفوا) نعموا وترف كفرح تنعم وأترفته النعمة أبطرته وأطغته

الاعراب :

(ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسّكم النار) الواو استئنافية ولا ناهية وتركنوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والى الذين جار ومجرور متعلقان بتركنوا وجملة ظلموا صلة ، فتمسكم : الفاء السببية وتمسكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء الواقعة

بعد النهي والكاف مفعول به والنار فاعل • (وما لكم من دون الله من أوليـاء ثم لا تنصرون) الواو حالية أو استئنافية أيضاً والجملة حالية أي تمسكم النار حال انتفاء ناصركم أو مستأنفة وما نافية ولكم خبر مقدم ومن دون الله حال لأنه كان في الأصل صفة لأولياء ومن حرف جر زائد وأولياء مجرور لفظاً بالفتحة مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر وثم حرف عطف ولا نافية وتنصرون فعل مضارع ولم ينصبه نسقاً على تركنوا لأنه من عطف الجمـل عطف جملة فعلية على جملة اسمية (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل) الواو عاطفة وأقم فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والصلاة مفعول به وطرفي النهار نصب على الظرفية بأقم والمراد بطرفي النهـار الغـداة والعشي وزلفاً منصوب على الظرفية أيضاً بأقـم ومن الليـل صفة • (إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) إن واسمهـا وجملة يذهبن خبرها والنون فاعل يـذهبن والسيئات مفعول به وذلك مبتدأ وذكرى خبر وللذاكرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لذكرى (واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) واصبر عطف على أقم والفاء تعليلية وان واسمها وجملة لا يضيع خبرها وأجر المحسنين مفعول به • (فلولا كان من القرون من قبلكم أولـو بقية ينهون عن الفساد في الأرض) الفاء استئنافية ولولا تحضيضية ولعل اعراب كان تامة أولى إذ المعنى فهلا وجـد أو حدث فيتعلق من القرون بها أو بمحـذوف حال ومن قبلكم حال من القرون وأولو فاعلها وعلامـة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم وبقية مضاف اليه وجملة ينهون عن الفساد صفة لأولو بقية وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بالفساد واذا جعلنا كان ناقصة فيكون من القرون متعلقان بمحذوف حال وتكون جملة ينهون خبرها وأولو بقية اسمهـا والمصدر المقترن بأل يعمـل في المفاعيل

الصريحة فيكون في المؤولة والظروف أولى ويجوز أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الفساد (إلا قليلاً ممن انجينامنهم) إلا أداةاستثناءوقليلاً مستثنى منقطع لئلايفسد المعنى وننقل هنا عبارة الزمخشري وهي: «معناه ولكن قليلاً ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تركوا النهي» ثم قال : « فإن قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلاً وجه يحمل عليه ؟ قلت : ان جعلته متصلاً على ما هو عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسداً لأنه يكون تحضيضاً لأولي البقية على النهي عن الفساد لا للقليل من الناجين منهم كما تقول : هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم ، يريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وإن قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل : ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلاً كان استثناء متصلاً ومعنى صحيحاً وكان انتصابه على أصل الاستثناء وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل» وممن صفة لقليلاً وجملة أنجينا صلة ومنهم حال • (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين) واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام تقديره فلم ينهوا عن الفساد واتبع ، والذين فاعل وجملة ظلموا صلة وما مفعول به وجملة اترفوا صلة وفيه متعلقان بأترفوا وكانوا مجرمين كان واسمها وخبرها والجملة عطف على اترفوا • (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) الواو استئنافية وما نافية وكان فعل ماض ناقص وربك اسمها وليهلك اللام للجحود وهي المسبوقة بكون منفي ويهلك منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف أي مريداً ليهلك وقد سبق تقرير ذلك والقرى مفعول به وبظلم حال من الفاعل وأهلها الواو حالية وأهلها مبتدأ ومصلحون خبر والجملة حالية من المفعول به أي القرى •

البلاغـة :

في قوله تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا » الى آخر الآية فنون عديدة من البلاغة التي تتقطع دونها الأعناق وسنبسطها بما يلي :

١ ـ ائتلاف اللفظ مع المعنى :

إذ لما كان الركون الى الذين ظلموا دون فعل الظالمين وجب أن يكون العقاب عليه دون عقاب الظالمين ومسّ النار في الحقيقة دون الاحراق ولما كان الاحراق عقاباً للظالم أوجب العدل أن يكون المسّ عقاب الراكن الى الظالم فلهـذا عدل عز وجل عن قولـه مثلا ... فتدخلوا النار ، لكون الدخول مظنة الاحراق وخصّ المسّ ليشير به الى ما يقتضي الركون من العقاب ويميز بين ما يستحق الظالم وبين ما يستحق الراكن له من العقاب وإن كان مس النار قد يطلق ويراد به الاحراق لكن هذا الاطلاق مجـاز والحقيقة ما ذكرناه لأن حقيقة المس أول ملاقاة الجسم حرارة النار واذا احتمل اللفظ احتمالات صرف منها الى ما تدل عليه القرائن والائتلاف في هذه الآية معنوي .

٢ ـ الادماج :

فقد أدمج الله سبحانه وصفه بالعدل فتعلق فن الفخر بفن الادب إذ ظاهر الآية التأديب ومن أجله جاءت في هذا الباب الموعظة ووصف الحق عز وجل بالعدل .

٣ ـ البسط :

فلم يقل الظالمين وعدل عن ذلك الى قوله « الـذين ظلموا » لما يحتمل الاول من استمرار الظلم الذي لا يلائم المساس ولا تحصل به المبالغة التي تحصل من لفظ الثاني من وقوع الظلم على سبيل الندور ليلائم المعنى معنى الركون ومعنى المساس وتحصل المبالغة الحقة لأنه سبحانه إذا نهى عن الركون الى من استمر منه الظلم بطريق أولى وإذا نهى عن الركون إلى الظالم كان النهي عن فعل الظلم أحرى .

ونثبت هنا بهذه المناسبة كتاب آية في البلاغة وهو يتناسب مع المقام : لما خالط الزهري السلاطين كتب اليه أخ في الدين : عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك ، أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء ، قال سبحانه : « لتبيننه للناس ولا تكتمونه » واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالـم ، وسهلت سبيل الغي ، بدنوك ممن لم يؤد حقاً ، ولم يترك باطلاً حـين أدناك ، اتخذوك قطباً تدور عليه رحى باطلهم ، وجسراً يعبرون عليك الى بلائهم ، وسلماً يصعدون فيك الى ضلالهم ، يدخلون الشك بك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهلاء ، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خرّبوا عليك ، وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك ، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله فيهم : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّا » فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل ، فداو دينك فقد دخله سقم ،

وهيء زادك فقد حضر السفر البعيد « وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء » والسلام ٠

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

الاعراب :

(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) الواو استئنافية ولو شرطية امتناعية وشاء ربك فعل وفاعل واللام واقعة في جواب لو وجعل الناس أمة جعل ومفعوليها وواحدة صفة ٠ (ولا يزالون مختلفين إلا

من رحم ربك) الواو عاطفة ولا يزالون فعل مضارع ناقص والواو اسمها ومختلفين خبرها وإلا من رحم ربك قال الزجاج استثناء منقطع على معنى لكن وتقديره لكن من رحم ربك فإنه غير مختلف واكتفى أبو البقاء بقوله هو مستثنى من ضمير الفاعل في يزالون . (ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك) لذلك متعلق بخلقهم والاشارة الى الاختلاف والرحمة وخلقهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به وتمت كلمة ربك فعل وفاعل والمراد بكلمته قضاؤه الأزلي وحكمه المبرم . (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لأملأن جهنم جواب قسم مقدر تقديره يميناً لأملأن وأملأن فعل مضارع مبني على الفتح وجهنم مفعول به ومن الجنة جار ومجرور متعلقان بأملأن ، والجنـة هي الجن والتاء للمبالغة وأجمعين تأكيد . (وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) يجوز أن تنصب كلاً نصباً عـلى المصدر وتقديره وكل القصص نقص عليك وجملة نقص عليك في موضع الصفة لقوله وكلاً ، ويجوز أن ينصب عـلى المفعولية والمضاف اليه محـذوف عوض منه التنوين تقديره كل نبأ نقص عليك ومن أنباء صفة لكـلاً وما اسم موصول في محل نصب بدل من كلاً وقيل زائدة ، وعلى الوجه الاول تعرب مفعولاً وجملة نثبت به فؤادك صلة ومعنى تثبيت القلب زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه . (وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) وجاءك فعل ومفعول به وفي هذه متعلقان بجاءك والاشارة الى السورة أو الأنباء المقتصة فيها والحق فاعل جاءك وما بعده عطف عليه . (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا عـلى مكانتكم) للذين جار ومجرور متعلقان بقل وجملة لا يؤمنون صلة واعملوا فعل أمر والواو فاعل والجملة مقول القول وعلى مكانتكم حال أي حال كونكم ثابتين على مكانتكم وقد سبق القول في المكانة . (إنا عاملون) ان واسمها

وخبرها • (وانتظروا إنا منتظرون) انتظروا فعل أمر والواو فاعل وإنا منتظرون ان واسمها وخبرها والتهديد واضح • (ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الأمر كله) لله خبر مقدم وغيب السموات مبتدأ مؤخر واليه متعلقان بيرجع والأمر نائب فاعله وكله تأكيد • (فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما يعملون) الفاء الفصيحة واعبده فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وتوكل عطف على اعبده وعليه متعلقان بتوكل وما حجازية وربك اسمها والباء حرف جر زائد وغافل مجرور لفظاً منصوب محلاً خبرها وعما متعلقان بغافل ويعملون صلة ما •

سُورَةُ يُوسُفَ

مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

اللغــة :

(القصص) : عـلى وجهـين : أحـدهما يكون مصدراً بمعنى الاقتصاص تقول قصّ الحديث يقصّه قصصاً وثانيهما يكون فَعَلاً بمعنى مفعول كالنفض بمعنى المنفوض واشتقاقه من قصّ أثره إذا تبعه لأن الذي يقصّ الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً .

الاعراب :

(الر تلك آيات الكتاب المبين) الر : تقدم اعرابها والقول فيها وتلك مبتدأ وآيات خبر والكتاب مضاف اليـه والمبين صفة للكتاب . (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكـم تعقلون) ان واسمها وجملة أنزلناه خبرها وقرآناً حال من ضمير أنزلناه أي الهاء وقيل انتصب على البدلية من الضمير ، وعربياً صفة ولعلكم تعقلون : لعل واسمها وجملة تعقلون خبرها . (نحن نقص عليك أحسن القصص بمـا أوحينا اليك هـذا القرآن) نحن مبتدأ وجملة نقص خبر والفاعـل مستتر تقديره نحن وعليك متعلقـان بنقص وأحسن مفعول به إذا كان القصص مصدراً بمعنى المفعـول ومفعول مطلق إذا كان القصص مصدراً غـير مراد به المفعـول والقصص مضاف اليه والباء للسببية وما مصدرية وهي مع مافي حيزها مجرورة بالباء والجار والمجرور متعلقان بنقص أيضاً أي بسبب ايحائنا واليك متعلقان بأوحينا وهذا مفعول به والقرآن بدل من اسم الاشارة . (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) الواو للحـال وان مخففة من الثقيلة وكان واسمها ومـن قبله حال واللام الفارقـة ومن الغافلين خبر كنت . (إذ قال يوسف لأبيه : يا أبت إني رأيت أحـد

عشر كوكباً) يجوز لك أن تعلق إذ الظرفية بفعل مضمر أي اذكر ولك أن تجعله بدل اشتمال من أحسن القصص ويجوز أن يتعلق بنقص ولكن في هذا اخراجا لاذ عن المضي ، وجملة قال يوسف مضاف اليها الظرف ولأبيه متعلقان بقال ويا حرف نداء وأبت منادى مضاف الى ياء المتكلم التي حذفت وعوضت عنها التاء المكسورة أو المفتوحة وسيرد المزيد عنها في باب الفوائد وكسرت همزة إن بعد القول والياء اسم ان وجملة رأيت خبرها وأحد عشر جزءان عدديان مبنيان على الفتح في محل نصب مفعول به لرأيت وكوكباً تمييز ورأيت من الرؤيا أي المنام وهي تنصب مفعولين . (والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) الواو حرف عطف والشمس والقمر معطوفان على أحد عشر كوكباً ورأيتهم فعل وفاعل ومفعول به وليست تأكيداً لرأيتهم الأولى ولي متعلقان بساجدين وساجدين مفعول به ثان لرأيتهم وأعربها أبو البقاء حالاً وقال ان الرؤية عينية وسيأتي تحقيق هذا في باب البلاغة . (قال يا بني لاتقصص رؤياك على اخوتك) يا بني تقدم اعربها في هود ولا ناهية وتقصص فعل مضارع مجزوم بلا ورؤياك مفعول به وعلى اخوتك جار ومجرور متعلقان بتقصص . (فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للانسان عدوٌ مبين) الفاء سببية ويكيدوا منصوب بأن مضمرة لأنه وقع جواباً للنهي والواو فاعل ولك متعلقان بيكيدوا وكيداً يحتمل أن يكون مفعولاً مطلقاً مؤكداً ويحتمل أن يكون مفعولاً به أي يصنعوا لك كيداً وإن الشيطان إن واسمها وللانسان حال وعدو خبر إن ومبين صفة . (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث) كذلك نعت لمصدر محذوف أي كما اجتباك واختارك لهذه الرؤيا العظيمة يجتبيك لأمور عظام ، والكاف مفعول يجتبيك وربك فاعل ويعلمك ليس عطفاً على يجتبيك ولكنه كلام مستأنف كأنه قيل وهو يعلمك ويتم

نعمته ، ومن تأويل جار ومجرور متعلقان بيعلمك والاحاديث مضاف اليه . (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب) عطف على يعلمك ونعمته مفعول به وعليك جار ومجرور متعلقان بنعمته أو بيتم وعلى آل يعقوب عطف عليه . (كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم) كما أتمها نعت لمصدر محذوف أي اتماماً مثل اتمامها على أبويك وعلى أبويك متعلقان بأتمها ومن قبل حال وابراهيم بدل من أبويك أو عطف بيان واسحق عطف على ابراهيم وان واسمها وخبراها .

البلاغـة :

١ ـ في قوله تعالى « رأيتهم » تكرار يظنّه الناظر أنه تأكيد لأول وهلة وليس هو بالتأكيد وانما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له ويجوز أن تكون للتوكيد باعتبار أن طول الفصل بالمفاعيل استدعى ذلك فجيء برأيتهم تطرية وتنويعاً للحديث .

٢ ـ في قوله تعالى « ساجدين » أجرى الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر مجرى العقلاء وهو الذي يسميه النحاة تغليباً وهذا الوصف صناعي ، أما السر البياني فأمر كامن وراء هذا الوصف ذلك لأنه لما وصف الكواكب والشمس والقمر بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم وسيأتي الكثير منه في القرآن .

٣ ـ براعة التخلص :

وهو فن مشهور ذائع في كلام البلغاء ، وهو امتزاج ما يقدمه الكاتب أو للشاعر من البسط بأول ما استهل به كلامه كالبيت

الاول من القصيدة والفقرة الاولى من المقالة على أن يختلس ذلك اختلاساً رشيقاً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام كأنهما أفرغا في قالب واحد ، أو يوطىء الكاتب فيه بفصل لفصل يريد أن يأتي به بعده وإما بنكتة تشير الى معنى الفصل المستقبل كقوله تعالى : « نحن نقص عليك أحسن القصص » فإنه سبحانه وطأ بهذا الفصل الى ما يأتي بعده من سرد قصة يوسف عليه السلام فتخلص به الى ذكر القصة تخلصاً بارعاً فإن النكتة التي أشارت الى وصف هذه القصة بنهاية الحسن دون سائر قصص الأنبياء المذكورة في القرآن وهي قوله : « أحسن القصص » فإن المخاطب اذا قرع سمعه هذا الوصف للقصة تنبه الى تأملها فيجد كل قضية فيها ختمت بخير وكل ضيق انتهى الى سعة ، وكل شدة آلت الى رخاء وذلك أمر عجيب يستحيل أن يأتي على القصة الحديثة « العقدة » تختم بالخير أو ما يسمّى في عرف القصة الحديثة بالحل :

١ً ـ رمي يوسف في الجب واستحكمت عقدته فنجا .

٢ً ـ بيع بالثمن البخس الذي يشير في مدلوله الى الضعة والمهانة واستحكمت العقدة ثانية فإذا الذي اشتراه يستصفيه وينزله منه بمنزلة الولد .

٣ً ـ راودته التي هو في بيتها عن نفسه ووثبت الشهوة ، وصرخت اللذة ، وكاد العقل يقصف والرشد يغزب واستحكمت العقدة ثالثة فإذا هو يكبح جماح نفسه ويستعصم .

٤ً ـ ودخل السجن ، ورانت عليه ظلمته وأقتمت معالمه واستحكمت العقدة رابعة فخرج منه ملكاً .

٥ – وظفر باخوته بعد أن عرف غدرهم به ومحاولتهم اهلاكه فلم يذهب مع هوى النفس التي تثأر وتنتقم وطأمن من غلوائه .

٦ – وسره الله بلقاء شقيقه بعد اليأس فأتنس به .

٧ – فارقه أبوه وحزن من أجله حتى عمي واستحكمت العقدة مرة أخرى ثم اجتمع به وسر بلقائه وارتد الوالد بصيراً .

٨ – جاء الله به من البدو وأحله بمصر على سرير الملك .

٩ – غضب هو وأبوه على بقية الأولاد ثم رضيا عنهم .

١٠ – ثم وأخيراً سجد له أبواه واخوته تحقيقاً لرؤياه فناسب الختام البدء وكانت براعة التخلص من أجمل ما عرف في الكتابة .

حسن التخلص في الشعر :

على أنه لا يفوتنا أن نورد بعض ما ورد من حسن التخلص في شعرنا العربي ومن المؤسف أن ينتهي غالباً بالمديح ونحن لا نقر هذا المديح ولا نعترف به إلا من حيث انه تقليد بحت أو تسجيل لما جرى على يد الممدوح من نفع عام ، قال أبو تمام يمدح أبا دلف وهو بطل عربي اشتهر بجهاده :

ودع فؤادك توديع الفراق فما أراه من سفر التوديع منصرفا
يجاذب الشوق طوراً ثم يجذبه جهاده للقوافي في أبي دلفا

ومن ألطف المخالص قول أبي العلاء المعري :

ولو أن المطيّ لها عقول وجدك لم تشد لها عقالا

مواصلة لهـا رحلي كأني من الدنيا أريد بها انفصالا
سألن فقلت مقصدنا سعيد فكان اسم الأمير لهن فالا

الفوائـد :

١ ـ « رأى » من الرؤيا :

اختلف النحاة واللغويون في « رأى » الحلمية ، والمحققون على أنها ملحقة برأى العلميـة في التعدي لاثنين بجامـع ادراك الحس في الباطن كقوله تعالى : «إني أراني أعصر خمراً» فأرى عملت في ضميرين متصلين لمسمى واحد وأحدهما فاعل والثاني مفعول أول وجملة أعصر حمراً المفعول الثاني وكقول عمرو بن أحمر الباهلي يذكر جماعة من قومه لحقوا بالشام فرآهم في منامه :

أراهـم رفقتي حتى إذا ما تجافى الليل وانخزل انخزالا

فالهـاء مفعول أول ورفقتي بضـم الراي وكسرها مفعول ثان والرؤيا هنا حلمية بدليل قوله : حتى إذا ما تجافى الليل وانخزل انخزالا أي انطوى وانقطع ، والى هذا أشار في الخلاصة :

ولرأى الرؤيا انم ما لعلمـا طالب مفعولين من قبل انتمى

وذهب بعضهم الى أن رأى الحلمية لا تنصب مفعولين وان ثاني المنصوبين حال ورد بوقوعه معرفة هنا كما هنا واعترض بأن الرفقة وهـم المخالطون والمرافقون فهو بمعنى اسم الفاعـل فالاضافة فيه غير محضة .

٢ ـ حديث اليهودي وكواكب يوسف :

ونرى من المفيد التنبيه الى ما يرويه المفسرون من أحاديث عن كواكب يوسف فقد أخرج الحاكم في مستدركه أن يهودياً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبرني بأسماء الكواكب التي رآها يوسف عليه السلام فقال : إن أخبرتك بأسمائها أتسلم ؟ قال : نعم • قال صلى الله عليه وسلم : الذيال والوثاب والطارق والفيلق والصبح والقابس والضروح والخرثان والكتفان والعمودان وذو الفرع • قال : صدقت يا محمد ولم يسلم » والوضع ظاهر على هذا الحديث وفي سنده جماعة متكلم فيهم • وقال ابن الجوزي هو موضوع •

* لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ

لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَـٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

اللغـــة :

(غيابة الجب) : الغيابة : سدٌ أو طاق في البئر قريب الماء يغيب ما فيه عن العيون وقال الزمخشري : هي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله قال المنخل :

إذا أنا يوماً غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة والأهل

أراد غيابة حفرته التي يدفن فيها ، والجب : البئر التي لم تطو وسمي بذلك إما لكونه محفوراً في جيوب الأرض أي ما غلظ منها وإما لأنه قطع في الأرض ويجمع على أجباب وجباب وجببة .

(السيارة) : جمع سيار أي المبالغ في السير وفي المختار والسيارة القافلة ، فتسميتهم السيارة المعروفة اليوم صحيح لا غبار عليه لأنه مؤنث سيار .

الاعراب :

(لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) اللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق وكان فعل ماض ناقص وفي يوسف خبر

مقدم واخوته عطف على يوسف وآيات اسم كان المؤخر وللسائلين صفة لآيات • (إذ قالوا : ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمحذوف تقديره اذكر وقيل الظرف متعلق بكان وجملة قالوا مضاف اليها الظرف واللام للابتداء وفيها تأكيد لتحقيق مضمون الجملة وأخوه عطف على يوسف وهو بنيامين شقيقه وأحب خبر والى أبينا جار ومجرور متعلقان بأحب وقد تقدم أن الحب والبغض إذا بني منهما أفعل التفضيل أو فعلا التعجب تعدى الفعل منهما الى الفاعل المعنوي بإلى والى المفعول المعنوي باللام فاذا قلت زيد أحب إلي من بكر كان معناها أنك تحب زيداً أكثر من بكر ، ومنا متعلقان بأحب كذلك ولم يطابق أحب في الاثنين لأن أفعل التفضيل يلزم الافراد والتذكير إذا كان معه من ولا بد من الفرق مع ال وإذا أضيف جاز الأمران • (ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين) الواو للحال ونحن مبتدأ عصبة خبر وان واسمها واللام المزحلقة وفي ضلال خبرها ومبين صفة • والعصبة : الجماعة ، قيل : هي ما بين الواحد الى العشرة • (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم) اقتلوا فعل أمر والواو فاعل ويوسف مفعول به أو اطرحوه عطف على اقتلوا وأرضاً نصبت نصب الظروف المبهمة أي أرضاً منكرة مجهولة بعيدة عن العمران • قال الزمخشري وقال ابن عطية : « وذلك خطأ لأن الظرف ينبغي أن يكون مبهماً وهذه ليست كذلك بل هي أرض مقيدة بأنها بعيدة أو قاصية ونحو ذلك فزال بذلك ابهامها ومعلوم أن يوسف لم يخل من الكون في أرض فتبين أنهم أرادوا أرضاً بعيدة غير التي هو فيها قريب من أبيه » وصحح أبو حيان هذا الرد • ويجوز أن تنصب بنزع الخافض أي في أرض وهو بمعنى الظرف ، وقيل مفعول ثان لاطرحوه المتضمنة معنى انزلوه ويخل جواب الأمر ولكم متعلقان بيخل ووجه فاعل وأبيكم مضاف اليه وسيأتي معنى يخل

لكم وجه أبيكم في باب البلاغة ، (وتكونوا من بعده قوماً صالحين) وتكونوا عطف على يخل والواو اسم كان ومن بعده حال وقوماً خبر وصالحين صفة • (قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب) قال قائل فعل وفاعل ومنهم صفة ولا ناهية وتقتلوا فعل مضارع مجزوم بلا والولو فاعل ويوسف مفعول به وألقوه فعل أمر وفاعل ومفعول به وفي غيابة الجب متعلقان بألقوه • (يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين) يلتقطه جزم لوقوعه جواباً للأمر وبعض السيارة فاعل وإن شرطية وكنتم فاعلين كان واسمها وخبرها وجواب ان محذوف أي ان كنتم على أن تعملوا مايحصل به الغرض فهذا هو الرأي الصواب (قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف) قالوا فعل وفاعل ويا أبانا منادى مضاف وما اسم استفهام مبتدأ ولك خبر ما ولا نافية وتأمنا فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت ونا مفعول به وقد أدغمت نون تأمن بنا وقد قرىء على أشكال مختلفة وعلى يوسف متعلقان بتأمنا وجملة لا تأمنا حال وجملة مالك لا تأمنا مقول القول والتقدير أي شيء ثبت لك منا • (وإنا له لناصحون) الواو للحال وان واسمها وله متعلقان بناصحون واللام المزحلقة وناصحون خبر إنا والجملة حال من نا فيكون حالاً من حال • (أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون) أرسله فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به ومعنا ظرف مكان متعلق بأرسله ونا مضاف اليه وغداً ظرف متعلق بأرسله أيضاً ويرتع مجزوم لأنه جواب الأمر ويلعب عطف عليه وجملة إنا له لحافظون حالية وقد تقدم إعرابها • (قال إني ليحزنني أن تذهبوا به) إن واسمها واللام المزحلقة وجملة يحزنني خبر إن والياء مفعول به وأن ومافي حيزها فيتأويل مصدر فاعل يحزنني وبهجار ومجرور متعلقان بتذهبوا• (وأخاف أن يأكله الذئب) أن وما في حيزها مفعول أخاف والذئب

فاعل يأكله ولا يغرب عنك أنه لقنهم العلة التي يعتلون بها على حد قول المثل « إن البلاء موكل بالمنطق » . (وأنتم عنه غافلون) الواو للحال وأنتم مبتدأ وغافلون خبره وعنه متعلقان بغافلون (قالوا : لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذن لخاسرون) اللام موطئة للقسم وان شرطية وأكله الذئب فعل ومفعول به وفاعل والواو حالية ونحن مبتدأ وعصبة خبر والجملة حالية وان واسمها وإذن حرف جواب وجزاء مهمل وخاسرون خبر إنا والجملة جواب القسم وجملة جواب الشرط محذوفة لأن الجواب يعطى للمتقدم كما قررنا سابقاً .

البلاغة :

١ ـ المجاز في قوله تعالى « يخل لكم وجه أبيكم » وانما ذكر الوجه لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل عليه بوجهه لأن أول ما يستقبل الانسان الوجه فعبر به عن اقباله عليهم وعدم الالتفات الى غيرهم واتنفاء المشارك لهم في حب والدهم .

٢ ـ وفي قوله « لخاسرون » مجاز عن الضعف والعجز والعلاقة هي السببية .

فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ

قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾

اللغــة :

(أجمعوا) : يقال أجمعوا الأمر وأجمعوا عليــه يتعدى بنفسه وبالباء أي عزموا عليه عزماً مصمماً .

(سولت) : أصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه وقال الزمخشري سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء وفي القاموس : سولت له نفسه كذا : زينته له وسهلته له وهوّنته وقيل هو من السول بفتحتين أي استرخاء العصب ونحوه فكأن المسول بذله فيما حرص عليه .

(دلوه) : في المختار الــدلو التي يستقى بها ودلا الدلو نزعها وبابه عدا وأدلاها أرسلها في البئر وفي القاموس ودلوت الدلو ودليتها أرسلتها في البئر ودلاّها جذبها ليخرجها والدلو مؤنث وقد يذكر .

الاعراب :

(فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) الفاء عاطفة والجملة معطوفة على محـذوف يفهم من سياق القصة تقديره فأرسله معهم، ولما حينية أو رابطة وذهبوا فعل وفاعل وبه جار ومجرور متعلقان بذهبوا وأجمعوا عطف على ذهبوا ، أو الواو للحال والجملة حالية بتقدير : قـد ، وان وما في حيزها مفعول أجمعـوا أو منصوب بنزع الخافض وفي غيابة الجب متعلقان بيجعلوه وجواب لما محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوه من الأذى • (وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) اختلف في هذه الواو فقيل عاطفة وان الايحاء الى يوسف كان في ا لجب وله سبع عشرة سنة أو دونها تطميناً لقلبه ولم يكن ايحاء نبوة وقيل زائدة وانها جواب لو أي جملة أوحينا وهو قول جيد لو ساعدت اللغة عـلى زيادة الواو واليه متعلقـان بأوحينا ، اللام موطئة للقسم وتنبئنهم فعل مضارع مبني على الفتح والهاء مفعول به وبأمرهم متعلقان بتنبئنهم وهذا صفة لأمرهم والواو للحال وهم مبتدأ وجملة لا يشعرون خبر والجملة حالية • (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) الواو عاطفة وجاءوا فعل وفاعل وأباهم مفعول به وعشاء ظرف زمان متعلق بجاء وجملة يبكون حال من الواو أي وقت العشاء باكين • قيل : وانما جاءوا عشاء ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة • (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) جملة إنا ذهبنا مقول القول وان واسمها وجملة ذهبنا خبر إن وجملة نستبق حـال والاستباق يكـون بالعدو والترامي والتناضل (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب) وتركنا يوسف عطف على ذهبنا والظرف متعلق بتركنا فأكله عطف والهاء مفعول به والذئب فاعل • قال ثلعب « والذئب مأخوذ من تذأبت الريح إذا هاجت

من كل وجـه » قال « والذئب مهموز لأنه يجيء من كل وجـه » .
(وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) الواو عاطفة وما نافية حجازية وأنت اسمها والباء حرف جر زائد ومؤمن مجرور لفظاً خبر ما محلاً ولنا متعلقان بمؤمن ولو الواو عاطفة ولو شرطية وهي في هذا الموضع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الاجمال بإدخالها عـلى أبعدها منه وأشدها منافاة له ليظهر بثبوته أو انتفائه معـه ثبوته أو انتفاؤه مع غيره من الأحوال بطريق الأولوية ولا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنـه بذكر الواو العاطفة للجملة عـلى نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها ، وكنا كان واسمها وصادقين خبرها . (وجاءوا على قميصه بدم كـذب) الواو عاطفة وجاءوا فعل وفاعل وعلى قميصه محله النصب على الظرفية كأنه قيل : وجاءوا فوق قميصه بدم وهذا الظرف معمول لحال محذوفة من دم والتقدير وجاءوا بدم كذب حال كونه كائناً فوق قميصه وقد منع ذلك الزمخشري وسترى في باب الفوائد بحثاً مفيداً ممتعاً بهذا الصدد . وبدم متعلقان بجاءوا وكـذب صفة وسيرد في باب البلاغة معنى وصف الدم بالكـذب . (قال : بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) بل حرف اضراب وسولت لكم أنفسكم فعـل وفاعل وأمراً مفعول به فصبر جميل خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبرهمحذوف وساغ الابتداء بالنكرة لوصفه . (والله المستعان عـلى ما تصفون) الواو عاطفة والله مبتدأ والمستعان خبر وعلى ما متعلقان بالمستعان وجملة تصفون صلة والعائد محذوف أي تصفونه . (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه) الواو استئنافية وجاءت سيارة فعل وفاعل فأرسلوا عطف على جاءت والواو فاعل وواردهم مفعول به وهو رجل يقال له

مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء لأن الوارد هو الذي يرد الماء ليستقي للقوم فأدلى عطف ودلوه مفعول به. (قال يا بشرى هذا غلام) يا حرف نداء وبشرى منادى نكرة مقصودة نادى البشرى حيث كانت كأنه يقول لها تعالي فهذا وقتك وهذا مبتدأ وغلام خبر قيل عبر بالغلام للجمال الذي بهره لما رآه وانما سمي الغلام غلاماً لاشتقاقه من الغلمة لأنه بريد الشهوة يقال اغتلم الشراب اشتدت سورته واغتلمت الأمواج اشتدت والغلامة انثى الغلام وأبو نواس كان يتظرف ويقول عن الفتاة الجميلة غلامية . (وأسروه بضاعـة والله عليم بما يعملون) وأسروه فعل وفاعل ومفعول أي أخفوه والضمير يعود للوارد وأصحابه وقيل لأخوة يوسف الذين عادوا وكانوا يظنون أن يوسف مات فقالوا هذا عبد أبق منا فإن أردتم بعناه لكم فاشتراه مالك بن ذعر الخزاعي . وبضاعة نصب على الحال أي أخفوه متاعاً للتجارة ، والبضاعة ما بضع من المال للتجارة . (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة) الواو عاطفة وشروه فعل وفاعل ومفعول أي باعوه وبثمن متعلقان بشروه وبخس صفة ودراهم بدل من ثمن ومعدودة صفة ووصفها بامكان عدها كناية عن قلتها لأن الكثيرة يتعذر عدها . (وكانوا فيه من الزاهدين) كان واسمها وفيه متعلقان بمحذوف حال وقال أبو حيان : « متعلقان بأعني مضمرة أو بمحذوف يدل عليه من الزاهدين أو بالزاهدين لأنه يتسامح في الجار والمجرور والظرف » ومن الزاهدين خبر كانوا . وقال ابن هشام : وقول آخر « وكانوا فيه من الزاهدين » إن في متعلقة بزاهدين المذكور وهذا ممتنع إذا قدرت ال موصولة وهو الظاهر لأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول فيجب حينئذ تعلقها بأعني محذوفة أو بزاهدين محذوفاً مدلولاً عليه بالمذكور أو بالكون المذكور الذي تعلق به من الزاهدين وأما إن قدرت أل للتعريف فواضح .

البلاغـة :

وصف الدم بالكذب مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته والفاعـل والمفعول يسميان بالمصدر كما يقال ماء سكب أي مسكوب والفاعل كقوله « إن أصبح ماؤكم غوراً » أي غائراً كما سموا المصدر بهمـا قالوا للعقل المعقول وللجلد المجلود ومنه قوله تعالى « بأيكم المفتون » .

الفوائـد :

هل تتقدم الحال على الجار والمجرور :

منع النحاة تقديم الحال عـلى صاحبها إذا كان مجروراً كمررت بهند جالسة فجالسة حال من هند ولا يجوز تقديمها عليها . لا تقول مررت جالسة بهند وهذا تقريباً مذهب الجمهور وعللوا ذلك بأن تعلق العامل بالحال ثان لتعلقه بصاحبه فحقه إذا تعدى لصاحبه بواسطة أن يتعدى إليه بتلك الواسطة لكن منع من ذلك أن الفعل لا يتعدى بحرف واحد الى شيئين فجعلوا عوضاً عن الاشتراك في الواسطة التزام التأخير وخالف في هذه الفارسي وابن جني وابن كيسان وابن برهان وغيرهم فأجازوا التقديم مستدلين بقوله تعالى « وجاءوا على قميصه بدم كذب » قالوا في الرد على الزمخشري القائل : إنه ليس بحال لأن حال المجرور لا يتقدم قالوا : فيه ان المعنى لا يساعد على نصبه على الظرف بمعنى لأن العامل فيه إذ ذاك جاءوا وليس الفوق ظرفاً بل يستحيل أن يكون ظرفاً وبقوله تعالى « وما أرسلناك إلا كافـة للناس » فكافة حال من المجرور وهو الناس وقد تقـدم على صاحبـه المجرور باللام وبنحو

قول الشاعر :

تسليت طراً عنكم بعد بينكم   بذكراكم حتى كأنكم عندي

فطراً بمعنى جميعاً حال من الكاف والميم وقد تقدم على صاحبه المجرور بعن ورد الزمخشري والمانعون بقولهم ان هذا البيت ضرورة أو طراً حال من عنكم محذوفة مدلولاً عليها بعنكم المذكورة وإن كافة في الآية حال من الكاف في أرسلناك وان التاء للمبالغة لا للتأنيث ، هذا ولا يحتمل هذا الباب ما استفاض فيه هؤلاء العلماء من ردود ومناقشات فحسبنا ما تقدم .

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا

بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

اللغــة :

(مثواه) : مقامه يقــال ثوى بالمكان وأثوى أقام وفلان أكرم مثواي وطــال بي الثواء وهو أبو مثواي وهي أم مثواي لمن أنت نازل به قال :

أفي كل يوم أم مثوى تسوسني تنفّض أثوابي وتسألني ما اسمي

(أشده) : في الأشدّ ثلاثة أقوال أحدها قول سيبويه : انه جمع مفرده شدة نحو نعمة وأنعم ، والثاني قول الكسائي : ان مفرده شُد بوزن قفل ، والثالث انه جمع لا واحد له من لفظــه وهو قول أبي عبيدة وهو من الشد وهو الربط على الشيء والعقد عليه . وقال الراغب : وفيه تنبيه على أن الانسان إذا بلغ هذا القدر يتقوّى خلقه الذي هو عليه فلا يكاد يزايله ، وقيــل في الأشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلاث ، وثلاث وأربعون وقيل أقصاه ثنتان وستون .

(راودته) المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده ، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه ، وهي عبارة عن التحيل لمواقعته اياها ومنه الرائد لطالب الماء والكلأ وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومماطلة المدين ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من أحد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه فإن هذه الأفعال وإن كانت صادرة عن الجانبين لكن لما كانت أسبابها صادرة

عن الجانب الآخر جعلت كأنها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه أن سبب الشيء يقوم مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم « كما تدين تدان » أي كما تجزي تجزى فإن فعل البادي وان لم يكن جزاء لكونه سبباً للجزاء أطلق عليه اسمها وكذلك إرادة القيام إلى الصلاة وارادة القرآن حيث كانتا سبباً للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل إذا قمتم الى الصلاة ، فإذا قرأت القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة . ويجوز أن يراد بصيغة المفاعلة مجرد المبالغة ، وقيل الصيغة على بابها بمعنى أنها طلبت منه الفعل وهو طلب منها الترك ، ويجوز أن تكون من الرويد وهو الرفق والتجمل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعه عن نفسه أي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه عن شيء لا يريد اخراجه من يده وهو يحتال أن يأخذه منه .

(هيت لك) : اسم للفعل وفيه ضمير المخاطب كصه ومه ومسماه أسرع يقال هيت إذا دعاه ، قال الشاعر :

أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتيتا
أن العراق وأهله سَلَمٌ عليك فهيت هيتا

يريد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو لازم لا يتعدى الى مفعول كما أن مسماه كذلك وفيه ثلاث لغات هيت بالفتح وهيت بالضم وهيت بالكسر ، و « لك » من قولك هيت لك تبيين للمخاطب جيء به بعد استغناء الكلام عنه كما كان كذلك في سقيا لك ، ألا ترى أن سقيا غير محتاجة إلى لك لأن معناه سقاك الله سقياً وإنما جيء بلك تأكيداً وزيادة فهي في هيت لك كذلك . وقيل هيت اسم فعل ماض بمعنى تهيأت ، وفي القاموس : وهيت لك مثلثة الآخر وقد يكسر أوله

أي هلم ، وقال العلامة الغنيمي : يحتمل أن يكون الضمير المستتر في تهيأت تقديره هي وقرىء تهيأت بسكون التاء وهذه حكاية لكلامها كما تقول : قال زيد و الله ليفعلن ، أي قال والله لأفعلن .

(معاذ الله) : هــذا أحد مصادر عاذ يعوذ عوذاً ومعاذاً وعوذة وعياذة وعِياذاً ومعنى أعوذ بالله أعتصم وأمتنع لله من الشيطان الرجيم وينشد للراجز زيد بن عمرو بن تفيل أو لعبد المطلب :

آنفي لك اللهم عانٍ راغم مهما تجشّمني فإني جاشم

عذت بما عاذ به ابرا ِهــمْ

يريد به ابراهيم عليــه السلام ومن العرب من يقــول : ابراهام وكذلك قرأ ابن عامر وذلك أن ابراهيم اسم أعجمي فإذا عربته العرب فانها تخالف بين ألفاظه ومنهم من يقول إبْرَهَم بغير ألف قال الشاعر :

نحن آل الله في كعبتـــــه لم يزل ذاك على عهد ابْرَهَمْ

وعن الفراء قال : « العرب تقول نعوذ بالله من ِطئةِ الذليل أي أعوذ بالله من أن يطأني ذليل » وفي لسان العرب « وطأة الذليل من استعاذته بالله » .

الاعراب :

(وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه) عطف على محذوف أي دخلوا مصر وعرضوه للبيع فاشتراه عزيز مصر الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير . وقال فعل ماض والذي فاعل وجملة

اشتراه صلة ومن مصر حال ولامرأته جار ومجرور متعلقان بقال وجملة أكرمي مثواه مقول القول وهي فعل وفاعل ومفعول وقد تقدم شرحها (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) عسى من أفعال الرجاء واسمها مستتر وان وما في حيزها خبرها وقد تقدم القول فيها وأو حرف عطف ونتخذه فعل مضارع معطوف على ينفعنا والهاء مفعول به أول وولداً مفعول به ثان • (وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض) وكذلك نعت لمصدر أي مثل ذلك التمكين ومكنا فعل ماض وفاعل وليوسف متعلقان به فإن فعل مكن يتعدى بنفسه وباللام كما هنا وفي الأرض حال • (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) الواو عاطفة واللام للتعليل ونعلمه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والهاء مفعول به والجار والمجرور متعلقان بمحذوف أي ولنعلمه مكناه وقد سبق مثيله في « ولتكملوا العدة » ومن تأويل الأحاديث متعلقان بنعلمه وأعربها الجلال على زيادة الواو فهي متعلقة بمكنا المذكور • (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) والله مبتدأ وغالب خبر وعلى أمره جار ومجرور متعلقان بغالب والواو حالية ولكن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها • (ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين) لما حينية أو رابطة وبلغ أشده فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به وحكماً مفعول به ثان وعلماً عطف عليه وكذلك نعت لمصدر محذوف ونجزي المحسنين فعل مضارع وفاعل ومفعول به • (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه) الواو عاطفة وراودته فعل ومفعول به مقدم والتي فاعل وهو مبتدأ وفي بيتها خبر والجملة الاسمية صلة وعن نفسه جار ومجرور متعلقان براودته • (وغلقت الأبواب وقالت هيت لك) جمل معطوفة وتقدم اعراب هيت لك في باب اللغة واسم المرأة التي راودته زنيخاء بفتح الزاي وكسر اللام • ولم يقل : وراودته زليخا أو امرأة

العزيز إما لاستهجان التصريح بالاسم في حكم المراودة والاحتيال في طلب المواقعة وإما للإخفاء عن الآخرين لئلا يتهموها وإما لزيادة تقرير ثبوت المسند للمسند اليه فإن كونه في بيتها وتمكنها من مشاهدة جماله حيناً فحيناً مما يحقق مراودتها أو لزيادة تقرير المقصود لأن امتناعه منها مع كمال قدرتها عليه يدل على نزاهته وطهارة ذيله ، وقيل اختار في الآية إذ يجوز الاشتراك في علمها وإرادة الجنس في امرأة العزيز بخلاف الموصول . (قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي) معاذ الله نصب على المصدر أي أعوذ بالله معاذاً وانه ربي ان واسمها وخبرها ، والضمير يجوز أن يعود لطقفير الذي اشتراه ومعناه سيدي ومالكي يريد قطفير ، وجملة أحسن مثواي حال ويجوز أن يعود الضمير الى الشأن والحديث ، وربي مبتدأ وجملة أحسن مثواي خبر والجملة خبر إن ويجوز أن تكون الهاء ضمير الله تعالى وقد استبعد بعضهم الأول وقالوا يبعد جداً أن يطلق نبي كريم على مخلوق انه ربه ولو بمعنى السيد لأنه ليس مملوكاً في الحقيقة (انه لا يفلح الظالمون) إن واسمها وجملة لا يفلح الظالمون خبرها والضمير يعود للشأن هنا . (ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه) اللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وهمت فعل ماض وهي فاعله وبه متعلقان بهمت ، وهمّ فعل ماض وهو فاعله وبها متعلقان بهم ولولا حرف امتناع لوجود وأن وما في حيزها مبتدأ محذوف الخبر أي لولا رؤيته برهان ربه ماثل أمامه وجواب لولا محذوف أي لواقعها واختلف في البرهان الذي رآه ، وللمفسرين فيه كلام طويل يرجع اليه في المطولات وحسبنا أن ننقل عبارة أبي حيان . قال : « والذي اختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول : لقد قارفت لولا أن عصمك الله ولا تقول

إن جواب لولا متقدم عليها وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها وقد ذهب الى ذلك الكوفيون ومن أعلام البصريين أبو زيـــد الأنصاري وأبو العباس المبرد بل نقول إن جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه كما يقول جمهـور البصريين في قول العرب أنت ظالم إن فعلت فيقدرونه إن فعلت فأنت ظالم ولا يدل قوله أنت ظالم على ثبوت الظلم بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل وكذلك هنا التقدير : لولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها فكان يوجد الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم ، وهذا كلام جيد يؤيد ما ذهبنا إليه في الاعراب فتدبره •

هذا ولا خلاف في أن يوسف عليه السلام لم يأت بالفاحشة وإنما الخلاف في وقوع الهم منه فمن المفسرين من ذهب الى أنه همّ وقصد الفاحشة وأتى ببعض مقدماتها ولقد أفرط صاحب الكشاف في التشنيع على هؤلاء فارجع اليه • ومنهم من نزهه عن الهمّ أيضاً وهو الصحيح كما تقدم في عبارة أبي حيان وللامام الرازي في تفسيره الكبير نكتة لا بأس بإيرادها قال : « إن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة هم يوسف عليه السلام والمرأة وزوجها والنسوة والشهود ورب العالمين وابليس وكلهم قالوا ببراءة يوسف عليه السلام عن الذنب فلم يبق لمسلم توقف في هذا الباب : أما يوسف فلقوله : هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن أحب إلي مما يدعونني اليه ، وإما المرأة فلقولها ولقد راودته عن نفسه وأما زوجها فلقوله : انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ، وأما النسوة فلقولهن : امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قـد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين ، وقولهن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء وأما

الشهود فلقوله تعالى وشهد شاهد من أهلها الى آخره وأما شهادة الله تعالى فقوله عز من قائل : « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين » وأما إقرار إبليس بذلك فلقوله فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين فأقر ابليس بأنه لايمكن إغواء العباد المخلصين وقد قال تعالى انه من عبادنا المخلصين فقد أقر ابليس أنه لم يغوه وعندهذا نقول: هؤلاء الجهال الذين نسبوا الى يوسف عليه السلام الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله بطهارته وان كانوا من أتباع ابليس وجنوده فليقبلوا إقرار إبليس لطهارته .

(كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) كذلك نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه واللام متعلقة بذلك المحذوف ويصح أن تكون في محل رفع والتقدير الأمر مثل ذلك والنصب أجود وقد تقدمت نظائر لذلك والسوء مفعول به والفحشاء عطف على السوء .
(إنه من عبادنا المخلصين) ان واسمها ومن عبادنا خبر والمخلصين صفة لعبادنا .

البلاغة :

من مرجحات كون الاسم المسند إليه اسماً موصولاً تقرير الغرض المسوق له الكلام وذلك في قوله تعالى : « وراودته التي هي في بيتها عن نفسه » فإن الغرض المسوق له الكلام هو براءة يوسف عليه السلام فلو قيل راودته امرأة العزيز أو زليخا لم يفد ما أفاده الموصول باعتبار صلته فهو أدل على الغرض المسوق له وهو النزاهة لأنه إذا كان في بيتها وتمكن من نيل المراد منها أي مرادها لا مراده ومع ذلك عف عنها ولم يفعل كان ذلك غاية في النزاهة عن الفحشاء فكان في الموصول زيادة تقرير للغرض الذي هو النزاهة .

قول آخر :

وقيل : معناه زيادة تقرير المسند أي المراودة لما فيه من فرط الاختلاط والإلفة فلو قال زليخا أو امرأة العزيز لم يفد ما أفاده الموصول من ذكر السبب الذي هو قرينه في تقرير المراودة باعتبار كونه في بيتها .

قول آخر :

وقيل : هو تقرير للمسند اليه لإمكان وقوع الإبهام والاشتراك في امرأة العزيز أو زليخا ولو ذكر احداهما ولا يتأتى ذلك في التي هو في بيتها لأنها واحدة معنية مشخصة .

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ج قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ج وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ صلے إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ

أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾

الاعراب :

(واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر) الواو عاطفة والجملة متصلة بقوله تعالى ولقد همت به وهمّ بها وقوله كذلك لنصرف الخ اعتراض جيء به بين المتعاطفين تقريراً لنزاهته وبراءته والمعنى ولقد همّت به وأبى هو واستبقا الى الباب الخارجي الذي هو المخلص ولذلك وحده بعد الجمع وحذف حرف الجر وأوصل الفعل الى المجرور نحو وإذا كالوهم ، واستبقا فعل ماض والألف فاعل والباب منصوب بنزع الخافض ، وقدّت قميصه : قدَّ فعل ماض وفاعله هي وقميصه مفعول به ومن دبر حال ويحتمل أن يكون « قدت » معطوفاً على واستبقا ، ويحتمل أن يكون حالاً أي وقد قدت جذبته من خلفه بأعلى القميص من طوقه فانخرق الى أسفله ، والقد القطع والشق وأكثر استعماله فيما كان طولاً ، قال النابغة :

تقد السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب

والقطّ يستعمل فيما كان عرضاً . (وألفيا سيدها لدى الباب) وألفيا عطف على ما تقدم والألف فاعل وسيدها أي بعلها كانت تقول المرأة لبعلها يا سيدي لملكه التصرف فيها ، وهي مفعول به ولدى ظرف في محل نصب مفعول به ثان . (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم) ما اسم استفهام مبتدأ ويحتمل أن تكون ما نافية أي ليس جزاؤه إلا السجن أو العذاب الأليم ، وجزاء خبر ومن

مضاف إليـه وجملة أراد صلة وبأهلك جـار ومجرور متعلقان بأراد وسوءاً مفعول به وإلا أداة حصر وان وما في حيزها بدل من جزاء أي إلا السجن ويجوز أن تكون ما نافية وجزاء مبتدأ وأن يسجن خبره وأو حرف عطف وعذاب عطف على المصدر المؤول وأليم صفة ومن يجوز فيها أن تكون موصولاً أو نكرة موصوفة . (قال هي راودتني عن نفسي) قال فعل ماض وفاعله هو أي يوسف مدافعـاً عن نفسه معلناً براءته وهي مبتـدأ وجملة راودتني خبر وعن نفسي متعلقـان براودتني . (وشهد شاهد من أهلها) الواو عاطفة وشهد شاهد فعل وفاعل ومن أهلها صفة شاهد وهو ابن عمهـا وكان بصحبة زوجها . (إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) الشرط مقول قول محذوف أي فقال ، وإن شرطية وكان قميصه كان واسمها وجملة قدّ أي شق بالبناء للمجهول خبر ومن قبل متعلقان بقدّ ، فصدقت الفاء رابطة وصدقت فعل ماض والجملة جواب الشرط أي فقد ظهر صدقها، وهو الواو حالية وهو مبتدأ ومن الكاذبين خبر ولا بد من تقدير قد ليصح دخول الفاء الرابطة وإلا فلو لم تقدر لم يصح دخول الفاء لأنه فعل ماض متصرف . (وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين) عطف عـلى الجملة الاولى وهي مماثلة لها في اعرابهـا . (فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال إنه من كيدكن) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطة ورأى قميصه فعل وفاعل مستتر ومفعول وجملة قدّ من دبر حالية ، قال جواب لما وان واسمهـا وخبرها . (إن كيدكن عظيم) ان واسمها وخبرها . (يوسف أعرض عن هـذا واستغفري لذنبك) يوسف منادى محذوف منه حرف النداء وأعرض فعل أمر

وفاعله أنت وعن هذا متعلقان بأعرض واستغفري فعل أمر والياء فاعله ولذنبك متعلقان باستغفري • (إنك كنت من الخاطئين) ان واسمها وجملة كنت خبرها ومن الخاطئين خبر كنت والجملة تعليل للاستغفار •

البلاغـة :

لقائل أن يقول إن الضمير وهو « هي » ليس غير مضمر باتفاق وليس هو للغائب بل لمن بالحضرة والجواب ما قاله السراج البلقيني في رسالته المسماة « نشر العبير ، لطي الضمير » : الضمير المفسر لضمير الغائب إما مصرح به أو مستغنى بحضور مدلوله حساً أو علماً فالحس نحو قوله « هي راودتني عن نفسي » و « يا أبت استأجره » كذا ذكر الشيخ ابن مالك وتعقبه أبو حيان بأن قال ليس كما مثل به لأن هذين الضميرين عائدان عـلى ما قبلهما فالضمير في قال عائد عـلى يوسف والضمير في هي عائد على قوله « بأهلك سوءاً » ولما كنت عن نفسها بقولها « بأهلك » ولم تقل بي كنى هو عنهـا بضمير الغيبة بقولـه « هي راودتني » ولم يخاطبها بقوله أنت راودتني ولا أشار اليها بقوله هذه راودتني وكل هذا عـلى سبيل الادب في الألفاظ والاستحياء في الخطاب فأبرز الاسم في ضمير الغائب تأدبياً مع الملك وحياء منه وعندي أن الذي قاله ابن مالك أرجح مما قاله أبو حيان وذلك أن الاثنين إذا وقعت منهما خصومة عند حاكم فيقول المدعي للحاكم لي على هذا كذا فيقول المدعى عليه هو يعلـم أنه لا حق له علي فالضمـير في هو انما لحضور مدلوله حساً وسيأتي مزيد من هذا البحث الممتع عند الكلام على قصة ابنه شعيب في سورة القصص •

الفوائـد :

لدى :

ليست لدى من لفظ لدن وإن كانت من معناها لأن لدى معتلة اللام ولدن صحيح اللام وقالوا فيها لدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون كأنهم استثقلوا ضم الدال فسكنوا تخفيفاً كما قالوا في عضَد عضْد ولما سكنت الدال والنون ساكنة كسروا النون لالتقاء الساكنين وقالوا لدن بضم الدال وسكون اللام وكسر النون وقد حذفوا النون من لدن تخفيفاً فقالوا من لد الصلاة ولد الحائط وليس حذف النون لالتقاء الساكنين واعلم أن حكم لدن أن يخفض ما بعدها بالإضافة كسائر الظروف لأن نونها من أصل الكلمة بمنزلة الدال من عند كما قال تعالى « من لدن حكيم عليم » غير أن من العرب من ينصب بها غدوة خاصة قال :

لدن غـــدوةً حتى ألاذ بخفهـــا

بقيـــة منقوص من الظـــل قالص

وقال ذو الرمة :

لدن غدوةً حتى إذا امتدت الضحى

وحثّ القطينَ الشحشحانُ المكلَّفُ

يعني الحادي والقطين جمع قاطن ، قال سيبويه في هذا الصدد : وقد نصبوا غدوة تشبيهاً بالمميز في نحو عندي راقود خلا وجبة صوفا

والمفعول في نحو هذا ضارب زيداً وقاتل بكراً وقال بعضهم تنصب غدوة بعد لدن على أنها خبر لكان المقدرة مع اسمها والتقدير لدن كان الوقت غدوة وجاز رفعها على أنها فاعل لفعل محذوف والتقدير لدن كانت غدوة أي وجدت فكان هنا تامة والغالب في لدن أن تجر بمن نحو « وعلمناه من لدنا علماً » وإذا أضيفت الى ياء المتكلم لزمتها نون الوقاية نحو « لدني » وهي تضاف الى المفرد كما رأيت والى الجملة نحو انتظرتك من لدن طلعت الشمس الى أن غربت .

* وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣)

اللغـــة :

(نسوة) : جماعة من النساء وكن خمساً والنسوة اسم جمع لا واحد له من لفظه بل من معناه وهو امرأة وتأنيثها غير حقيقي بل باعتبار الجماعة ولذلك لم يلحق فعلهـا تاء التأنيث والمشهور كسر نونها ويجوز ضمها في لغة ، وقد قرىء بها وفي القاموس وشرحه ما يفهم منـه أن النِسوة والنُسوة والنساء والنِسوان والنُسْوُن والنسنين جموع للمرأة من غير لفظها وقال الزمخشري : « النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث » .

(شغفها) : دخل حبها شغاف قلبه وفي المصباح : « شغف الهوى قلبه شغْفاً من باب نفع والاسم الشَغَف بفتحتين ، بلغ شغافه بالفتح وهو غشاؤه وشغفه المال زُين له فأحبه فهو مشغوف به » . والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة :

وقد حال هم دون ذلك والج ٌ مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

(اعتدت) : هيأت وأحضرت ، واعتده له هيأه وهو عتيد : مُعَد حاضر ومنه العتيدة التي فيها الطيب والأدهان .

(متكأ) : ما يتكئن عليـه من نمارق يستندن عليها عـلى عادة المتكبرين في أكل الفواكه حيث يتكىء آكلها عـلى الوسائد ويأكلها بالسكاكين وقيل سمي الطعام كالاترج والموز متكأ لحصول الاتكاء على الوسائد عند أكله فهو مجاز مرسل علاقتـه المجاورة أو استعارة تصريحية .

(أكبرنه) : أعظمنه وهبن حسنه الرائع وجماله الأخاذ الفاتن واستولى عليهن الدهش وقيل : اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة إذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لأنها إذا حاضت تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكأن أبا الطيب رمق هذا التفسير فقال متملحاً متغزلاً :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع

فإن لحت حاضت في الخدور العواتق

في إحدى روايات البيت التي نقلها أبو الفتح بن جني ويقال إن المرأة إذا اشتدت شهوتها سال دم حيضها فمعنى البيت : استر جمالك عنهن وإلا حضن ، على أن الرواية التيّ اختارها أبو البقاء « ذابت » .

(حاش لله) : أي حاشا وسيأتي الحديث عنها في باب الفوائد .

الاعراب :

(وقال نسوة في المدينة) الواو عاطفة لتتساوق مجريات القصة ، وقال نسوة فعل وفاعل وفي المدينة صفة لنسوة . (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه وقد شغفها حباً) امرأة العزيز مبتدأ وجملة تراود خبر وفتاها مفعول به وعن نفسه جار ومجرور متعلقان بتراود وقد حرف تحقيق وشغفها فعل وفاعل مستتر ومفعول به وحباً تمييز محول عن الفاعل وجملة قد شغفها حال من فاعل تراود أو من مفعوله ويجوز أن تكون خبراً ثانياً لامرأة . (إنا لنراها في ضلال مبين) إن واسمها واللام المزحلقة وجملة نراها خبر إن وفي ضلال متعلقان بنراها ومبين صفة

لضلال . (فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكيناً) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطة وسمعت فعل وفاعل مستتر وبمكرهن متعلقان بسمعت وجيلة أرسلت لا محل لها وإليهن متعلقان بأرسلت وأعتدت عطف على أرسلت ولهن متعلقان بأعتدت ومتكأ مفعول به وآتت عطف أيضاً وكل واحدة مفعول آتت الأول ومنهن صفة لواحدة وسكيناً مفعول آتت الثاني والسكين تذكر وتؤنث قاله الكسائي والفراء وقال الجوهري : والغالب عليها التذكير . (وقالت اخرج عليهن) الواو عاطفة وجملة اخرج مقول القول وعليهن متعلقان بمحذوف حال أي مطلاً عليهن مستعلياً بدلك الفاتن وجمالك الآخذ . (فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن) الفاء عاطفة ولما ظرفية حينية أورابطة حرفية ورأينه فعل وفاعل ومفعول به وقطعن فعل وفاعل وأيديهن مفعول به ، ولا نرى رأي القائلين بأن أكبرنه بمعنى حضن والهاء للسكت إذ هو تظرف مصنوع لا يليق بالقرآن . (وقلن حاش الله ما هذا بشراً) وقلن فعل وفاعل وحاش اسم للتنزيه في محل نصب مفعول مطلق ولله متعلقان بمحذوف حال وسيأتي مزيد بحث عن حاشا في باب الفوائد وما نافية حجازية وهذا اسمها وبشراً خبرها وعبارة أبي حيان : « وقال الزمخشري وقرىء ما هذا بشرى أي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى أي بكراً وقال : واعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن انتهى . وانما قال القدمى لأن الكثير في لغة الحجاز انما هو جر الخبر بالباء فتقول ما زيد بقائم وعليه أكثر ما جاء في القرآن وأما نصب الخبر فمن لغة الحجاز القديمة حتى أن النحويين لم يجدوا شاهداً على نصب الخبر في أشعار الحجازيين غير قول الشاعر :

وأنا النـــذير بحرة مسودة يصل الجيوش إليكم قوادها

أبناؤهـــا متكنفون أباهـــم حنقوا الصدور وما هم أولادها

وقال الفراء وهو سامع لغـــة حافظ ثقة : لا يكاد أهل الحجاز ينطقون إلا بالياء فلما غلب على أهل الحجاز النطق بالباء قال الزمخشري: اللغة القدمى الحجازية فالقرآن جاء باللغتـــين القدمى وغـــيرها » • (إن هذا إلا ملك كريم) إن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وملك خبر وكريم صفة • (قالت فذلكن الــذي لمتنني فيــه) فذلك الفاء الفصيحة أي إن شئتم معرفته فذلكن واسم الاشارة مبتدأ ولم تقل فهذا وهو حاضر وسياق الكلام يتطلب ذلك رفعاً لمنزلته في الحسن والذي خبر لمبتدأ محذوف أي هو الذي ولم يجعل الذي خبر لاسم الاشارة لأن لام البعد التي اقترن بها اقتضت بعده عنه لما تقدم من تطيم رتبته في الحسن والجمال ، وفيه متعلقان بلمتنني أي في حبه أو مراودته وسيأتي تحقيق في المحـــذوف في باب البلاغـــة • (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وراودته فعل وفاعل ومفعول به وعن نفسه متعلقان براودته ، فاستعصم الفاء عاطفة واستعصم فعل ماض زيدت فيه السين للمبالغة في الامتناع • (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين) اللام موطئة للقسم وان شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويفعل مضارع مجزوم وهو فعل الشرط وما مفعول به وجملة آمره صلة أي الذي آمره به ويصح كونها مصدرية أي أمري والضمير في آمره عائد عـــلى الموصول أي ما آمر به فحذف الجـــار كما حذف في أمرتك الخير ومفعول آمر الأول محذوف وكان التقدير ما آمره به وإن جعلت ما مصدرية جاز فيعود الضمير على يوسف أي أمري إياه

ومعناه موجب أمري ، واللام واقعة في جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعـدة في اجتماعهما دل عليـه جواب القسم المذكور والتقدير ليسجنن وليكونن ، وفي يسجنن نون التوكيـد الثقيلة وفي يكونن نون التوكيد الخفيفـة واسم يكون مستتر تقديره هو ومن الصاغرين خبرها • (قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) الجلمة مستأنفة استئنافاً بيانياً وهو ما كان جوابـاً لمقـدر فقد قالت النسوة له بعد أن أسمعن تقرير زليخاء ألا تطيع مولاتك ؟ قال الخ ، ورب منادى محذوف منه حرف النداء والسجن مبتدأ وأحب خبر وإلي للتبيين وهي المبينة لفاعلية مجرورها بعد ما يفيد حباً أو بغضاً من فعل تعجب أو اسم تفضيل ومما متعلقان بأحب وجملة يدعونني صلة وهو فعل مضارع مبني على سكون الواو والنون الاولى نون النسوة والثانية نون الوقاية فالواو ليست ضميراً بل هي لام الكلمة وليس هو من الأفعال الخمسة التي ترفع بثبوت النون وتنصب وتجزم بحزفها وأضاف العمل إليهن لأنهن جميعاً دعونه إلى أنفسهن وقيل لأنهن لما قلن له ألا تطيع مولاتك صح إضافة الدعاء اليهن جميعاً، واليه متعلقان بيدعونني• (وان لا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين) الواو عاطفة وان شرطية ولا نافية وتصرف فعل الشرط والفاعل مستتر تقديره أنت وعني متعلقان بتصرف وكيدهن مفعول به وأصب جواب الشرط والفاعل مستتر تقديره أنا وإليهن جار ومجرور متعلقان بأصب وأكن عطف على أصب واسم أكن مستتر تقديره أنا ومن الجاهلين خبر أكن •

البلاغـة :

١ ــ في قوله تعالى « ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم » فنان متداخلان الأول ظاهر وهو التشبيه البليغ فقد شبهن يوسف بالملك

من دون ذكر الأداة وهذا واضح كما قلنا يجري على غرار التشبيهات المألوفة المقصود منه إثبات الحسن لأنه تعالى ركب في الطبائع أن لا شيء أحسن من الملك وقد عاين ذلك قوم لوط في ضيف ابراهيم من الملائكة ، كما ركب في الطباع أن لا شيء أقبح من الشيطان ، وكذلك قوله تعالى في صفة جهنم « طلعها كأنه رؤوس الشيطان » فكذلك قد تقرر أن لا شيء أحسن من الملك ، فلما أرادت النسوة وصف يوسف بالحسن شبهنه بالملك . ولكن الاسلوب القرآني شاء أن يتجاوز المألوف من تشبيهات العرب لكل ما راعهم حسنه من البشر بالجن فأدخل فيه فناً آخر لا يبدو للناظر للوهلة الأولى وهو فن عرفوه بأنه سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه ليخرج كلامه مخرج المدح أو ليدل ـ كما هنا ـ على شدة الوله في الحب وقد يقصد به الذم أو التعجب أو التوبيخ أو التقرير ويسمى هذا الفن تجاهل العارف وهو على قسمين : موجب ومنفي .

أ ـ الموجب :

وهو ما يكون فيه الاستفهام عن شيئين أحدهما واقع والآخر غير واقع وللمتكلم أن ينطق بأحدهما ويسكت عن الآخر لدلالة الحال عليه ومن هذا الباب قوله تعالى « أبشراً منا واحداً نتبعه » وهذا خارج مخرج التعجب وسيأتي بحثه عند الكلام على هذه الآية في سورة « القمر » وقوله تعالى « قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء » وهذا خارج مخرج التوبيخ وقد مر ذكره في سورة هود وقوله تعالى : « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم » وهذا خارج مخرج التقرير وجميعه موجب كما رأيت .

ب ـ المنفي :

وأما الآية التي نحن بصددها فهي من القسم المنفي فقد تجاوز التشبيه ، كما قلنا ، تشبيه العرب كل من راعهم حسنه من البشر بالجن الى تشبيه يوسف حين كان حسنه بادي الروعـة متجاوزاً في ائتلاقه ووسامته المألوف المعهود من روائع الحسن وله مع روعته البادية نور ورأوة ، وطلاقة وتهلل ، وعليه مسحة من سكينة تؤمن ناظره من تلك النزعوة وتثبت قلبه بما يسري إليه من سكينة وايماءة بالخير واستهواء لما فيه راحة النفس ولذتها فكان كذلك تشبيهه بالملك الكريم •

التشبيه المصون عن الابتذال :

وما دام الكلام انجر معنا الى هذه النواحي التي تدق فيها الصنعة وتعزب أسرارها إلا عن الملهمين الذين تذوقوا أسرار القوم فلا ندحة لنا عن الاشارة الى أن هذا الفن انما يلجأ اليه في التشبيه بنوع خاص للخروج من التقليد والارتفاع بالتشبيه الى أبعد الآفاق وصيانته من الابتذال فلو لم تعرض الآيـة تشبيه يوسف بالملك بهـذا الاسلوب المسبوق بالنفي المتوجب للغرابة لم يكن للتشبيه ذلك الوقع الحسن ومن ذلك قول شاعر الخلود المتنبي :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا   إلا بوجه ليس فيه حيـــاء

فقد أراد تشبيه الوجه بالشمس ولكن هذا التشبيه شائع يكاد لشيوعه يسف الى حضيض الابتذال فأراد صيانته بأن قدم له النفي متجاهلاً فقال لا حاجة الى الشمس مع ضيائك ونورك ولكنها لوقاحتها تطلع عليك •

تجاهل العارف في الشعر :

هذا ولتجاهل العارف وقع في النفوس كأخذة السحر ونشوة الخمر ولهذا قال السكاكي رحمه الله : « لا أحب تسميته بالتجاهل لوروده كثيراً في كلام الله تعالى » ثم أطلق عليه تسمية أخرى وهي « سوق المعلوم مساق غيره لنكتة » وقد طفحت أشعارنا به ولم تقتصر على المديح أو الغزل ، كما قلنا ، بل تجاوزتهما الى أية مبالغة في أي موضوع من الموضوعات التي تعن للخواطر فاستمع الى قول زهير ابن أبي سلمى تر العجب العجاب : قال يهجو حصن بن حذيفة الفزاري:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

فانظر كيف خطر بباله أن ينفي الدراية بحال الآل ، ثم قبل أن يكمل ذلك خطر بباله الجزم بأنه سوف يدري ، ثم قبل أن يكمل ذلك قال إن حصول الدراية في المستقبل على سبيل التخيل والظن فحكى حال النفس عند ترددها في شأنه .

ويطربني قول أبي العباس النامي :

أحقاً أن قاتلتي زرود وأن عهودها تلك العهود
وقفت وقد فقدت الصبر حتى تبين موقفي أني الفقيد
وشكك فيّ عذالي فقالوا لرسم الدار أيكما العميد ؟

وصيحة ابن الرومي صيحة الوهل حين يرى الوجنة الحمراء الى جانب الصدغ الأدعج :

يا وجنتيه اللتين من بهج فيّ صدغيه اللذين من دعج

ما حمرة فيكما ؟ أمن خجل   أم صبغة الله أم دم المهـــج

وقد أطرفت ليلى بنت طريف الخارجية في رثاء أخيها :

أيا شجر الخابور مالك مورقاً   كأنك لم تجزع على ابن طريف

وأراد مهيار أن يشبه المحبوبة بالظبي وبالبدر وبغصن البـان فتجاوز المألوف المعتاد وسما الى سماء ما طاولتها سماء إذ قال :

سلا ظبيـــة الوادي وما الظبي مثلها

وإن كان مصقول الترائب أكحـــلا

أأنت أمرت البدر أن يصدع الدجى

وعلمت غصن البان أن يتميّـــــلا

ونختم هذا الباب المستطاب بقول البهاء زهير :

رعى اللـــه ليلة وصل خلت   وما خالط الصفو فيها الكدر

أتت بغتـة ومضت سرعـــة   وما قصرت بعـد ذاك القصر

بغـــير احتيال ولا كلفـة   ولا موعـــد بيننا ينتظر

فقلت وقد كاد عقلي يطـــير   سروراً بنيـــل المنى والوطر

أيا قلب تعرف من قـد أتاك   ويا عين تدرين من قد حضر

ويا قمر الأفق عـــد راجعاً   فقد حل في الدار عندي القمر

ويا ليلـتي هكـذا هكـذا   وبالله بالله قف يا سحـــر

فكانت كما أشتهي ليلة وطاب الحديث وطاب السهر
خلونا وما بيننا ثالث فأصبح عند النسيم الخبر

ويقول الشريف الرضي وهو غاية الغايات :

بين الاظاعن حاجة خلفتها أودعتها يوم الفراق مودعي
وأظنها لا بل يقيني انها قلبي لأني لم أجد قلبي معي

٢ ـ الحذف :

وفي قوله « فذلكن الذي لمتنني فيه » والتقدير في حبه لأن الذوات لا يتعلق بها لوم ودليل تقدير في حبه قوله « قد شغفها حباً » في مراودته ، ولعلها أولى بدليل قوله : « تراود فتاها عن نفسه » وإنما قلنا أولى لأنه فعلها بخلاف الحب فإنه أمر قهري لا يلام عليه إلا من حيث تعاطي أسبابه أما المراودة فهي حاصلة باكتسابها فهي قادرة على دفعها فيتأتى اللوم عليها بخلاف الحب فانه ليس فعلاً لها ولا تقدر على دفعه لأن الحب المفرط قد يقهر صاحبه ولا يطيق أن يدفعه وحينئذ فلا يلام عليه وعلى كل حال فهو من أسبابه .

٣ ـ وفي قوله « متكأ » تصوير لنوع من الطعام الذي انما يقدم تفكهاً وتبسطاً وتجميلاً للمجلس وتوفيراً لأسباب المتعة فيه حتى إن الشأن فيه أن يكون الاقبال عليه في حالة من الراحة والاتكاء ، والكلمة بعد هذا من الألفاظ الكثيرة التي أبدع القرآن صياغتها فتعلق بها العرب فيما بعد ولولا ذلك لما اهتدوا اليها ولخانتهم اللغة في هذا الباب عن تصوير ما يريدون انظر حينما يصف القرآن دعوة امرأة العزيز

للنسوة اللائي تحدثن منتقدات عن مراودتها ليوسف عن نفسه إلى جلسة لطيفة رائعة في بيتها لتطلعهن فيها على يوسف وجماله فيعذرنها فيما أقدمت عليه ، لقد قدمت لهن في ذلك المجلس طعاماً ولا شك ولقد أوضح القرآن هذا ولكنه لم يعبر عن ذلك بالطعام فهذه الكلمة إنما تصور شهوة الجوع وتنتقل بالفكر الى « المطبخ » بكل ما فيه من ألوان الطعام وروائحه وأسبابه •

الفوائـد :

١ ـ (حاشا) تكون على ثلاثة أوجه :

١ ـ فعلاً متعدياً متصرفاً ، تقول : حاشيته بمعنى استثنيته وان سبقتها ما تكون نافية •

٢ ـ تنزيهية نحو حاشا لله فتكون اسماً مرادفاً للتنزيه منصوباً على المفعولية المطلقة وقيل هي فعل وتثبت الألف وتحذف •

٣ ـ أن تكون للاستثناء فتكون حرفاً بمنزلة إلا لكنها تجر المستثنى وهناك تفاصيل أخرى يرجع اليها في المطولات •

٢ ـ المخالفة في نوني التوكيد :

جمهور البصريين يرى أن نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة أصلان لتخالفهما في بعض أحكامهما كإبدال الخفيفة ألفاً في نحو وليكونا وحذفها في نحو قوله :

ولا تهين الفقير علك أن   تركع يوماً والدهر قد رفعه

وكلاهما ممتنع في الثقيلة ، هـذا ما قاله سيبويه وعورض بأن الفرع قد يختص بما ليس للأصل أحياناً وقد قال سيبويه نفسه في أن المفتوحة انها فرع المكسورة ولها إذا خففت أحكام تخصها أما الكوفيون فيرون أن الخفيفة فرع الثقيلة .

وذكر الخليل بن أحمد : ان التوكيد بالثقيلة أشد من التوكيد بالخفيفة يدل له « ليسجنن وليكونن » فإن امرأة العزيز كانت أشدّ حرصاً على سجنه من كينونته صاغراً .

٣ـ لايخلو اسم التفضيل المجرد من أل والاضافة غالباً من مشاركة المفضل عليه في المعنى لفظاً أو تقديراً والمراد بقولنا تقديراً مشاركته بوجه ما كقولهم في البغيضين : هذا أحب إلي من هذا وفي الشرين هذا خير من هذا وفي التنزيل : « قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه » وتأويل ذلك هذا أقل بغضاً وأقل شراً ومن غير الغالب العسل أحلى من الخل والصيف آحر من الشتاء .

فَاسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ

ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾

اللغـــة :

(كيدهن) : الكيد : يطلق على معان شتى منها المكر والخبث

كالمكيدة والحيلة وهو المراد هنا ويطلق على الحرب واخراج الزند النار والقيء واجتهاد الغراب في صياحه وكـاد قاء وبنفسه جاد والمرأة حاضت ، وكاد يفعل كذا قارب وهمّ .

الاعراب :

(فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن) الفاء عاطفة واستجاب فعل ماض وله متعلقان به وربه فاعل ، فصرف عطف على فاستجاب وعنه متعلقان بصرف وكيدهن مفعول به . (انه هو السميع العليم) ان واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ ثان والسميع العليم خبران لإن أو لهو والجملة خبر ان . (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين) ثم حرف عطف وبـدا فعـل ماض وفاعله مضمر يفسره ليسجننه أي بدا لهم أن يسجنوه قال سيبويه : « وفاعل بدا لهم هو ليسجننه أي ظهر لهم أن يسجنوه » وقال المبرد : هذا غلط لأن الفاعل لا يكون جملة ولكن الفاعل ما دل عليه بدا وهو المصدر ، قال الشاعر:

وحق لمن أبو موسى أبـوه يوفقه الذي نصب الجبالا

أي وحق الحق ، فحذف الفاعل لدلالة الفعل عليه ، وعلى مذهب سيبويه فاعل حق هو يوفقه أي حق التوفيق ، ولهم متعلقان ببدا ومن بعد حال وما مصدرية وهي مع مافي حيزها مضافة لبعد ورأوا فعـل وفاعل والآيات مفعول به ، ليسجننه اللام جواب قسم محذوف على تقدير القول المنصوب على الحال : أي ظهر لهم من بعد ما رأوا الآيات قائلين والله لنسجننه فجملة القسم وما بعـده مقول القول ويسجننه فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال ، والواو

المحذوفة فاعل والنون المشددة نون التوكيد الثقيلة ولكنها لم تباشر الفعل فأعرب ، والهاء مفعول به منصوب وحتى حرف جر وحين مجرور بحتى والجار والمجرور متعلقان بيسجننه أي إلى أن ينقطع كلام الناس وتسكن الاشاعات والأراجيف • (ودخل معه السجن فتيان) الواو عاطفة على محذوف ودخل فعل ماض ومعه ظرف مكان متعلق بدخل والسجن مفعول به على السعة وفتيان فاعل أي غلامان للملك أحدهما ساقيه والآخر صاحب طعامه وكانا قد اتهما بأنهما حاولا أن يسما الملك فأمر بهما الى السجن فأدخلا السجن ساعة دخول يوسف • (قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً) قال فعل وأحدهما فاعل والجملة استئناف بياني وقد تقدم ، وان واسمها وجملة أراني خبرها والياء مفعول أراني الأول وجملة أعصر خمراً في محل المفعول الثاني ، وعبارة أبي حيان : « ورأى الحلمية جرت مجرى أفعال القلوب في جواز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متحدي المعنى فأراني فيه ضمير الفاعل المستكن وقد تعدى الفعل الى الضمير المتصل وهو رافع للضمير المتصل وكلاهما لمدلول واحد ولا يجوز أن تقول ضربني ولا أكرمني » • (وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه) وقال الآخر فعل وفاعل وان واسمها وجملة أراني خبرها وجملة أحمل مفعول أراني الثاني وفوق رأسي ظرف متعلق بأحمل أو بمحذوف حال من خبزاً لأنه كان في الأصل صفة له فلما تقدم أعرب حالاً ، وخبزاً مفعول به وجملة تأكل الطير منه صفة لخبزاً • (نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين) فعل أمر ونا مفعوله والفاعل مستتر تقديره أنت وبتأويله متعلقان بنبئنا وان واسمها وجملة نراك خبرها ومن المحسنين متعلقان بنراك • (قال لايأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) لا نافية ويأتيكما طعام فعل مضارع ومفعول به وفاعل وجملة ترزقانه

صفة لطعام وإلا أداة حصر ونبأتكما فعل وفاعل ومفعول به والميم والألف حرفان دالان على التثنية وقيل ظرف متعلق بنبأتكما وان وما في حيزها مضافة للظرف وجملة إلا نبأتكما نعت لطعام أو حال منه لأنه وصف . (ذلكما مما علمني ربي) اسم الاشارة مبتدأ ومما خبر وجملة علمني صلة وعلمني ربي فعل ومفعول به وفاعل . (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) ان واسمها وجملة تركت خبرها ، وملة قوم مفعول به وجملة لا يؤمنون صفة لقوم وبالله متعلق بيؤمنون وهم مبتدأ وبالآخرة متعلقان بكافرون وهم تأكيد لهم وكافرون خبر هم وجملة إني تركت ابتدائية أو تعليلية وفي كلا الحالين لا محل لها من الاعراب . (واتبعت ملة آبائي إبراهيم واسحق ويعقوب) واتبعت عطف على تركت والتاء فاعله وملة آبائي مفعول به وإبراهيم بدل من آبائي واسحق ويعقوب عطف على ابراهيم . (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) ما نافية وكان فعل ماض ناقص ولنا خبرها المقدم وان وما في حيزها اسمها المقدم وبالله متعلقان بنشرك ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً مفعول به منصوب محلاً .(ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس) ذلك مبتدأ ومن فضل الله خبر وعلينا متعلقان بفضل وعلى الناس معطوف على علينا . (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) الواو عاطفة ولكن واسمها وجملة لا يشكرون خبرها . (يا صاحبيْ السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) يا حرف نداء وصاحبي السجن منادى مضاف وعلامة نصبه الياء والسجن مضاف اليه ويجوز أن تكون هذه الاضافة من باب الاضافة للظرف إذ الأصل يا صاحبي في السجن ويجوز أن تكون من باب الاضافة الى الشبيه بالمفعول به والمعنى يا ساكني السجن وسيأتي مزيد بحث عن معنى الاضافة في باب الفوائد ، أأرباب : الهمزة للاستفهام التقريري وأرباب مبتدأ ومتفرقون

صفة وخير خبر وام حرف عطف وهي هنا متصلة والله عطف على أرباب والواحد صفة والقهار صفة ثانية • (ما تعبـــدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) ما نافية وتعبدون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ومن دونه حال وإلا أداة حصر وأسماء مفعول به وجملة سميتموها صفة والتاء فاعل وأنتم تأكيد للتاء وآباؤكم عطف على التاء قال صاحب الخلاصة :

وإن عـــلى ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل

(ما أنزل الله بها من سلطان) ما نافية وأنزل الله فعل وفاعل وبها متعلقان بأنزل ومن حرف جر زائـــد وسلطان مجرور لفظاً مفعول به منصوب محلاً والجملة نعت أو حال لأن اسماء وصفت • (إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه) إن نافية والحكم مبتدأ وإلا أداة حصر ولله خبر الحكـــم وجملة أمر مستأنفة أو حاليـــة والأول أضبط وأن مصدرية ولا نافية وتعبدوا فعل مضارع منصوب بأن وأن وما بعدها منصوب بنزع الخافض وهو متعلق بأمر أي أمركـــم بأن لا تعبدوا ويجوز أن تكون مفسرة ، ولا ناهية وتعبـــدوا مجزوم بلا وإلا أداة حصر وإياه مفعول تعبدوا • (ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك مبتدأ والدين خبر والقيم صفة ولكن الواو استئنافية أو حالية ولكن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها • (يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً) يا صاحبي السجن تقدم اعرابها وأما حرف شرط وتفصيل وأحدكما مبتدأ والفاء رابطة وجملة يسقي خبر أحدكما وربه مفعول به أول وخمراً مفعول به ثان وانما أبهم الساقي لكونه مفهوماً أولكراهة التصريح للخباز بأنه الذي سيصلب •(وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه) وأما الآخر عطف على أما الأولى والآخر مبتدأ

والفاء رابطة وجملة يصلب خبر ، فتأكل الطير : الفاء عاطفة وتأكل عطف على يصلب والطير فاعل تأكل ومن رأسه متعلقان بتأكل • (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان) قضي الأمر فعل ماض مبني للمجهول والأمر نائب فاعل والذي صفة للأمر وفيه متعلقان بتستفتيان •

البلاغة :

في قوله تعالى (إني أراني أعصر خمراً) مجاز مرسل علاقته ما يكون وما يئول اليه فقد سمى العنب خمراً لأنه يئول الى الخمر ويقال فلان يطبخ الآجر أي يطبخ اللبن حتى يصير آجراً وقيل: الخمر هو العنب حقيقة في لغة غسان وأزد وعمان ، وعن المعتمر : لقيت أعرابياً حاملاً عنباً في وعاء فقلت ما تحمل ؟ فقال خمراً وعلى هذا يكون الكلام حقيقياً لا مجازياً والأول أرجح •

الفوائد :

معنى الاضافة :

تكون الاضافة على معنى اللام بأكثرية لأنها الأصل وعلى معنى من بكثرة ومن ذلك اضافة العدد الى المعدودات والمقادير الى المقدورات كثلاثة الأثواب ومائة درهم ومن ذلك اضافة عدد الى آخر نحو ثلاثمائة وعلى معنى « في » بقلة ، وضابط الاضافة التي تكون بمعنى في أن يكون الثاني ظرفاً للأول وهو المضاف سواء أكان زماناً أم مكاناً فالزمان نحو مكر الليل وتربص أربعة أشهر والمكان نحو « يا صاحبي السجن » فالليل ظرف للمكر والسجن ظرف للصاحبين والتقدير مكر

في الليل وصاحبين في السجن وضابط الاضافة التي تكون بمعنى من ان يكون الاول وهو المضاف بعض الثاني وهو المضاف اليه كخاتم فضة ألا ترى أن الخاتم بعض جنس الفضة المضاف اليها وان يصح الاخبار بالمضاف اليه عن المضاف فانه يقال هذا الخاتم فضة . هذا وذهب الجمهور الى أن الاضافة قسمان فقط : بمعنى اللام وبمعنى من ولا ثالث لهما ، وما أوهم معنى « في » فهو على معنى اللام مجازاً ، وجعل الليل ماكراً والسجن صاحباً ، لوقوع المكر والصحبة فيهما .

وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ

فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

اللغـة :

(بضع سنين) : البضع : ما بين الثلاث الى التسع وأكثر الأقاويل على انه لبث فيه سبع سنين قال أحد علمـاء اللغة : والبضع بالكسر والفتح ما بين واحد الى خمسة في قول أبي عبيدة وقال غيره ما بين واحـد الى عشرة والبضع بالفتـح الشق والبضع بالضم النكـاح قال بعضهم :

شقٌ وري وجماع بَضْعٌ ما بين واحد وعشر بِضْعٌ

وفي الأساس : « وعندي بضعة عشر من الرجال وبضع عشرة من النساء ، الذكور بالتاء والإناث بطرحها ، على سنن حكم العدد . وأقمت عنده بضع سنين وهو ما بين الثلاث الى العشر » وفي القاموس والتاج : « البِضع والبَضع الطائفة من الليل وما بين الثلاث الى التسع يقال بضع سنين وبضع عشرة من النساء وبضع وعشرون امرأة ومع المذكر بضعة عشر من الرجال وبضعة وعشرون رجلاً ويجب تقديم بضع فلا يقـال عشرون وبضع » وقال الحريري في درة الغواص :

« البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث الى العشر وأسند ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى : « وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين » وذلك أن المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل الكتاب ، والمشركون يميلون الى أهل فارس لأنهم أهل أوثان فلما بشر الله المسلمين بأن الروم سيغلبون سر المسلمون ثم ان أبا بكر رضي الله عنه أخبر مشركي قريش بما نزل عليهم فقال أمية بن خلف خاطرني على ذلك فخاطره على خمس قلائص في مدة ثلاث سنين ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن البضع فقال ما بين الثلاثة الى العشرة فأخبره بخطاره مع ابن خلف فقال له : ما حملك على تقريب المدة ؟ قال الثقة بالله ورسوله فقال له : عد اليهم فزدهم في الخطر وازدد في الأجل فزادهم قلوصين وزادوه سنتين فظفرت الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني تصديقاً لتقدير أبي بكر رضي الله عنه .

(سمان) : جمع سمينة ويجمع سمين أيضاً عليه يقال رجال سمان كما يقال نساء سمان والسمن مصدر سمن يسمن فهو سمين فالمصدر والاسم جاءا على غير قياس إذ قياسهما سمناً بالفتح فهو سمن نحو فرح فرحاً فهو فرح وفي المصباح : « سمن يسمن من باب تعب وفي لغة من باب قرُب إذا كثر لحمه وشحمه ويتعدى بالهمزة وبالتضعيف » ومن المجاز كلام غثّ وسمين ، وقد أسمنتُ القدر ، ودار سمينة : كثيرة الأهل ، وسمّنوا لفلان : أعطوه عطاء كثيراً ، وسمّنتُ في الحمد أعطيت فيه الكثير ، قال ابن مقبل :

تركتُ الخنا لست من أهله وسمّنتُ في الحمد حتى سمن

وسمع أعرابي يقول لآخر : جعلتُ لك الدار بغير ثمن نيكون

أسمن لخطي عندك» وانقلب بلدهم سمنة وعسلة إذا كثرتا فيه وفي مثل « سمنكم هُريق في أديمكم » أي مالكم ينفق عليكم .

(عجاف) : جمع عجفاء على غير قياس والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعاً لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لأنه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض والقياس عجف نحو حمراء وحمر .

(رؤياي) : فرق أرباب العربية بين الرؤيا والرؤية فقالوا : الرؤيا مصدر رأى الحلمية والرؤية مصدر رأى العينية وغلطوا أباالطيب في قوله :

مضى الليل والفضل الذي لك لم يمض

ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

وقال أبو البقاء في شرحه لديوان المتنبي : « والرؤيا تستعمل في المنام خاصة ومنه قوله تعالى « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق » و « لا تقصص رؤياك على اخوتك » و « إن كنتم للرؤيا تعبرون » و « قد صدقت الرؤيا » وهذا كله في المنام ولو قال « لقياك » لكان أحسن إلا أنه ذهب بالرؤيا الى الرؤية كقوله تعالى « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك » فإنه لم يرد بها رؤيا المنام وانما أريد اليقظة وكان ذلك ليلاً في ليلة الاسراء » .

وقال أبو الفتح بن جني : « الرؤيا في المنام وأما في العين فلا أعرفها وإن جاءت فهي شاذة » .

وقال ابن هشام في أوضح المسالك : « ولا تختص الرؤيا بمصدر

الحلمية بل قد تقع مصدراً للبصرية خلافاً للحريري وابن مالك بدليل : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » قال ابن عباس : هي رؤيا عين ولكن المشهور استعمالها في الحلمية .

واقتصر صاحب القاموس على أن الرؤيا في الحلم قال : « والرؤيا ما رأيته في منامك » وجمعه رؤى كهدى .

(يعبرون) : من باب نصر ينصر ويستعمل أيضاً بالتشديد كعلّم تعليماً وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره أو نحوه أولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت أنشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب :

رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للأحلام عبارا

وفي القاموس : العبار مبالغة العابر ومفسر الأحلام وجمل عبار قوي على السير وشاع العبر اليوم بالفتح والكسر وهو من الوادي شاطئه وناحيته أما العبر بالضم فهو الكثير من كل شيء والعبارة بالكسر مصدر والاسم من عبّر والألفاظ الدالة على معنى ويقال فلان حسن العبارة أي البيان وهذا عبارة عن كذا أي بمعناه ومساو له في الدلالة .

(أضغاث أحلام) تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من أي أضغاث

من أحلام وفي المثل « ضغث على إبالة » الإبّالة بكسر الهمزة وتشديد الباء الحزمة من الحشيش والحطب والضغث قبضة من حشيش مختلطة الرطب باليابس ومعنى المثل بلية على أخرى ويضرب أيضاً مثلا للرجل يُحمّل صاحبه المكروه ثم يريده منه •

(ادّكر) : بالدال وهو الفصيح ويجوز واذّكر بالذال المعجمة وأصلها اذتكر افتعل من الذكر فوقعت تاء الافتعال بعد الذال فأبدلت دالاً فاجتمع متقاربان فأبدل الاول من جنس الثاني وادغم •

(أمة) : بضم الهمزة وتشديد الميم وتاء منونة وهي المدة الطويلة والأمة معروفة والإمه بكسر الهمزة النعمة وقرىء بها أيضاً قال عدي :

ثم بعد الفلاح والملك والإمـــة وارتهمُ هنـــاك القبور

الاعراب :

(وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك) وقال عطف على ما قبله وفاعله يوسف وللذي متعلقان به وجملة ظن صلة وفاعل ظن يوسف أيضاً وأن وما في حيزهـا سدت مسد مفعولي ظن وان واسمها وناج خبرها ومنهما حال أي حال كون الناجي من جملة الاثنين وهو الساقي وجملة اذكرني مقــول القول وعنــد ربك ظرف متعلق بمحذوف حال• (فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) فأنساه الشيطان الفاء عاطفة وأنساه فعل ومفعول به والضمير يعود الى الساقي والشيطان فاعل والمعنى فأنساه الشيطان أن يذكر يوسف عند الملك وقيل فأنسي يوسف ذكر ربه حين وكل أمره الى غيرة • ذهب كثير من المفسرين الى أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو الذي نجا

من الغلامين وهو الشرابي وقد رجح هذا بكون الشيطان لا سبيل له على الأنبياء وأجيب بأن النسيان وقع من يوسف ونسبته الى الشيطان على طريق المجاز ، والأنبياء غير معصومين عن النسيان إلا فيما يخبرون به عن الله سبحانه وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني » ورجح أيضاً بأن النسيان ليس بذنب فلو كان الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو يوسف لم يستحق العقوبة على ذلك بلبثه في السجن بضع سنين وأجيب بأن النسيان هو الترك وانه عوقب بسبب استعانته بغير الله سبحانه ويؤيد رجوع الضمير الى يوسف ما بعده من قوله : فلبث في السجن بضع سنين ويؤيد رجوعه الى الذي نجا من الغلامين قوله فيما سيأتي : وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة . وذكر مفعول به ثان ، فلبث الفاء عاطفة ولبث فعل وفاعل مستتر وفي السجن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وبضع سنين نصب على الظرفية متعلق بلبث .

(وقال الملك اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) إن واسمها وجملة أرى خبرها وسبع بقرات مفعول به وسمان صفة لبقرات وسيأتي في باب الفوائد لماذا وصفت البقرات دون سبع ويأكلهن سبع فعل مضارع ومفعول به وفاعل وعجاف صفة لسبع وجملة يأكلهن في محل نصب مفعول ثان لأرى ، وعبر بالمضارع لاستحضار الصورة . (وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) وسبع عطف على سبع الأولى وسنبلات مضاف اليه وخضر صفة لسنبلات وأخر عطف على سبع وسيأتي القول في منعها من الصرف في باب الفوائد ويابسات صفة لأخر . (يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون) أفتوني فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والياء مفعول به وفي رؤياي متعلقان بأفتوني وإن شرطية وكنتم كان واسمها وهي في

محل جزم فعل الشرط وجملة تعبرون خبر كنتم والجواب محذوف دل عليه ما قبله أي فأفتوني في رؤيا وقوله للرؤيا الجار والمجرور فيه أوجــه أحدها ان اللام للبيان كقولــه وكانوا فيه من الزاهدين فهي ومجرورها في محل نصب حال وإما أن تكون للتقوية لأن العامل إذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمــل فيه مثله إذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل إذا قلت عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة فهي في حكم المزيدة فلا تعلق بشيء وانما زيدت لمجرد التقوية ويجوز أن تكون خبر كنتم كما تقول كان فلان لهذا الأمر إذا كان مضطلعاً به متمكناً منه وعنــدئذ تكون جملة تعبرون خبراً ثانياً لكنتم . قال المبرد في الكامل : وهذه اللام تزاد في المفعول على معنى زيادتها في الاضافة ، تقول هذا ضارب زيداً وهذا ضارب لزيد ، لأنها لا تغير معنى الاضافة إذا قلت هذا ضارب زيد وضارب له، وفي القرآن « وأمرت لأن أكون أول المسلمين » وكذلك « إن كنتم للرؤيا تعبرون » (قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمــين) قالوا فعــل وفاعل وأضغاث أحلام خبر لمبتــدأ محذوف أي هذه أضغاث أحلام وتخاليط أوهام والجملة مقول القول وسيأتي سر جمعها في باب البلاغة وما الواو عاطفة وما نافية حجازية ونحن اسمها وبتأويل متعلقان بعالمين والباء حرف جر زائد وعالمين مجرور بالباء لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس . (وقال الذي نجا منهما وادّكر بعد أمة) الواو عاطفة وقال الذي فعل وفاعل وجملة نجا صلة ومنهما حال وادكر عطف عــلى نجا وبعد أمة متعلقان بادكر ويجوز أن تكون الواو حالية وجملة نجا حالية من الموصول أو من عائده أي فاعل نجا.(أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) أنا مبتدأ وجملة أنبئكم خبر والكاف مفعوله وبتأويله متعلقان بأنبئكم فأرسلون الفاء الفصيحة وأرسلوني فعل أمر وفاعل ومفعول به أي ان

سُئلتم تعبير الرؤيا فأرسلوني • (يوسف أيهـا الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) لا بد من تقدير محذوف أي فأرسلوه فأتى يوسف في السجن فقال ، ويوسف منادى محـذوف منه حرف النداء وأيها منصوب محلاً على الاختصاص لأنه مبني على الضم والصديق بدل منه أو عطف بيان له تابع له على اللفظ وسيأتي بحث الاختصاص في باب الفوائد وافتنا فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله مستتر تقديره أنت ونا مفعول به وفي سبع جـار ومجرور متعلقان بأفتنا وبقرات مضاف اليه وجملة يأكلهن سبع عجاف صفة لبقرات وما بعده عطف عليه • (لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون) لعل واسمها وجملة أرجع خبرها والى الناس متعلقان بأرجع ولعلهم يعلمون مثلها • (قال : تزرعون سبع سنين دأباً) جملة تزرعون مقول القول وسبع سنين ظرف متعلق بتزرعون ودأباً حال من المأمورين أي دائبين أو مصدر لفعـــل محذوف أي تدأبون دأباً • (فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون) الفاء عاطفة وما يجوز أن تكون شرطية أو موصولة وهي في محل نصب مفعول مقدم لحصدتم على الحالين ، وحصدتم فعل وفاعل فذروه الفاء واقعه فيجواب الشرط أو الموصول لما فيه من رائحة الشرط وذروه فعل وفاعل ومفعول به وفي سنبله متعلقان بذروه وإلا أداة استثناء وقليلاً مستثنى واجب النصب ومما صفة لقليلاً وجملة تأكلون صلة • (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد) ثم حرف عطف وتراخ ويأتي فعل مضارع ومن بعد ذلك حال وسبع فاعل يأتي وشداد صفة لسبع • (يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون) جملة يأكلن صفة ثانية لسبع والنون فاعـل وما مفعول به وجملة قدمتم صلة ما ولهن متعلقان بقدمتم وإلا أداة استثناء وقليلاً مستثنى ومما صفة لقليلاً وجملة تحصنون صلة • (ثم يأتي

من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) عطف أيضاً وجملة فيه يغاث الناس صفة لعام ويعصرون عطف على يغاث أي يعصرون الأعناب وغيرها .

البلاغة :

١ ـ المبالغة :

فقد جمعوا لفظ الضغث فقالوا أضغاث أحلام وجعلوه خبراً للرؤيا مع انها واحدة للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان أو لانطوائه على أشياء متباينة ولفظ الجمع كما يدل على كثرة الذوات يدل أيضاً على المبالغة في الاتصاف كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك إلا فرساً واحدة وعمامة فردة .

٢ ـ نفي الشيء بايجابه :

وقد تقدمت الاشارة اليه ونزيده هنا بسطاً لأنه من محاسن الكلام فإذا تأملته وجدت باطنه نفياً وظاهره ايجاباً قال إمرؤ القيس :

على لاحب لا يهتدى بمناره إذا سافه العَوْدُ النباطي جرجرا

فقوله لا يهتدى بمناره لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به ولكن أراد أنه لا منار له على الأطلاق فضلاً عن الاهتداء به وكذلك قول زهير ابن أبي سلمى :

بأرض خلاء لا يُسَدُّ وصيدُها

علي ومعروفي بها غير منكر

فأثبت لها في اللفظ وصيداً وإنما أراد ليس لها وصيد فيسدّ علي، ويتصل بهذا قول الزبير بن عبد المطلب يذكر عميلة بن السباق بن عبد الدار وكان نديماً له وصاحباً :

صَبَحتُ بهم طلقاً يُراحُ الى الندى
إذا ما انتشى لم تحتضره مفاقره
ضعيفاً يحث الكأس قبض بنانه
كليلاً على وجه النديم أظافره

فظاهر كلامه أنه يخمش وجه النديم إلا أن أظفاره كليلة وانما أراد في الحقيقة انه لا يظفّر وجه النديم ولا يفعل شيئاً من ذلك وكذلك قوله لم تحتضره مفاقره أي ليس له مفاقر فتحتضره وسيأتي ما هو أبلغ من ذلك في حينه وهو قوله تعالى : « لا يسألون الناس إلحافاً » أي لا يسألون البتة وفي الآية التي نحن بصددها أراد الباريء تعالى نفي الأحلام الباطلة خاصة كأنهم قالوا : ولا تأويل للأحلام الباطلة فنكون به عالمين ويزداد الحسن اكتمالاً بالمواءمة فقد قال الملك لهم أولاً « إن كنتم للرؤيا تعبرون » للتدليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها لأنه أتى بكلمة « إن » التي تفيد التشكيك رجاء اعترافهم بالقصور مطابقاً لشك الملك الذي أخرجه مخرج الاستفهام عن كونهم عالمين بالرؤيا أولا وقول الفتى أنا أنبئكم بتأويله الى قوله لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون دليل على ذلك أيضاً فسبحان قائل هذا الكلام .

الفوائد :

١ ـ أوقع سبحانه قوله « سمان » صفة للميّز وهو بقرات دون

المميّز وهو سبع والفرق بين الأمرين وكلاهما جائز في قواعد النحــو أنك لو أوقعتهــا صفة لبقرات فقــد أردت أن تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن خاصة لا بجنسهن ولو أوقعتها صفة لسبع فقد أردت أن تميز السبع بجنس البقرات لا بنوع خاص منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن •

٢ً ــ دلت كلمــة أخر عــلى أن السنبلات اليابسات كانت سبعاً كالخضر دون التصريح بالعدد ذلك لأن الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتنــاول معنى الأخر السبع ويكون قولـــه وأخر يابسات بمعنى وسبعاً أخر •

٣ ــ أخر :

صفة معدولة عن وزن آخر ولعدل الصفة موضعان :

آ ــ الأعداد على وزن « فعال ومفعل » كأحاد ومَوْحَد وثناء ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع وهي معــدولة عن واحد واحد واثنين اثنين الخ فإذا قلت جاء القوم مثنى فالمعنى أنهم جاءوا اثنين اثنين وقد قالوا أن العدل في الأعداد مسموع عن العرب إلى الأربعة غير أن النحويــين قاسوا ذلك الى العشرة والحق انه مسموع في الواحـــد والعشرة وما بينهما قال أبو الطيب :

أحاد أم سداس في أحــاد لييلتنا المنوطــة بالتنــاد

بً ــ أخر في قولك مررت بنساء أخر وقال تعالى « فعدة من أيام أخر » وهي جمع أخرى مؤنث آخر ، وآخر بفتح الخاء اسم

تفضيل على وزن أفعل بمعنى مغاير وكان القياس أن يقال مررت بنساء آخر كما يقال مررت بنساء أفضل لأن اسم التفضيل إذا كان مجرداً من من أل والاضافة لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع •

٤ ـ الاختصاص :

هو نصب الاسم بفعل محذوف وجوباً تقديره أخص أو أعني ولا يكون هذا الاسم إلا بعد ضمير لبيان المراد منه نحو : نحن العرب نكرم الضيف ، فنحن مبتدأ وجملة نكرم الضيف خبر والعرب منصوب على الاختصاص بفعل محذوف تقديره أخص وجملة الفعل المحذوف معترضة بين المبتدأ وخبره وليس المراد الاخبار عن نحن بالعرب بل المراد أن اكرام الضيف مختص بالعرب ومقصور عليهم ومنه قول أبي عبادة البحتري :

نحن أبناء يعرب ، أعرب النا   س لساناً وأنضر الناس عوداً

وقد يكون الاختصاص بلفظ أيها وأيتها فيستعملان كما يستعملان في النداء فيبنيان على الضم ويكونان في محل نصب بأخص محذوفاً وجوباً ويكون ما بعدهما اسماً محلى بأل لازم الرفع على أنه صفة أو بدل للفظهما ولا يجوز نصبه على أنه تابع لمحلهما كما في الآية الكريمة •

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾

اللغـــة :

(خطبكن) : شأنكن وهو في الأصل مصدر خطب يخطب وإنما يخطب في الأمور العظام وفي المختار : « الخطب الأمر تقول : ما خطبك قال الأزهري أي ما أمرك وتقول هذا خطب جليل وخطب يسير وجمعه خطوب » وفي القاموس والتاج : الخطب مصدر وهو الشأن يقال : ما خطبك ؟ أي ما شأنك وما الذي حملك عليه ، وغلب استعماله للأمر المكروه العظيم .

(حصحص) : أي ثبت واستقر وقال الخليل : حصحص معناه تبين وظهر بعد خفاء وقال بعضهم هو مأخوذ من الحصة والمعنى بانت

حصة الحق من حصة الباطل كما تتميز حصص الأراضي وغيرها ، وقال الراغب : حصحص الحق وذلك بانكشاف ما يغمره وحص وحصحص نحو كف وكفكف وحصه قطعه إما بالمباشرة وإما بالحكم والحصة القطعة من الجملة وتستعمل استعمال النصيب وفي الصحاح : هو من حصحص البعير إذا ألقى ثفناته للاناخة قال :

فحصحص في صم الصفا ثفناته   وناء بسلمى نوءة ثم صمما

والثفنات هي ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ وغلظ كالركبتين وغيرهما ٠ وقيل هو من الحص وهو ذهاب الشعر فتبين ما تحته والحاء الثانية مبدلة من صاد ثالثة وإذا اجتمع الأمثال في مثل هذا أبدلت العرب من الحرف الأوسط حرفاً من الجنس السابق ومثله حثحثت ورقرقت أصلهما حثثت ورققت هذا قول الكوفيين وقال البصريون هما لغتان تقاربتا إذ لا يبدل الحرف إلا من مثله أو من مقاربه في المخرج وهذه الحروف متباعدة لا يصح ابدالها ٠

الاعراب :

(وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول) معطوف على محذوف أي لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها فقال الملك ، وجملة ائتوني به مقول القول ، فلما : الفاء عاطفة ولما حينية ظرفية أو رابطة وجاءه الرسول فعل ومفعول به مقدم وفاعل ٠ (قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) مهّد لتأويل الحلم بسؤال النسوة ليظهر براءة ساحته مما قرف به وسجن من أجله وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر

له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم
حتى أشترط أن يخرجوني » وارجع فعل أمر وفاعله أنت والى ربك
جار ومجرور متعلقان بارجع ، فاسأله معطوف على ارجع والهاء مفعول
به وما اسم استفهام مبتدأ وبال خبر والجملة في محل نصب مفعول
اسأله المعلقة عن العمـل بالاستفهـام والنسوة مضاف لبال واللاتي
موصول صفة وجملة قطعن أيديهن صلة . (إن ربي بكيدهن عليم)
ان واسمها وبكيدهن متعلقان بعليم وعليم خبر ان . (قال ما خطبكن
إذ راودتن يوسف عن نفسه) ما اسم استفهام مبتدأ وخطبكن خبر
وإذ ظرف متعلق بخطبكن لأنـه في معنى الفعـل والمعنى ما فعلتن
وما أردتن به في ذلك الوقت وجملة راودتن في محل جر باضافة الظرف
اليها وراودتن فعـل وفاعـل ويوسف مفعول به وعن نفسه متعلقان
براودتن . (قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء) حاش تقدم القول
فيها أي تنزيهاً له عن أن يتصف بالعجز عن خلق بشر عفيف مثل هذا
ولله بيان وما نافية وعلمنا فعل وفاعل وعليه متعلقان بعلمنا ومن حرف
جر زائد وسوء مجرور لفظاً بمن منصوب محلاً على انه مفعول علمنا
(قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) قالت امرأة العزيز فعل وفاعل
والآن ظرف زمان متعلق بحصحص والحق فاعل حصحص. (أنا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين) أنا مبتدأ وجملة راودته خبر وهي فعل
وفاعل ومفعول به وعن نفسه متعلقان براودته والواو حرف عطف وان
واسمها واللام المزحلقة ومن الصادقين خبر انه . (ذلك ليعلم أني لم
أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) اختلف المفسرون في قائل
هذا الكلام ومن الصعب البت في الأمر أو الترجيح فلننقل القولين قال
بعضهم : من كلام يوسف أي ذلك التشمر والتثبت لظهور البراءة ليعلم

انعزيز اني لم أخنه ، قال الفراء : ولا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر إذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما الى ما يليق به والاشارة الى الحادثة الواقعة منه وهي تثبته وتأنيه . وقال آخرون هو من كلام زنيخاء والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم أخنه ومهما يكن من أمر فذلك مبتدأ ، وليعلم اللام للتعليل ويعلم مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور خبر ويجوز أن يراد هـذا الكلام لعموم الاحوال فذلك عندئذ خبر لمبتدأ محـذوف أي فالأمر ذلك وان وما بعدها في تأويل مصدر سد مسد مفعولي يعلم وجملة لم أخنه خبر اني وبالغيب في محل نصب حال من الفاعل أو المفعول ويجوز أن يكون ظرفاً أي بمكان الغيْب فيعلق بأخنه وأن الله عطف على أني وجملة لا يهدي خبر ان وكيد الخائنين مفعول به . (وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) الواو حالية وما نافية وأبرىء نفسي فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وإن النفس ان واسمها واللام المزحلقة وأمارة بالسوء خبرها وإلا أداة استثناء ، وما يجوز أن تكون مصدرية وموضعها النصب والتقدير إن النفس لأمارة بالسوء إلا لمن رحم ربي ، وانتصابه على الظرف ، ويجوز أن تكون ما بمعنى من والتقدير ان النفس لتأمر بالسوء إلا لمن رحـم ربي أو إلا نفساً رحمها ربي فانها لا تأمر بالسوء . وعبارة أبي حيان : « والظاهر ان إلا ما رحم ربي استثناء متصل من قوله لأمارة بالسوء لأنه أراد الجنس بقوله : إن النفس فكأنه قال : إلا النفس التي رحمها ربي فلا تأمر بالسوء فيكون استثناء من الضمير المستكن في أمارة ويجوز أن يكون مستثنى من مفعول أمارة المحذوف إذ التقدير لأمارة بالسوء

صاحبهـا إلا الذي رحمه ربي فـلا تأمره بالسوء وجوزوا أن يكون مستثنى من ظرف الزمان المفهوم عمومه من ما قبل الاستثناء وما ظرفية إذ التقدير لأمارة بالسوء مدة بقائها إلا وقت رحمة الله العبد وذهابه بها عن اشتهاء المعاصي وجوزوا أن يكون استثناء منقطعاً وما مصدرية، وذكر ابن عطية أنه قول الجمهور أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة • (ان ربي غفور رحيم) ان واسمها وخبراها •

البلاغـة :

رجح البلاغيون أن يكون الكلام « ذلك ليعلم ••• » من قول زليخا ، لأنه أقرب الى المقام وأليق بمقام الغزل حيث يفدي المحب من يحب بنفسه ، ألا ترى انه عندما استحكمت المحنة وبلغت النهاية فدته بنفسها فقالت : (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين » وتقربت الى قلبه بقولها « ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب » وما أحسن قول كثير وقد رمق سماء هذا المعنى في التقرب الى المحبوب وخلب قلبه بهذا التلطف :

يود بأن يمسي عليلاً لعلها إذا سمعت شكواه يوماً تراسله

ويهتز للمعروف في طلب العلا لتحمد يوماً عند ليلى شمائله

ويثبت ذلك أيضاً قولهـا للنسوة اللواتي سمعت بمكـرهن : « فذلكن الذي لمتنني فيه » غير مكترثة لما فضحنها به • وقد رمق هذه السماء العالية أيضاً جميل بن معمر الخزاعي فقال :

وماذا عسى الواشون أن يتحــدثوا

سوى أن يقولــوا : إنني لك عاشق

أجــل صدق الواشون أنت حبيبــة

إليّ وإن لم تصف منك الخــلائق

وقد رواهما صاحب الأغاني لمجنون بني عامر .

وقال عمرو بن ضبيعة الرقاشي أحد بني رقاش وهم منسوبون الى أمهم :

ألا ليقــل من شاء ما شاء إنمــا

يــلام الفتى فيما استطاع من الأمر

قضى الله حب المالكيــة فاصطبــر

عليه فقــد تجري الأمور عــلى قــدر

وقد رمق أبو العتاهية بيتي جميل فقال :

قال لي أحمــد ولم يــدر ما بي

أتحب الغــداة عتبــة حقــا

فتنفست ثــم قلت نعــم حبــاً

جرى في العــروق عرقــاً فعرقــا

ولقد أربى عليه بهذا التنفس الذي تتبعه كل نفس لطيفة .

الفوائـد :

الآن :

الآن ظرف من ظروف الزمان معناه الزمن الحاضر وهو مبني على الفتح وفي علة بنائه اشكال فذهب قوم الى أنه بني لأنه وقع في أول أحواله معرفة بالألف واللام وحكم الاسماء أن تكون منكورة شائعة في الجنس ثم يدخل عليها ما يعرفها من إضافة وألف ولام فلما خالفت أخواتها من الاسماء بأن وقعت معرفة بأول أحوالها ولزمت موضعاً واحداً بنيت لذلك لأن لزومها بهذاالموضع ألحقها بشبه الحروف وهذا رأي أبي العباس المبرد وشايعه الزمخشري وغيره وقال الفراء أصله آن من آن الشيء يئين إذا أنى وقته يقال آن لك أن تفعل كذا وأنى لك قال عمرو بن حسان :

تمخضت المنون له بيوم أنى ولكـل حاملة تمام

وآن فعل ماض فلما أدخل عليه الألف واللام ترك على ما كان عليه من الفتح كما جاء في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم « نهى عن قيل وقال » وقيل وقال فعلان ماضيان فأدخل الخافض عليهما وتركهما عـلى ما كانا عليه وهناك تعليـلات أخرى ضربنا عنهـا صفحاً لأنه لا طائل تحتها .

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ

عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

الاعراب :

(وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) عطف على ما تقدم وقال الملك فعل وفاعل وجملة ائتوني به مقول القول واستخلصه فعل مضارع مجزوم لأنه وقع جواباً للأمر والاستخلاص خلوص الشيء من سوائب الشركة وقال ذلك لما كان يوسف نفيساً وعادة الملوك أن يجعلوا الأشياء النفيسة خالصة لهم دون غيرهم . (فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) الفاء عاطفة على محذوف يمكن تقديره بما تساوق معه مجريات القصة وحوادثها أي فجاء الرسول يوسف وقال أجب الملك فقام مودعاً أهل السجن داعياً لهم لأنه كان مثابتهم وموضع ثقتهم ثم لبس ثيابه ودخل على الملك فلما ... الخ ، ولما ظرفية حينية أو رابطة وكلمه فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة قال جواب لما لا محل لها وان واسمها والظرف متعلق بمحذوف حال ولدينا متعلق بمكين ومكين خبر إن وأمين خبر ثان . (قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) اجعلني فعل أمر والنون للوقاية والفاعل مستتر تقديره أنت والياء مفعول به وعلى خزائن الأرض جار ومجرور متعلقان بالمفعول الثاني أي قيماً على خزائن الأرض وان واسمها وحفيظ خبرها

وعليم خبرها الثاني . (وكذلك مكّنّا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء) وكذلك نعت لمصدر محذوف أي ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف ومكنا فعل وفاعل واللام متعلقة بمكنا ومفعول مكنا محذوف أي الأمور وفي الأرض حال وجملة يتبوأ جملة حالية من يوسف ومنها جار ومجرور متعلقان بيتبوأ وحيث ظرف ليتبوأ أو مفعول به له وجملة يشاء في محل جر بإضافة الظرف اليها ولا بد من الاشارة إلى تتمة القصة التي اقتضى سياق الكلام حذفها أي فولاه مكان العزيز ثم هلك قطفير عزيز مصر فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه وكانت مفاجأة تجمع بين المتعة والدهشة حين دخل عليها يوسف وقال لها : أليس هذا خيراً مما تريدين قالت أيها الصديق لاتلمني فإني كنت امرأة غريرة حسناء بلهاء وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت بالمثابة التي أنت عليها من الوسامة والجمال فغلبتني نفسي وعصمك الله إلى آخر تلك القصة الرائعة التي استوفت جميع عناصر القصة ثم استولى على مقاليد الأمور ودان له القريب والبعيد . (نصيب برحمتنا من نشاء ولانضيع أجر المحسنين) الجملة استئنافية مسوقة إلى التصرف العادل الذي اختص الله تعالى به نفسه ونصيب فعل مضارع مرفوع والفاعل نحن وبرحمتنا متعلقان بنصيب ومن مفعول به وجملة نشاء صلة ولا نضيع عطف على نصيب وأجر المحسنين مفعول به . (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) اللام لام الابتداء وأجر مبتدأ والآخرة مضاف إليه وخير خبر أجر وللذين متعلقان بخير وجملة آمنوا صلة وكانوا كان واسمها وجملة يتقون خبرها .

الفوائد :

نسج أرباب السير حوادث حول هذه القصة الرائعة من نسج

للخيال ولفقوا روايات يبدو عليها البطلان لتفاهتها وركاكتها أو لاحالتها ومنافاتها للعقل فعلى المرء أن يمحص تلك الروايات البادية التلفيق ويشجب الأخذ بها والتوريك على نقلة هذه الزيادات بالبهت وذلك شأن المبطلة من كل طائفة .

وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

الاعراب :

(وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه) الكلام معطوف على كلام سابق يفهم من سياق القصة أي أصابت يعقوب وأولاده ضائقة وهم في فلسطين فقال لهم يعقوب بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً يبيع الطعام فتجهزوا إليه واقصدوه لتشتروا ما نحن بحاجة إليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر ... إلى آخر القصة . وجاء إخوة يوسف فعل وفاعل ولم ينصرف يوسف للعلمية والعجمة ، فدخلوا عليه عطف على جاء أخوة

يوسف • (فعرفهم وهم له منكرون) الفاء عاطفة وعرفهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به والواو للحال وهم مبتـدأ وله متعلقان بمنكرون ومنكرون خبر أي لم يعرفوه لطول العهد • (ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم) الواو عاطفة والكلام معطوف على مقدر يفهم من سياق الحوار أي لما وصلوا إليه قال لهم لعلكم جئتم عيوناً تنظرون عورة بلادي قالوا معـاذ الله نحن قوم من أهـل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فاستوضح منهم عن أمرهم فقال نحن أخوة بنو أب واحـد وهو شيخ صديق نبي اسمه يعقوب وكنا اثني عشر فهلك منا واحد قال أنتم الآن عشرة فأين الأخ الحادي عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به من الهالك لأنه شقيقه قال فأتوني به أي بأخيكـم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين واتركوا أحدكم عندي رهينة حتى تأتوني به ••• الى آخره ، ولما حينية أو رابطة وجهزهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به وبجهازهم متعلقان بجهزهم وقال جملة لا محـل لها لأنها جواب لما وجملة ائتوني مقول القول وهو فعل أمر وفاعل ومفعول به وبأخ جار ومجرور متعلقان به ولكم صفة لأخ ومن أبيكم صفة ثانية • (ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين) الهمزة للاستفهام ولا نافية وترون فعـل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعـل وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي ترون وجملة أوفي الكيل خبر ان والواو عاطفة وأنا مبتدأ وخير المنزلين خبر أي وأنا للضيف خير المضيفين • (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عنـدي ولا تقربون) الفاء عاطفة وان شرطية ولم حرف نفي وقلب وجـزم وتأتوني مجزوم بلم وهو فعـل الشرط والفاء رابطة ولا نافية للجنس وكيل اسمها ولكم خبرها وعندي ظرف متعلق بمحذوف حال والواو عاطفـة ولا ناهية وتقربون فعـل

مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون هذه النون نون الوقاية وحذفت ياء المتكلم تخفيفاً ويحتمل أن تكون لا نافية وتقربون مجزوم نسقاً على محل قوله فلا كيل لكم وهو الجزم لأنه جواب الشرط كأنه قيل فإن لم تأتوني تحرموا ولا تقربوا . (قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون) جملة سنراود مقول القول وعنه متعلقان بنراود وقد تقدمت معاني المراودة قريباً فجدد به عهداً وأباه مفعول به وإنا من عطف الجمل وان واسمها واللام المزحلقة وفاعلون خبر إنا . (وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) لفتيانه متعلقان بقال وجملة اجعلوا مقول القول وبضاعتهم مفعول به وفي رحالهم في موضع المفعول الثاني وقد اختلف في معنى جعل البضاعة في الرحال وأقرب الأقوال انه أراد حملهم على الرجوع اليه أن يعرفوها اذا رجعوا الى أهلهم فتحملهم على الرجوع وهو يعلم أن دياتتهم لا تحل لهم امساكها فيرجعون لأجلها . (لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون) لعل واسمها وجملة يعرفونها خبر لعل واذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة انقلبوا مضافة للظرف والجواب محذوف أي فلعلهم يرجعون والى أهلهم جار ومجرور متعلقان بانقلبوا ولعل واسمها وجملة يرجعون خبرها .

فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ

بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾

الاعراب :

(فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل) الفاء حرف عطف ولما حينية أو رابطة ورجعوا فعل وفاعل وإلى أبيهم متعلقان برجعوا وجملة قالوا لا محل لها ويا حرف نداء وأبانا منادى مضاف ومنع فعل ماض مبني للمجهول ومنا متعلقان بمنع والكيل نائب فاعل وهم يشيرون إلى قول يوسف فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي • (فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون) الفاء الفصيحة وأرسل فعل أمر ومعنا متعلقان بأرسل وأخانا مفعول به ونكتل مضارع مجزوم في جواب الطلب ، وإنا : إن واسمها وله متعلقان بحافظون واللام المزحلقة وحافظون خبر إن • (قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل) الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كما تقدم نظائر ذلك في مواضع كثيرة • هل حرف استفهام وآمنكم فعل مضارع وفاعل مستتر

ومفعول وعليه متعلقان بآمنكم وإلا أداة حصر ، كما أمنتكم الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية يريد : انكم قلتم في يوسف « وإنا له لحافظون » كما تقولونه في أخيه بنيامين ثم خنتم بضمانكم فكيف آمنكم • وعلى أخيه جار ومجرور متعلقان بأمنتكم ومن قبل حال أي من قبل هذا الزمان • (فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) الفاء الفصيحة والله مبتدأ وخير خبر وحافظاً تمييز أو حال وهو مبتدأ وأرحم الراحمين خبر والمعنى فتوكل على الله ودفع اليهم بنيامين • (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) لما حينية أو رابطة وفتحوا متاعهم فعل وفاعل ومفعول به ووجدوا بضاعتهم فعل وفاعل ومفعول به وجملة ردت اليهم في محل نصب مفعول وجدوا الثاني• (قالوا يا أبانا مانبغي) قالوا فعل وفاعل ويا أبانا منادى مضاف وما اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لنبغي أي أي شيء نبغي ونطلب من الكرامة هذه أموالنا ردت إلينا، وقال الزجاج : يحتمل أن تكون نافية أي ما بقي لنا ما نطلب ويحتمل أيضاً أن تكون نبغي من البغي أي ما افترينا فكذبنا على هذا الملك • (هذه بضاعتنا ردت الينا) هذه مبتدأ وبضاعتنا خبر وجملة ردت الينا حالية ويجوز إعراب بضاعتنا بدل من هذه وجملة ردت إلينا خبر والجملة مستأنفة مسوقة لإيضاح قولهم ما نبغي • (ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير) الواو عاطفة على محذوف أي نستظهر بها ونستعين ونمير أهلنا ، وأهلنا مفعول به ونحفظ أخانا جملة منسوقة على ما قبلها ونزداد جملة منسوقة أيضاً وكيل بعير مفعول به لنزداد • (ذلك كيل يسير) ذلك مبتدأ وكيل خبر ويسير صفة أي ان كيل البعير الذي نزداده هين على الملك لأنه قد أحسن إلينا وأكرمنا أكثر من ذلك • (قال لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقاً من الله) لن حرف نفي ونصب واستقبال وأرسله مضارع منصوب بلن ومعكم ظرف متعلق بأرسله

وحتى حرف غايـة وجر وتؤتوني فعـل مضارع منصوب بأن مضمرة والنون للوقاية وياء المتكلم مفعول به أول وموثقاً مفعول به ثان ومن الله صفة وجعل الحلف بالله موثقاً لأن الحلف به مما تؤكد به العهود .

(لتأتنني به إلا أن يحاط بكم) اللام واقعة في جواب القسم المدلول عليه بقوله موثقاً وتأتنني مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الامثال وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل والياء مفعول به والنون المشددة للتوكيد والنون الثالثة نون الوقاية وقد تقدمت لهذا الاعراب نظائر وإلا أداة استثناء وأن وما في حيزها استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لتأتنني على كل حال إلا حال الإحاطة بكم فهو حال أو استثناء مفرغ من أعم العلل أي لا تمتنعون من الاتيان لعلة من العلل إلا علة الإحاطة بكم ، وتقول العرب أحيط بفلان إذا هلك أو أشفى على الهلاك . وعبارة أبي حيان : « وهذا الاستثناء من المفعول من أجله مراعى في قوله لتأتنني وإن كان مثبتاً معنى النفي لأن المعنى لا تمتنعون من الإتيان به لشيء من الأشياء إلا لأن يحاط بكم ومثاله من المثبت في اللفظ ومعناه النفي قولهم أنشدك الله إلا فعلت أي ما أنشدك إلا الفعل ولا يجوز أن يكون مستثنى من الأحوال مقدراً بالمصدر الواقع حالاً وإن كان صريح المصدر قد يقع حالاً فيكون التقدير لتأتنني به على كل حال إلا إحاطة بكم أي محاطاً بكم لأنهم نصّوا على أن « أن » الناصبة للفعل لا تقع حالاً وإن كانت مقدرة بالمصدر الـذي قد يقع بنفسه حالاً فإن جعلت أن والفعل واقعة موقع المصدر الواقع ظرف زمان ويكون التقدير لتأتنني به في كل وقت إلا إحاطة بكم أي وقت إحاطة ، قلت منع ذلك ابن الانباري فقـال ما معناه : يجوز خروجنا صياح الديك أي وقت صياح الديك ولا يجوز خروجنا أن يصيح الديك ولا ما يصيـح الديك وإن كانت أن وما مصدريتين وإنما يقـع ظرفاً

المصدر المصرح بلفظه وأجاز ابن جني أن تقع ظرفاً كما يقع صريح المصدر فأجاز في قول تأبط شراً :

وقالوا لها لا تنكحيه فإنه لأول نصل أن يلاقي مجمعا

وقول أبي ذؤيب الهذلي :

وتالله ماإن شهلة أمّ واحد بأوجد مني أن يهان صغيرها

أن يكون أن يلاقي تقديره وقت لقائه الجمع وان يكون ان يهان تقديره وقت إهانة صغيرها فعلى ما أجازه ابن جني يجوز أن تخرج الآية وتبقى لتأتنني به على ظاهره من الإثبات ولا يقدر فيه معنى النفي • (فلما آتوه موثقهم قال : الله على ما نقول وكيل) الفاء عاطفة ولما تقدمت وآتوه فعل وفاعل ومفعول به أول وموثقهم مفعول به ثان والله مبتدأ وعلى ما نقول متعلقان بوكيل ووكيل خبر الله • (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد) يا حرف نداء وبني منادى مضاف وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ولا ناهية وتدخلوا فعل مضارع مجزوم بلا ومن باب جار ومجرور متعلقان بتدخلوا وواحد صفة خشي عليهم أن يلفتوا الأنظار بدخولهم جملة واحدة فيعانوا أو يصيبهم سوء • (وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء) وادخلوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ومن أبواب متعلقان بادخلوا ومتفرقة صفة وما أغني : ما نافية وأغني فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا وعنكم متعلقان بأغني ومن الله حال ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به (إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) إن نافية والحكم مبتدأ وإلا

أداة حصر ولله خبر وعليه جار ومجرور متعلقان بتوكلت وعليه عطف جملة على جملة وفليتوكل اللام لام الأمر ويتوكل فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والمتوكلون فاعل ٠

وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾

اللغـــة :

(الحاجة) الأرب واللبانة وهي ترجع في اشتقاقها الى فكرة واحدة هي الاقامة على الشيء والتشبث به ذلك أن صاحب الحاجـة كلف بها

ملازم للفكر فيها مقيم على تنجزها والأصل في (الحاج) أنه شجر له شوك وما كانت هذه سبيله فهو متشبث بالأشياء كما يقول ابن جني في الخصائص ، فأي شيء مر عليه اعتقله وتشبث به فسميت الحاجة به تشبيهاً بالشجرة ذات الشوك أي أنا مقيم عليها متمسك بقضائها كهذه الشجرة في أجتذابها مامرّ بها وقرب منها والحوجاء منها ومنها تصرف الفعل احتاج يحتاج احتياجاً واحوج يحوج وحاج يحوج فهو حائج .

والأرب من الأربة وهي العقدة وعقد م ؤرّب : مشدد والحاجة معقودة بنفس الانسان متردّدة على فكره ، واللبانة من قولهم تلبّن بالمكان إذا أقام به ولزمه وهذا هو المعنى عينه .

وهذا بحث جليل يؤدي إذا تعورف الى معرفة معاني الكلمات وتصور مدلولاتها وقد ذكر الزجاج في أماليه عن ابن الاعرابي ان العشقة شجرة يقال لها اللبلابة تخضر ثم تدق ثم تصفر ومن ذلك اشتقاق العاشق . وفي اللغة : عشق به كفرح لصق به والعشق عشق المحب بمحبوبه أو هو افراط الحب وشدة التعلق به فأصل المعنى المادي ظاهر انقلب الى معنوي عريق الصلة بينه وبين المشتقات . وأورد الزجاج أيضاً أن أصل المغازلة من الإدارة والفتل لأنه إدارة عن أمر ومنه سمي المغزل لاستدارته وسرعته في دورانه وسمي الغزال غزالاً لسرعته وسميت الشمس غزالة لاستدارتها وسرعتها وأورد التعليل في الإدارة عن الأمر بقوله « ويقال غازل الكلب الظبي إذا عدا في أثره فلحقه وظفر به ثم عدل عنه ، ومنه مغازلة النساء قال : كأنها يلاعبها الرجل فتطمعه في نفسها فإذا رام تقبيلها انصرفت » ثم ان الغزالة قد تكون مؤنث الغزال أيضاً ، وقد ورد في كلام العرب نظماً ونثراً قديماً وحديثاً وأنكره الصفدي في شرح لامية العجم وقال : لم يسمع إلا بمعنى الشمس وقد

ردّه الدماميني وأورد له شواهد كثيرة ولولا صحته لم تقع التورية في مثل قول الشاعر في العقاب :

ترى الطير والوحش في كفها ومنقارها ذا عظــام مزالــه
فلو أمكن الشمس من خوفها إذا طلعــت ما تسمت غزالــه

والموغل في تتبع العلاقات القائمة بين المفردات يقع منها على مذهب طريف وسر عميق في نشأة اللغة وتشقق الكلام فيها ، وفي هذا الكتاب يبدو لك العجب العجيب من هذه الأسرار ٠

(السقاية) : مشربة يسقى بها وهي الصواع الآتي ذكــره وكان يشرب فيه الملك فيسمى سقاية باعتبار أول حالة ثم صاعاً باعتبار آخر أمره لأن الصاع آلة الكيل وقيــل كانت إناء مستطيلاً يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الأعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ٠

(رحل) الرحــلَ بفتح الراء المشدّدة ما يجعــل على ظهر البعير كالسرج والمراد به هنا مكان ركوبه ٠

(العير) بكسر العين : الابل التي يحمل عليها لأنها تعير أي تذهب وتجيء ، وقيل : قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير والمراد أصحاب العير كما سيأتي في باب البلاغة ٠

(صواع) : الصواع بضم الصاد المشددة والصّاع لغتان معناهما واحد وهو المكيال وقد تقدم انه هو السقاية وانما اتخذ هــذا الإناء مكيالاً لعزة ما يكال به في ذلك الوقت ٠

(السارق) : هو من يسرق المتاع من الأحراز وللعرب في لغتهم تفصيل حول السارقين فإذا كان يقطع الطريق على القوافل فهو لص وفرضوب فإذا كان يسرق الابل فهو خارب أو الغنم فهو أحسص والحميصة الشاة المسروقة فإذا كان يسرق الدراهم بين أصابعه فهو قفاف فإذا كان يشق عنها الجيوب فهو طرّار فاذا كان تخصص بالتلصص والخبث والفسق فهو طمل فإذا كان يسرق ويزني ويؤذي الناس فهو داعر فاذا كان خبيثاً منكراً فهو عفر وعفرية تفرية فاذا كان أخبث اللصوص فهو عمروط فاذا كان يدل اللصوص ويندس لهم فهو شص فإذا كان يأكل ويشرب معهم ويحفظ متاعهم ولايسرق معهم فهو لفيف .

هذا واللص بتثليث اللام وفرق بعض اللغويين بينها فقال :

إغلاق باب ستر فعل لَصٌّ وسارقٌ بالحركات لِصٌّ
جمع الألصّ من رجال لُصٌّ منضم أضراس فكن ذا خبر

الاعراب :

(ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) لما ظرفية حينية أو رابطة ومن حرف جر وحيث ظرف مبني على الضم في محل جر بمن والجار والمجرور متعلقان بدخلوا والمعنى متفرقين وجملة أمرهم أبوهم مضافة للظرف . (ما كان يغني عنهم من الله من شيء) الجملة جواب لما وقيل الجواب هو آوى اليه أخاه قال أبو البقاء وهو جواب لما الأولى والثانية، وما نافية وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير التفرق المدلول عليه بالكلام السابق وعنهم متعلقان بيغني ومن الله حال ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به . (إلا حاجة في

نفس يعقوب قضاها) استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي حذبه عليهم وفي نفس صفة ويعقوب مضاف اليه وجملة قضاها صفة لحاجة . (وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الواو للحال وان واسمها واللام المزحلقة وذو علم خبر إن وجملة علمناه صلة ولكن الواو حالية أيضاً ولكن واسمها وجملة لا يعلمون خبر . (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) تقدم اعرابها وأخاه مفعول آوى والجملة جواب لما الاولى والثانية . (قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون) إن واسمها وأنا مبتدأ وأخوك خبر والجملة خبر ان والجملة مستأنفة وهكذا كل ما اقتضى جواباً وذكر جوابه ثم جاءت بعده قال فهي مستأنفة ، والفاء الفصيحة ولا ناهية وتبتئس مضارع مجزوم بلا وبما متعلقان بتبتئس وجملة كانوا صلة وجملة يعملون خبر كانوا . (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه) الفاء عاطفة للدلالة على رغبتهم الحثيثة بالسفر ولما ظرفية أو رابطة وجهزهم فعل وفاعل ومفعول به وبجهازهم جار ومجرور متعلقان بجهزهم وجملة جعل السقاية في رحل أخيه لا محل لها وفي رحل متعلقان بجعل . (ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون) ثم حرف عطف وتراخ وأذن مؤذن فعل وفاعل أي نادى منادٍ ، وعطف بثم للاشارة إلى إمهال يوسف اياهم حتى انطلقوا وأيتها منادى محذوف منه حرف النداء وهو نكرة مقصودة مبني على الضم والهاء للتنبيه والعير بدل من أيتها وان واسمها واللام ا لمزحلقة وسارقون خبرها . (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) الواو للحال بتقدير قد وعليهم متعلقان بأقبلوا وماذا اسم استفهام مفعول مقدم لتفقدون أو ما اسم استفهام وذا اسم موصول خبر وجملة تفقدون صلة وقد تقدم القول في ماذا . (قالوا نفقد صواع الملك) جملة نفقد صواع الملك مقول

القول • (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) الواو عاطفة ولمن خبر مقدم وجملة جاء به صلة وحمل بعير مبتدأ مؤخر والواو عاطفة وأنا مبتدأ وبه متعلقان بزعيم وزعيم أي كفيل خبر • (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) التاء حرف جر وقسم والله لفظ الجلالة مجرورة بتاء القسم والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره نقسم واللام واقعة في جواب القسم أو هو تأكيد للقسم الاول وقد حرف تحقيق وعلمتم فعل وفاعل وما نافية وجئنا فعل وفاعل ولنفسد اللام للتعليل والفاعل مستتر تقديره نحن وفي الارض جار ومجرور متعلقان بنفسد ، وما كنا : ما نافية وكان واسمها وسارقين خبرها • وأقسموا بالتاء من حروف القسم لما فيها من معنى التعجب غالباً كأنهم عجبوا من رميهم بهذا الأمر ولا تدخل التاء في القسم إلا على لفظ الله من بين أسمائه تعالى ، لا تقول تالرحمن ولا تالرحيم ولكن حكي عن العرب دخولها على الرب وعلى الرحمن وعلى حياتك قالوا ترب الكعبة وتالرحمن وتحياتك •

البلاغة :

في قوله تعالى « أيتها العير انكم لسارقون » مجاز مرسل علاقته المجاورة والمراد أصحاب العير كما ورد في الحديث « ياخيل الله اركبي » وفي العير سؤال جرى في مجلس سيف الدولة بن حمدان وكان السائل ابن خالوية والمسؤول المتنبي قال ابن خالوية : والبعير أيضاً الحمار وهو حرف نادر ألقيته على المتنبي بين يدي سيف الدولة وكانت فيه خنزوانة وعنجهية فاضطرب فقلت المراد بالبعير في قوله تعالى « ولمن جاء به حمل بعير » الحمار وذلك أن يعقوب وأخوه يوسف عليهم السلام كانوا

بأرض كنعان وليس هناك إبل وانما كانوا يمتارون على الحمير وكذلك ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره .

قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ * قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾

اللغـــة :

(كدنا) : الكيد في الأصل الحيلة والخديعة وذلك في حق الله تعالى محال وقد تقدم أن أمثال هذه الألفاظ الموهمة في حق الله تعـالى تحمل عـلى نهايات الأغراض لا عـلى بداياتها فالكيد السعي في الحيلة والخديعة ونهايته إيقـاع الانسـان من حيث لا يشعر في أمر مكروه ولا سبيل له الى دفعه فالكيد بالنسبة لله تعالى محمول على هذا المعنى ، وقال ابن الاعرابي : الكيد التدبير بالباطل وبالحق فعـلى هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف • وعبارة ابن الخشاب : « ولكاد : استعمال آخر تكون فيه بمعنى أراد وعلى ذلك أنشد أبو الحسن « الأخفش » وغـــيره :

كادت وكدت وتلك خير إرادة لو عاد من عصر الشبيبة ما مضى

وحملوا عليه قوله سبحانه : « كذلك كدنا ليوسف » أي أردنا •

(استيئسوا) : يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة نحو عجب واستعجب وسخر واستسخر •

(خلصوا): اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم أحد •

(نجياً) : النجي فعيـل بمعنى مفاعـل كالعشير والخليط بمعنى المعاشر والمخالط كقوله تعـالى : « وقربناه نجياً » أي مناجياً وهـذا الاستعمال يفرد مطلقـاً يقـال : هم خليطك وعشيرك أي مخالطـوك ومعاشروك ، وإما لأنه على صفة فعيـل بمنزلة صديق وبابه فوحد لأنه بزنة المصادر كالصهيل والوحيد والذميل وإما لأنه مصدر بمعنى التناجي كما قيل النجوى بمعناه •

الاعراب :

(قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين) الفاء الفصيحة وما اسم استفهام مبتدأ وجزاؤه خبر والضمير للصواع أي فما جزاء سرقته أو الضمير للسارق وإن شرطية وكنتم فعل الشرط وكاذبين خبر كان وجواب إن محذوف دل عليه ما قبله أي فما جزاء سرقة الصواع أو السارق • (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه) جزاؤه مبتدأ ومن شرطية أو موصولة مبتدأ ثان ووجد صلة أو فعل الشرط وفي رحله متعلقان بوجد والفاء رابطة على الوجهين وهو مبتدأ وجزاؤه خبر وجملة فهو جزاؤه خبر من ، ومن ومافي حيزها خبر المبتدأ الأول والضمير على هذا الاعراب يعود على السارق ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والهاء تعود على المسروق ومن وجد في رحله خبره ومن بمعنى الذي والتقدير وجزاء الصواع الذي وجد في رحله ، ويجوز أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي المسؤول عنه جزاؤه أي استرقاقه جزاؤه وكانت تلك شريعة آل يعقوب • (كذلك نجزي الظالمين) كذلك نعت لمصدر محذوف أي نجزي الظالمين جزاء كذلك الجزاء والظالمين مفعول به أي فهو كذلك في شريعتنا المقررة بيننا • (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه) الفاء عاطفة وبدأ فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وبأوعيتهم جار ومجرور متعلقان ببدأ وقبل ظرف زمان متعلق بمحذوف حال ووعاء أخيه مضافان وثم حرف عطف واستخرجها فعل وفاعل مستتر ومفعول به والهاء تعود على الصواع لأن فيه التذكير والتأنيث أو على السقاية لأن الصواع يحمل معناها ومن وعاء أخيه متعلقان باستخرجها • (كذلك كدنا ليوسف) أي مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف فالكاف نعت لمصدر محذوف كما تقدم وليوسف متعلقان

بكدنا • (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) ما نافية وكان فعل ماض ناقص واسمها مستتر واللام للجحود ويأخذ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود واللام ومجرورها في موضع الخبر وأخاه مفعول به وفي دين الملك حال • (إلا أن يشاء الله) الاستثناء منقطع إذ الأخذ بدين الملك لا يشمل المراد بقوله إلا أن يشاء الله لأنه أخذه بشريعة يعقوب أو الاستثناء متصل من أعم الأحوال أي إلا حال مشيئته واذنه بذلك وارادته له وجملة ما كان ليأخذ أخاه الخ تعليل لما صنعه الله من الكيد ليوسف أو تفسير له وعلى كل لا محل لها • (نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم) درجات منصوب على الظرفية ومن مفعول به وجملة نشاء صلة وفوق الظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وكل ذي علم مضافان وعليم مبتدأ مؤخر • (قالوا : إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) إن شرطية ويسرق فعل الشرط والفاء رابطة لاقتران الجواب بقد وسرق أخ فعل وفاعل والجملة في محل جزم جواب الشرط وله صفة ومن قبل حال ، قالوا ذلك متنصلين من التهمة التي ثبتت عليهم مبرئين لساحتهم يعنون ان هـذه الفعلة ليست ببعيدة من بنيامين فإن أخاه الذي هلك كان سارقاً أيضاً ونحن لسنا على طريقتهما لأنهما من أم أخرى ويروي المؤرخون أن يوسف كان قد سرق لأبي أمه صنماً مما استفاض ذكره في المطولات والأولى ما حكاه الزجاج أنه قال : « كذبوا عليه فيما نسبوه اليه » ونقول ما هذه الكذبة بأول كذباتهم • (فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) الفاء عاطفة وأسرها فعل ومفعول به والهاء تعود للكلمة الآتية وهي أنتم شر مكاناً فهو اضمار على شريطة التفسير ويوسف فاعل وفي نفسه متعلقان بأسرها ولم يبدها عطف على أسرها ولهم متعلقان بيبدها • (قال أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون) أنتم مبتدأ وشر خبر ومكاناً تمييز وجملة أنتم شر مكاناً بدل من الهاء

ويجوز أن يعود الضمير أي الهاء على الحجة فيكون المعنى فأسر يوسف في نفسه الحجة عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم وقال أنتم شر مكاناً ، والله مبتدأ وأعلم خبره وبما متعلقان بأعلم وجملة تصفون صلة • (قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً) ياحرف نداء وأيها منادى نكرة مقصودة والهاء للتنبيه والعزيز بدل وان حرف مشبه بالفعل وله خبرها المقدم وشيخاً اسمها المؤخر وكبيراً صفة• (فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين) الفاء الفصيحة وخذ فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت وأحدنا مفعول به ومكانه ظرف مكان متعلق بخذ وان واسمها وجملة نراك خبرها ومن المحسنين متعلق بنراك على أنه مفعول ثان • (قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) معاذ الله نصب على المصدر بفعل محذوف أي نعوذ بالله معاذاً وأن نأخذ أن وما في حيزه منصوب بنزع الخافض متعلق بنعوذ وإلا أداة حصر ومن مفعول نأخذ وجملة وجدنا صلة ومتاعنا مفعول وجدنا وعنده متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لوجدنا أي كائناً عنده • (إنا إذن لظالمون) ان واسمها و ذن جواب وجزاء واللام المزحلقة وظالمون خبر إنا • (فلما استيئسوا منه خلصوا نجياً) لما ظرفية حينية أو رابطة واستيئسوا فعل وفاعل ومنه متعلقان باستيئسوا وخلصوا فعل وفاعل ونجياً حال من فاعل خلصوا أي اعتزلوا هذه الحالة متناجين وإنما أفردت الحال وصاحبها جمع لأن النجي يفرد مطلقاً كما تقدم في باب اللغة • (قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وتعلموا مضارع مجزوم بلم وأن ومافي حيزها سدت مسد مفعولي تعلموا وان واسمها وجملة قد أخذ خبر وعليكم متعلقان بأخذ وموثقاً مفعول به ومن الله صفة لموثقاً • (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) في اعراب هذا الكلام وجوه أظهرها

أن من قبل خبر مقدم وبني قبل على الضم لانقطاعه عن الاضافة لفظاً لا معنى أي ومن قبل هذا ، وما مصدرية وهي مع مدخولها مبتدأ مؤخر ومعناه ووقـع من قبل هـذا تفريطكم وفي يوسف متعلقان بفرطتم • ويجوز أن تكون ما موصولة بمعنى ومن قبل هذا الذي فرطتموه في يوسف من الجناية العظيمة ومحل الموصول الرفع عـلى الابتداء أيضاً ويجوز أن تكون ما صلة أي زائدة لتحسين اللفظ فمن متعلقة بالفعل وهو فرطتم وقد رجح أبو حيان هذا الوجه • قال ابن هشام : « وقوله تعالى : ومن قبل ما فرطتم في يوسف ما إما زائدة فمن متعلقة بفرطتم وإما مصدرية فقيل هي وصلتها رفع بالابتداء وخبره من قبل وردّ بأن الغايات لا تقع أخباراً ولا صلات ولا صفات ولا أحوالاً نصّ على ذلك سيبويه وجماعة من المحققين ويشكل عليهم : كيف كان عاقبة الذين من قبل وقيل نصب عطفاً على ان وصلتها أي ألم تعلموا أخـذ أبيكم الموثق وتفريطكم ويلزم على هذا الاعراب الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وهو ممتنع » •

هذا ما قاله ابن هشام وهو جميل غير أنّا لا نسلم به بأن الفصل ممنوع كما ذكر بل هو جائز كمـا ذكره ابن مالك وتمسك بعضهـم لجوازه بقوله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعـدل » وأجاب ابن هشام عن هـذا الاعتراض في حواشي التسهيل بأن التقدير ويأمركم إذا حكمتم فهو عطف جمل •

والواو في قوله ومن قبل للحال على كل حال فالمعنى : ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله والحـال انكم فرطتم في يوسف من قبل •

(فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي) الفاء عاطفة على مقدر أي سأبقى في مصر ولن أبرحها ، ولن حرف نفي ونصب واستقبال وأبرح فعل مضارع منصوب بلن ومعناه أفارق فهي تامة وفاعل أبرح مستتر تقديره أنا والأرض مفعول به وحتى يأذن حرف غاية وجر ويأذن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ولي متعلقان بيأذن وأبي فاعل • (أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين) أو حرف عطف ويحكم معطوف على يأذن ويجوز أن ينصب بأن مضمرة في جواب النفي والله فاعل ولي متعلقان بيحكم وهو مبتدأ وخير الحاكمين خبر •

ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا
بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا
وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ
عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ
تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى
وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

اللغــة :

(كظيم) : أي مكظوم ممتــلىء من الحزن ممسك عليه لا يبثّه قال قتادة : هو الذي يردد حزنه في جوفه ولم يقل إلا خيراً وفي المصباح: « كظمت الغيظ كظماً من باب ضرب وكظوماً أمسكتَ على مافي تمسك منه على صفح أو غيظ » وقال الزمخشري : « فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله : وهو مكظوم من كظم السقاء إذا شده على ملئه والكَظَم بفتح الظاء مخرج النفس يقال : أخذ بأكظامه » وأصل هــذه المادة كما تقول معاجم اللغة من كظم البعير جرّته ازدردها وكفّ عن الاجترار وباتت الإبل كظوماً وكواظم وحضروا كظامة وكظيمة وكظائم وفي الحديث : « أتى كظامة قوم فتوضأ » وهي الفقير يحفر من بئر الى بئر والسقاية والحوض قال طرفة :

يشربن من فضلة العقــار كما اســتوجر ماءَ الكظيمة الشرب

جمع شروب ومن المجاز كظم الغيظ وعلى الغيظ وهو كاظم وكظمه الغيظ والغمّ : أخذ بنفسه فهو كظيم ومكظوم .

(حرضاً) : في المصباح : « حرض حرضاً من باب تعب أشرف على الهلاك فهو حرض » ويستوي فيه الواحد وغيره أي المثنى والمجموع والمذكر والمؤنث .

الاعراب :

(ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق) ارجعوا فعل أمر وفاعل والى أبيكم متعلقان بارجعوا ، فقولوا عطف على ارجعوا

ويا أبانا منادى مضاف وان واسمها وجملة سرق خبرها • (وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين) الواو حرف عطف وما نافية وشهدنا فعل وفاعل وإلا أداة حصر وبما متعلقان بشهدنا وجملة علمنا صلة وما عطف أيضاً وما نافية وكان واسمها وللغيب متعلقان بحافظين وحافظين خبر كنا • (واسأل القرية التي كنا فيها) الواو عاطفة واسأل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والقرية مفعول به وسؤال القرية يعني سؤال أهلها كما يأتي في باب البلاغة والتي صفة وجملة كنا صلة وكان واسمها وفيها خبرها • (والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون) والعير عطف على القرية والتي صفة وجملة أقبلنا صلة وفيها متعلقان بأقبلنا وإنا عطف وان واسمها واللام المزحلقة وصادقون خبرها • (قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً) قال مرتب على محذوف أي فرجعوا فقال ، وبل حرف اضراب وسولت فعل ماض والتاء للتأنيث ولكم جار ومجرور متعلقان بسولت وأنفسكم فاعل وأمراً مفعول به • (فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم) الفاء عاطفة وصبر خبر لمبتدأ محذوف أي صبري وجميل نعت وعسى من أفعال الرجاء والله اسمها وان وما في حيزها خبرها وبهم متعلقان بيأتيني وجمع لأن المفقودين صاروا ثلاثة وهم يوسف وبنيامين وكبير الأخوة الذي آثر الاقامة بمصر وجميعاً حال وان واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والعليم الحكيم خبران لأن أو للضمير والجملة خبر إن • (وتولى عنهم وقال يا أسفاً على يوسف) وتولى الواو عاطفة وتولى فعل ماض أي أعرض عنهم وعنهم متعلقان بتولى وقال عطف على تولى ويا حرف نداء وأسفاً منادى مضاف لياء المتكلم المنقلبة ألفاً والأصل يا أسفي وقد تقدم بحث المنادى المضاف لياء المتكلم وعلى يوسف متعلقان بالأسف وخص يوسف بالذكر للدلالة على تمادي الأسف عليه وان الرزء به كان

ولا يزال غضاً طرياً وان رزأه بأخويه جدد حزنه عليه لأنه قاعدة أحزانه ومصائبه على حد قول ابن الرومي في رثاء ابنه الأوسط :

أرى أخويك الباقيين كليهما يكونان للأحزان أورى من الزند

ولعل ابن الرومي رمق هذه البلاغة العالية .

(وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم) وابيضت عيناه فعل وفاعل وإذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض ومن الحزن جار ومجرور متعلقان بابيضت ، فهو الفاء عاطفة وهو مبتدأ وكظيم خبره . (قالوا : تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين) قالوا فعل وفاعل والتاء تاء القسم ولفظ الجلالة مجرور بتاء القسم والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم وتفتأ أي لا تفتأ من أخوات كان واسمها مستتر تقديره أنت وجملة تذكر خبرها ويوسف مفعول به وحتى حرف غاية وجر وتكون منصوب بأن مضمرة بعد حتى وحرضاً خبر تكون واسم تكون مستتر تقديره أنت وأو حرف عطف وتكون فعل مضارع ناقص واسمها أنت ومن الهالكين خبرها . (قال إنما أشكو بثي وحزني الى الله) إنما كافة ومكفوفة وأشكو بثي فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ، وحزني عطف على بثي والى الله متعلقان بأشكو ، والبث : ما يرد على الانسان من الأشياء التي يعظم حزن صاحبها بها حتى لا يقدر على اخفائها كذا قال أهل اللغة وهو مأخوذ من بثثته أي فرقته فسميت المصيبة بثاً مجازاً قال ذو الرمة :

وقفت على ربع لميّة ناقتي فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثه تكمني أحجاره وملاعبه

(وأعلم من الله مالا تعلمون) وأعلم عطف على أشكو ، ومن الله متعلقان بأعلم ، أي أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به ، وما مفعول به وجملة لا تعلمون صلة ٠

البلاغــة :

١ – في قوله تعالى « واسأل القرية » مجاز مرسل إذ المراد أهلها والعلاقة المحلية وقد تقدمت نظائر كثيرة لهذا المجاز وأراد بالقرية مصر أي أرسل الى أهلها فاسألهم عن تفاصيل هــذه القصة وكذلك قوله « والعير التي أقبلنا فيها » أي أصحاب العير ٠

٢ – في قوله « تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً » فن أصيل في البلاغة وهو مايسّمى « ائتلاف اللفظ مع المعنى » وهو نسمة الحياة في الفن ، وعموده الذي يقوم عليه ويتلخص بأن تكون ألفاظ المعنى المراد متلائمة بعضها مع بعض ليس فيها لفظة نابية أو قلقة عن أخواتها بحيث يمكن استبدالها ولا بد من ملاحظة أشياء ثلاثة في هذا الصدد وهي :

آ – اختيار الألفاظ المفردة وحكم ذلك حكم اللآلىء المبدّدة فانها تتخير وتنتقى قبل النظم ٠

ب – نظم كل كلمة مع أختها المشكلة لها ٠

جـ – الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه وهذا الموضع جم الشعاب دقيق المسلك يضل عنه الكثيرون إلا من أشرقت نفوسهم بضياء المعرفة و اليقين وسنورد أمثلة منه قبل أن نتناول الآية

فمن ذلك قوله تعالى : « وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » وقوله تعالى « رب إني نذرت لك مافي بطني محرراً » فاستعمل الجوف في الأولى واستعمل البطن في الثانية ولم يستعمل الجوف موضع البطن ولا البطن موضع الجوف واللفظتان سواء في الدلالة وهما ثلاثيتان في عدد واحد ووزنهما واحد أيضاً ولو استعمل هذه موضع تلك لكان الكلام نافراً قلقاً وعلى هذا ورد قول الأعرج من أبيات الحماسة :

نحن بنو الموت إذا الموت نزل لا عار بالموت إذا حم الأجل

الموت أحلى عندنا من العسل

وقال أبو الطيب المتنبي :

إذا شئت حفت بي على كل سابح رجال كأن الموت في فمها شهد

فهاتان لفظتان هما العسل والشهد وكلاهما حسن مستعمل لا يشك في حسنه واستعماله وقد وردت لفظة العسل في القرآن دون لفظة الشهد لأنها أحسن منها ومع هذا فإن لفظة الشهد وردت في بيت أبي الطيب فجاءت أحسن من لفظة العسل في بيت الأعرج .

ويجمل بنا لإيضاح هذا الفن واظهار خصائصه الرفيعة اقتباس فصل ممتع لابن الأثير في كتابه « المثل السائر » قال : « وقد رأيت جماعة من الجهال إذا قيل لأحدهم إن هذه اللفظة حسنة وهذه قبيحة أنكر ذلك وقال : كل الألفاظ حسن والواضع لم يضع إلا حسناً ومن يبلغ جهله إلى أن لا يفرق بين لفظة الغصن ولفظة العسلوج وبين لفظة المدامة ولفظة الإسفنط وبين لفظة السيف ولفظة الخنشليل وبين لفظة الأسد ولفظة الفدوكس فلا ينبغي أن يخاطب ولا يجاب بجواب بل

يترك وشأنه كما قيل : اتركوا الجاهل ولو ألقي الجعر في رحله وما مثاله في هذا المقام إلا كمن يسوي بن صورة زنجية سوداء مظلمة السواد ، شوهاء الخلق ، ذات عين محمرة ، وشفة غليظة كأنها كلوة ، وشعر قطط كأنه زبيبة وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة ذات خد أسيل ، وطرف كحيل ، ومبسم كأنما نظم من أقاح ، وطرة كأنها ليل على صباح ، فإذا كان انسان من سقم النظر أن يسوي بين هذه الصورة وهذه فلا يبعد أن يكون به من سقم الفكر أن يسوي بين هذه الألفاظ وهذه ولا فرق بين النظر والسمع في هذا المقام » •

أقسام الألفاظ : والواقع أن الألفاظ تنقسم في الاستعمال الى جزلة ورقيقة ولكل منها مواضع يحسن استعمالها فيه فالجزل يستعمل في مواقف الشدة وقوارع التهديد والتخويف، والرقيق يستعمل في وصف تباريح الأشواق ، ولوعة الفراق ، والآية التي نحن بصددها من أروع الأمثلة على ذلك فإنه سبحانه لما أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة الى أخواتها وهي التاء لأن الواو والباء أكثر دوراناً على الألسنة منها أتى سبحانه بأغرب صيغ الأفعال الناقصة التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار بالنسبة الى أخواتها وهي تفتأ وحذف منها حرف النفي زيادة في الاغراب ولأن المقام لا يلتبث بالاثبات على حد قول امرىء القيس :

فقلت : يمين الله أبرح قاعدا
ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

وكذلك لفظ « حرضاً » أغرب من جميع أخواتها من ألفاظ الهلاك فاقتضى حسن النظم وحسن الوضع فيه أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة والاستعمال توخياً لحسن الجوار ورغبة في

ائتلاف المعاني بالألفاظ ولتتعادل الألفاظ في الوضع وتتناسب في النظم وسيأتي المزيد من هذه الملاءمة فيما يأتي •

٣ ـ الجناس : وهو اشتراك اللفظتين في الاشتقاق وقد وقع جميلا جداً في قوله : « يا أسفا على يوسف » •

الفوائـد :

١ ـ اشترط النحاة في اعمال زال ماضي يزال لا يزول ، وفتىء ، وبرح ، وانفك ، أن يتقدمها نفي أو نهي أو دعاء بـ «لا» خاصة في الماضي أو بلن في المضارع ، وانما اشترطوا فيها ذلك لأنها بمعنى النفي فإذا دخل عليها النفي انقلبت اثباتاً فمعنى ما زال زيد قائماً هو قائم فيما مضى وقد يحذف حرف النفي كما تقدم في الاعراب وكالآية الكريمة « تالله تفتأ تذكر يوسف » على أن حذف النافي لا ينقاس إلا بثلاثة شروط وهي كونه مضارعاً وكونه جواب قسم وكون النافي «لا» ومن أمثلة النفي بعد الاسم قوله :

غير منفك أسير هوى ... كل وانٍ ليس يعتبر

ومن أمثلة النفي بالفعل الموضوع للنفي قوله :

ليس ينفك ذا غنى واعتزاز ... كل ذي عفة مقل قنوع

ومن أمثلة النفي بالفعل العارض للنفي قوله :

قلما يبرح اللبيب الى ما ... يورث الحمد داعياً أو مجيبا

فإن قلما خلع منه معنى التقليل وصير بمعنى ما النافية •

ومن أمثلة النفي بالفعل المستلزم للنفي قولهم : أبيت آزال استغفر الله أي لا أزال ووجهه أن من أبى شيئاً لم يفعله والإباء مستلزم للنفي •

ومثال النهي قوله :

صاح شمر ولا تزل ذاكر المو   ت فنسيانه ضـــلال مبـــين

ومثال الدعاء قول ذي الرمة :

ألا يا اسلمي يادار مي على البـــلى

ولا زال منهـــلاً بجرعائك القطر

٢ ــ لمحة عن فعل الأمر :

الأمر ينقسم الى قسمين : لغوي وهو طلب ايجاد الفاعل من الفعل في الخارج على سبيل الاستعلاء وقيل اقتضاء فعـــل غير كفٍ على جهة الاستعـــلاء والمراد بالاقتضاء ما يقوم بالنفس من الطلب لأنه الأمر في الحقيقة وتسمية الصيغة به مجاز وقيل غير كف ليقع الاحتراز من النهي على جهة الاستعلاء ليقع الاحتراز من الدعاء وأورد على طرده كف لأنه اقتضاء فعل غير كف فلا يكون هذا أمراً لكنه أمر فـــلا يكون مطردا وعلى عكسه لا تكف لأنه اقتضاء فعل غير كف فيكون أمراً لكنه ليس بأمر فـــلا يكون منعكساً • وصناعي وهو ما حصل به ذلك أي طلب ايجاد الفعل والذي حصل به ذلك هو الصيغة التي يطلب بها الفعل من الفاعـــل وفعل الأمر بني عـــلى السكون لأنه. الأصل في البناء وصيغته

مأخوذة من المضارع فإذا أردت أن تصوغ فعل أمر حذفت حرف المضارعة ونظرت الى ما يليه فإن كان متحركاً صغت مثال الأمر على صيغته وحركته فتقول مثلاً من يشمر شمر ومن يدحرج دحرج ومن يثب ثب ومن يصل صل وإن كان الذي يلي حرف المضارعة ساكناً اجتلبت له همزة وصل ليتوصل الى النطق بأول الفعل ساكناً فتقول مثلاً من يضرب اضرب ومن مثل ينطلق انطلق ومن مثل يستخرج استخرج لأن الابتداء بالساكن في النطق مستحيل . وما أحسن قول السراج الوراق :

يا ساكناً قلبي ذكرتك قبله أرأيت قبلي من بدا بالساكن

وجعلته وقفاً عليك وقد غدا متحركاً بخلاف قلب الآمن

وبذا جرى الاعراب في نحو الهوى

فإليك معذرتي فلست بلاحن

وسواء كان الفعل ثلاثياً أو خماسياً أو سداسياً ، وشذ من هذه القاعدة فعلان فلا تدخل عليهما همزة وهما خذ وكل وجوز في فعلين إلحاق الهمزة وحذفها وهما مر وسل وقد نطق القرآن بهما فقال تعالى : « سل بني إسرائيل » « واسأل القرية » وتقول: مره بكذا وأمره بكذا، فأما حركة الهمزة المجتلبة فإن كان الماضي رباعياً فانها مفتوحة في الأمر ، تقول من أكرم : أكرم ، واذا كان ثالث المضارع مضموماً فانها مضمومة في الأمر ، تقول في الأمر من قتل : اقتل ، وما عدا ذلك فهي مكسورة .

٣ ـ الكلام على « بل » :

بل : حرف عطف للاضراب عن الأول واثبات الحكم للثاني سواء كان ذلك الحكم ايجاباً أو سلباً واعلم أن للاضراب معنيين أحدهما ابطال الأول والرجوع عنه إما لغلط أو نسيان تقول في الايجاب : قام زيد بل عمرو وتقول في النفي : ما قام زيد بل عمرو كأنك أردت الإخبار عن عمرو فغلطت وسبق لسانك الى ذكر زيد فأتيت ببل مضرباً عن زيد ومثبتاً ذلك الحكم لعمرو والآخر ابطاله لانتهاء مدة ذلك الحكم وعلى ذلك يأتي في الكتاب العزيز نحو قوله : « بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل » كأنه انتهت القصة الأولى فأخذ في قصة أخرى وكذلك قوله : « أتأتون الذكران من العالمين » ثم قال : « بل أنتم قوم عادون » ولم يرد أن الأول لم يكن ، ومما ورد في ذلك شعراً قول رؤبة ابن العجاج :

قلت لزير لم تصله مريمه   هل تعرف الربع المحيل ارسمه

عفت عوافيه وطال قدمه   بل بلد ملء الفجاج قتمه

والزير بكسر الزاي الرجل الذي يخالط النساء ويملزحهن بغير شر أو به ومريم أي سميرته وفي القاموس : المريم التي تحب محادثة الرجال ولا تفجر قال الشاعر :

وزائرة ليلاً كما لاح بارق

تضوّع منها للكباء عبير

فقلت لها : أهلاً وسهلاً أمريم ؟

فقالت: نعم من أنت ؟ قلت لها : زير

يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾

اللغـــة :

(فتحسّسوا) : التحسّس : طلب الخير بالحاسة وهو قريب من التجسس الـذي بالجيم وقيـل : ان التحسس بالحاء يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس ولهذه المادة خواص عجيبة فهي تتناول جميـع خوالج الناس وهواجس نفوسهم ، وتشير إلى احداث التأثير في الأشياء يقال :

حسه يحسه من باب نصر قتله واستأصله ، وحسّ الدابة نفض التراب عنها بالمحسة ، وحسّ البرد الزرع أحرقه ، وحسّ اللحم جعله على الجمر ، وحسن النار ردّها على خبز الملة والشواء من نواحيه لينضج ، وحس يحس حساً من باب تعب الشيء وبالشيء علمه وشعر به وأدركه، وحس يحس من بابي تعب وجلس بالخير أيقن به ، وحس لفلان رق له ، وتحسّس تسمع وتبصّر ، وتحسّس الخبر سعى في ادراكه ، وتحسّس الشيء تعرّفه وتطلّبه بالحاسة ، وتحسّس منه تخبر خبره ، والحاسة مؤنث الحاس والقوة النفسانية المدركة ، والحواس الخمس هي السمع والبصر والشم والذوق واللمس ، وحواسّ الأرض خمس وهي البرْد والبَرَد والريح والجراد والمواشي أخذت من حسّ الزرع يقال مرت بالقوم حواسّ أي سنون شداد ، والحسيس الصوت الخفي والحركة والقتيل ، وحساس الحمى بالكسر مسها وأول ما يبدأ منها ، والحسي ما يدرك بالحس الظاهر وضده العقلي ، أما مادة جس فتشابهها مشابهة غريبة يقال جسّه يجسه من باب نصر ، واجتسّه مسه بيده ليتعرفه ، وجسّ الأرض وطئها ، وجسه بعينه أحدّ النظر اليه ليتبينه ، وجسّ وتجسّس واجتسّ الأخبار والأمور بحث عنها ، والجاس وجمعه جواسيس ، والجسّاس الذي يأتي بالأخبار ، وجواسّ الانسان هي حواسه الخمس والواحدة جاسة ، والمجسّ والمجسّة موضع اللمس قال دوقلة :

ولهاهن بض ملاذهن رابي المجسّة حشوه وقد

وفلان ضيق المجسّ والمجسّة أي غير رحب الصدر والمجسة أيضاً هي الموضع الذي يجسه الطبيب .

(مزجاة) : أي بضاعة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها من أزجيته اذا دفعته وطردته ، والريح تزجي السحاب ، وفي المصباح : زجيته بالتثقيل دفعته برفق ، والريح تزجي السحاب تسوقه سوقاً رفيقاً . يقال أزجاه بوزن أرضاه وزجاه بالتثقيل كزكاه ، وفي القاموس : زجاه ساقه ودفعه .

(تثريب) : عتب ، وفي المصباح : ثرب عليه يثرب من باب ضرب عتب ولام ، وبالمضارع بياء الغيبة سمي رجل من العمالقة وهو الذي بنى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فسميت المدينة باسمه ، وقاله السهيلي وثرّب بالتشديد مبالغة وتكثير ومنه قوله تعالى « لا تثريب عليكم اليوم » والثرب وزان فلسٍ شحمٌ رقيق على الكرش والأمعاء . وقال الرازي: التثريب التعيير والاستقصاء في اللوم. وقال الزمخشري: « وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلاً للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه » .

الاعراب :

(يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) يا بني تقدم اعرابها واذهبوا فعل أمر وفاعل والفاء عاطفة وتحسسوا فعل أمر وفاعل ومن يوسف متعلقان بتحسسوا وأخيه عطف على يوسف. (ولا تيئسوا من روح الله) الواو عاطفة ولا ناهية وتيئسوا مجزوم بلا والواو فاعل ومن روح الله جار ومجرور متعلقان به وسيأتي بحث هذه الاستعارة في باب البلاغة. (إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون)

ان واسمها وجملة لا ييئس خبرها ومن روح الله متعلقان بييئس وإلا أداة حصر والقوم فاعل والكافرون صفة • (فلما دخلوا عليه) فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر فلما • • الخ، والفاء عاطفة ولما ظرفية حينية أو رابطة ودخلوا فعل وفاعل وعليه متعلقان بدخلوا • (قالوا ياأيها العزيز مسّنا وأهلنا الضر) جملة قالوا لا محل لها ويا أيها العزيز نداء تقدم اعرابه والعزيز بدل من أي ، ومسنا فعل ومفعول به وأهلنا عطف على نا أو مفعول معه والضر فاعل • (وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل) الواو عاطفة وجئنا فعل وفاعل وببضاعة متعلقان بجئنا ومزجاة صفة ، فأوف الفاء عاطفة وأوف فعل أمر ولنا متعلقان بأوف والكيل مفعول به • (وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين) وتصدق عطف على فأوف وعلينا متعلقان بتصدق وان واسمها وجملة يجزي خبرها والمتصدقين مفعول به • (قال : هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) هل حرف استفهام وعلمتم فعل وفاعل وما اسم موصول مفعول به ويجوز أن تكون مصدرية أي فعلكم بيوسف والجار والمجرور متعلقان بفعلتم وأخيه عطف على يوسف وإذ ظرف متعلق بفعلتم أي فعلتم ذلك وقت جهلكم وأنتم مبتدأ وجاهلون خبر والجملة الاسمية مضاف اليها الظرف ، والاستفهام يفيد التعظيم والتهويل أي ان الأمر الذي ارتكبتموه كان بمثابة لا يقدم عليه فيها أحد ولكنكم أقدمتم غير آبهين للعواقب ولا عارفين بما يئول اليه أمر يوسف من الخلاص من الجب ثم ولاية الملك وسيأتي نص كتاب يعقوب الذي قدموه إليه في باب الفوائد • (قالوا أئنك لأنت يوسف) قالوا فعل وفاعل ، أئنك الهمزة للاستفهام التقريري وان واسمها واللام المزحلقة وأنت مبتدأ ويوسف خبر والجملة خبر ان ويجوز أن يكون الضمير وهو أنت فصلاً وقد تقدم • (قال : أنا

يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا) أنا مبتدأ ويوسف خبر وأظهر الاسم فقال أنا يوسف تعظيماً لما وقع به من ظلم أخوته كأنه قال: انا المظلوم المستحلّ منه المحرّم المراد قتله ، وهذا مبتدأ وأخي خبر وقد حرف تحقيق ومنّ فعل ماض والله فاعل وعلينا متعلقان بمنّ والجملة حالية (٠انه من يتق الله ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) ان واسمها وهو ضمير الشأن والحال ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويتق فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ويصبر عطف عليه ، فإنه : الفاء رابطة للجواب وان واسمها وجملة لايضيع خبرها وأجر المحسنين مفعول بهوجملة الشرط وجوابه خبر ان٠ (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) التاء تاء القسم ولفظ الجلالة مجرور بها والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره نقسم واللام جواب القسم وقد حرف تحقيق وآثرك الله فعل ومفعول به وفاعل وعلينا متعلقان بآثرك ٠ (وإن كنا لخاطئين) الواو عاطفة وان مخففة من اثقيلة مهملة وكان واسمها واللام الفارقة وخاطئين خبر كنا ٠ (قال لا تثريب عليكم اليوم) جملة لا تثريب مقول القول ولا نافية للجنس وتثريب اسمها وعليكم خبرها واليوم ظرف متعلق بمحذوف خبر ثان أو بمتعلق الخبر وهو عليكم وعلى كل فالوقف عليه ولا يجوز تعليق الظرف بالمصدر وهو التثريب لأنه يصير شبيهاً بالمضاف ومتى كان كذلك أعرب ونون نحو لا خيراً من زيد عندك ، والعجب من الزمخشري إذ أجاز تعليق الظرف بالتثريب وهي زلة لا أدري كيف وقع فيها ؟ ومن جهة ثانية فصل بينه وبين معموله على حد قوله بقوله « عليكم » ويجوز تعليق الظرف بالفعل الذي بعده ٠ (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) جملة دعائية بمثابة التعليل ويغفر الله فعل وفاعل ولكم متعلقان بيغفر وهو مبتدأ وأرحم الراحمين خبر ٠

البلاغـة :

استعارة الروح للرحمة وايضاحه ان الروح مصدر بمعنى الرحمة وأصله استراحة القلب من غمــه ، والمعنى لا تقنطوا من راحة تأتيكم من الله •

الفوائــد :

روى التاريخ أن اخوة يوسف لما قالوا ليوسف « مسنا وأهلنا الضر » وتضرعوا اليه ارفضت عيناه وقيل أدوا اليه كتاب يعقوب اليه وهذا نصه نثبته لما فيه من عاطفة مضطرمة واحساس فياض :

من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر ، أما بعد فإنّا أهل بيت موكل بنا البلاء، أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي الى النار ليحرق فجعلها الله عليه برداً وسلاماً وأما أبي فوضعت المدية في قفاه ليذبح ففـداه الله وأما أنا فكان لي ابن وكان أحبّ أولادي إلي فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطّخاً بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا فقالوا انه سرق وانك حبسته وإنّا أهل بيت لانسرق ولا نلد سارقاً فإن رددته إليّ وإلا دعوت عليك دعوة تبلغ السابع من ولدك والسلام •

فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتماسك وعيل صبره ، وعلى افتراض عدم صحة هذا الكتاب فنفحة العاطفة تدعو لاثباته •

ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

اللغــة :

(فصلت العير) : خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلــد فصولاً إذا انفصل منه وجاوز حيطانه وفي المختار : وفصل من الناحية خرج وبابه جلس ، وللفاء والصاد فاء وعيناً للكلمــة سر غريب : إنهما تدلان على الخروج والمزايلة يقال : فصّ من كذا فصّاً وافتصّ كذا من كذا انتزعه وافترزه وبابه ضرب وفصّ الجرح يفص من باب ضرب أيضاً سال بما فيه وفصّ العرق رشح وفصّ الولــد بكى وفصصت الشيء من الشيء فانفصّ أي فصلته فانفصل وفصح يفصح من باب فتح الصبح فلاناً بان له وغلبه ضوءُه وفَصح يفصح فصاحة من باب ظرُف جادت لغته وحسن منطقه فهو فصيح والفصاحة مصدر والبيان وخلوص الكلام من التعقيد ويوصف بها المتكلم والكلام والكلمــة وفضح يفضح من باب فتح فضحاً عن الأمر تغابى عنه وهو يعلمه فكأنه خرج عن عهدته وألقى عنه تبعاته ، وفصد يفصد من باب ضرب فصْداً المريضَ شق عرقه وفصد له عطــاء قطعه له وافتصد العرق شقه وفي المثل « لم يحرم من فصد له » أي لم يخب من نال بعض حاجته وفصع التمرة يفصعها من باب فتح عصرها باصبعيه حتى تنقشر وفصع عمامته عن رأسه حسرها وفصع الشيء دلكه باصبعيه ليلــين فينفتح عما فيه وفصم يفصم فصماً من باب ضرب الدملــج ونحوه كسره من غير أن تنفرق كسره وفصم الشيء قطعه وفُصم البيت بالبناء للمجهول انهدم وكانت عروة قد فصمت وفصى يفصي من باب ضرب الشيء فصياً نزعه وأزاله وفصّى اللحم من أو عن العظــم تفصية خلصه منه وأبانه عنه وتفصى الرجل من الديون خرج منها . وهذا من الأسرار التي تميزت بها لغتنا الشريفة .

(تفندون) : التفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها ، وفي المختار الفند بفتحتين الكذب وهو أيضاً ضعف الرأي من الهرم والفعل منه أفند والتفنيد اللوم وتضعيف الرأي . وفي القاموس : الفند بالتحريك الخرق وانكار العقل لهرم أو مرض والخطأ في القول والرأي والكذب كالافناد ولا تقل عجوز مفندة لأنها لم تكن ذات رأي أبداً وقال دعبل :

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم   الله يعلم اني لم أقل فندا
إني لأغمض عيني ثم أفتحها   على كثير ولكن لا أرى أحدا

(البدو) : البادية والبدو هو البسيط من الأرض يبدو الشخص فيه من بعد يعني يظهر ، والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب وأولاده أصحاب ماشية فسكنوا البادية ، وفي القاموس والتاج : البدو والبادية والبداوة الصحراء والجمع باديات وبواد والبدو أيضاً سكان البادية من القبائل العربية الرحّل وهم ينقسمون الى عدة قبائل والنسبة الى البدو بدوي بسكون الدال وبدوي بفتحها والأنثى بدوية والجمع بداوي" وفي الاساس : « لقد بدوت يا فلان أي نزلت البادية وصرت بدوياً ، وما لك والبداوة ؟ وتبدّى الحضري ، ويقال : أين الناس ؟ فتقول قد بدوا أي خرجوا الى البدو ، وكانت لهم غنيمات يَبْدون إليها . وقال الأصمعي : الحضارة والبداوة بالفتح وقال أبو زيد : بالكسر والحضارة الإقامة في الحضر والبداوة الإقامة في البدو وللمتنبي مقايسة بين الحضارة والبداوة جميلة نثبتها فيما يلي :

كـم زورة لك في الاعراب خافيـة
أدهى وقد رقـدوا من زورة الذيب

أزورهم وسواد الليـل يشفع لي
وأنثني وبيـاض الصبـح يغري بي

قد وافقوا الوحش في سكنى مراتعها
وخالفوهـا بتقويض وتطنيـب

يقول في هذا البيت واصفاً حياة البدو : انهم يسكنون البدو فهم يجرون مجرى الوحوش في حلولها المراتع إلا أنهم لهم خيـام يحطونها وينصبونها في الرحيل وفي الاقامة والوحش لا خيام لها فقد خالفوها في هذا ثم استرسل في وصفه :

ما أوجـه الحضـر المستحسناتُ به
كأوجـه البـدويات الرعابيب

حسن الحضـارة مجلوب بتطريـة
وفي البـداوة حسن غـير مجلوب

أين المعـيز من الآرام ناظـرة
وغـير ناظرة في الحسن والطيـب

أفـدى ظباء فـلاة ما عرفن بهـا
مضغ الكـلام ولا صبـغ الحواجيب

ولا برزن من الحمـــام مائلـــة

أوراكهـن صقيـــلات العراقيـب

يريد بظباء الفلاة نساء العرب وانهن فصيحات لا يمضغن الكلام ولا يصبغن حواجبهن كعادة نساء الحضر وهو يريـد أن حسنهن بغـير تطرية ولا تصنع ولا دخول حمام بل هو خلقة فيهن •

(نزغ) : أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الـدابة وحملها على الجري يقال نزغـه ونسغه إذا نخسه وفي المختـار : نزغ الشيطان بينهم أفسد وبابه قطع •

الاعراب :

(اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً) لا بد من تقدير محذوف يمهد لقوله وذلك انه سألهم عن أبيه فقالوا : ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي ، واذهبوا فعل أمر وفاعل وبقميصي يجوز أن يتعلق باذهبوا فتكون الباء للتعدية ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف حال أي اذهبوا معكم قميصي وهذا نعت أو بدل أو عطف بيان ، فألقوه الفـاء عاطفة وألقوه فعل وفاعل ومفعول به وعلى وجه أبي متعلقان بألقوه ويأت فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الأمر والفاعل مستتر تقديره هو وبصيراً حال واختار الزمخشري أن يكون خبراً ليأت عـلى تضمينه معنى يصر بصيراً ويشهد له : فارتد بصيراً • (وائتوني بأهلكم أجمعين) وائتوني عطف على اذهبوا وبأهلكم متعلقان بائتوني وأجمعين تأكيد للأهل أي بنسائكم وأولادكم • (ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) لما ظرفية أو رابطة وفصلت العـير فعـل وفاعل وان

واسمها واللام المزحلقة وجملة أجد خبر إن وريح يوسف مفعول به ولولا حرف امتناع لوجود وأن وما في حيزها مبتدأ خبره محذوف وحذفت ياء المتكلم من تفندون للتخفيف ولمراعاة الفواصل أما تقدير الخبر لولا تفنيدكم موجود وجواب لولا محذوف أي لصدقتموني • (قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم) التاء تاء القسم والله ومجرور بتاء القسم والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم وإن واسمها واللام المزحلقة وفي ضلالك خبر ان والقديم صفة • (فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً) لما ظرفية حينية أو رابطة وان زائدة وسيأتي بحث مفيد عنها في باب الفوائد وجاء البشير فعل وفاعل وجملة ألقاه لا محل لها والهاء مفعول به وعلى وجهه متعلقان بألقاه ، فارتد الفاء عاطفة وارتد فعل ماض فاعله هو وبصيراً حال ، أو ارتد فعل ماض ناقص يعمل عمل صار وبصيراً خبرها • (قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله مالا تعلمون) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وأقل مضارع مجزوم بلم والفاعل مستتر تقديره أنا ولكم متعلقان بأقل وان واسمها وجملة أعلم خبرها ومن الله جار ومجرور متعلقان بأعلم وما موصول مفعول به وجملة لا تعلمون صلة • (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) يا أبانا منادى مضاف واستغفر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولنا متعلقان باستغفر وذنوبنا مفعول به وإن واسمها وجملة كنا خاطئين خبر إنا وكان واسمها وخاطئين خبرها • (قال : سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم) جملة سوف أستغفر مقول القول ولكم متعلقان بأستغفر وربي مفعول به وان واسمها وهو مبتدأ أو ضمير فصل والغفور الرحيم خبران لإن أو لهم والجملة الاسمية خبر ان • (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه) عطف على محذوف تقديره ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف وحاشيته لاستقبالهم ، ودخلوا فعل وفاعل وعلى

يوسف متعلقان بدخلوا وجملة آوى لا محل لها واليه متعلقان بآوى وأبويه مفعول به والظاهر أن دخولهم عليه كان في مضرب له في ضاحية البلد ولذلك عطف • (وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) وادخلوا مصر فعل وفاعل ومفعول به وإن شرطية وشاء فعل الشرط والجواب محذوف لدلالة الكلام عليه وجملة الشرط اعتراضية بين الحال وصاحبها فآمنين حال من الواو • (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً) ورفع أبويه فعل وفاعل مستتر ومفعول به وعلى العرش متعلقان برفع وخروا فعل وفاعل وله متعلقان بخروا وسجداً حال • (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) يا أبت تقدم اعرابها وهذا مبتدأ وتأويل خبر ورؤياي مضاف اليه ومن قبل حال • (قد جعلها ربي حقاً) قد حرف تحقيق وجعلها ربي فعل وفاعل وحقاً مفعول ثان والجملة حال مقدرة أو مقارنة • (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن) الواو عاطفة وقد حرف تحقيق وأحسن فعل ماض وبي متعلقان بأحسن وأحسن أصله أن يتعدى بإلى وقد يتعدى بالباء كما يقال أساء اليه وبه قال كثير :

أسيئي بنا أو أحسني لاملومة لعزة من أعراضنا ما استحلت

قال ابن هشام معناها الغاية أي إليّ وقيل ضمن أحسن معنى لطف فعداه بالباء كما تقول : لطف الله بك فالباء حينئذ للالصاق لأن اللطف ملتصق وقائم بالمتكلم والتضمين شائع وهو اشراب الكلمة معنى آخر ، وإذ متعلق بأحسن أيضاً وجملة أخرجني مضافة والفاعل مستتر والياء مفعول به ومن السجن جار ومجرور متعلقان بأخرجني • (وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) بكم متعلقان بجاء ومن البدو متعلق به أيضاً ومن بعد حال وان وما في حيزها مضافة للظرف والشيطان فاعل نزغ وبيني ظرف متعلق بنزغ وبين عطف

على الظرف الأول واخوتي مضاف الى بين • (إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم) ان واسمها وخبرها ولما متعلقان بلطيف أي لطيف التدبير لأجله رفيق ، وجملة يشاء صلة وانه ان واسمها وهو ضمير فصل أو مبتدأ والعليم الحكيم خبران لإن أو لهو وقد تقدمت له نظائر • (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث) رب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وحرف النداء محذوف وقد حرف تحقيق وآتيتني فعل وفاعل ومفعول به ومن الملك : من تبعيضية وهي ومجرورها صفة لمفعول به محذوف أي آتيتني شيئاً عظيماً من الملك وقيل تبيينية فتتعلق بآتيتني ، وعلمتني عطف على آتيتني ومن تأويل الأحاديث متعلقان بعلمتني • (فاطر السموات والأرض) يجوز أن يكون نعتاً لرب أو بدلاً منه ويجوز أن يكون منادى وحرف النداء محذوف ولعله أولى والسموات مضاف اليه • (أنت وليي في الدنيا والآخرة) أنت مبتدأ ووليي خبر وفي الدنيا حال والآخرة عطف على الدنيا • (توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) فعل دعاء والنون للوقاية والياء مفعول به ومسلماً حال وألحقني عطف على توفني وبالصالحين متعلقان بألحقني •

الفوائد :

(أن) حرف مصدري ينصب المضارع ويؤول مع ما في حيزه بمصدر يعرب حسب موقعه ، وتكون مخففة من أن فتقع بعد فعل اليقين والظن وما شابهه ، ومفسرة وهي التي تقع بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه نحو « فأوحينا إليه أن اصنع الفلك » وزائدة للتوكيد كالآية « فلما أن جاء البشير » قال ابن هشام : « ولا معنى

لأن الزائدة غير التوكيد كسائر الزوائد » وقال ابن الأثير في المثل السائر : « وأما قوله تعالى « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه » فإنه إذا نظر في قصة يوسف عليه السلام مع اخوته منذ ألقوه في الجب والى أن جاء البشير الى أبيه عليه السلام وجد أنه كان ثم إبطاء بعيد وقد اختلف المفسرون في طول تلك المدة ولو لم يكن ثم مدة بعيدة وأمد متطاول لما جيء بأن بعد لما وقبل الفعل بل كانت تكون الآية : فلما جاء البشير ألقاه على وجهه ، وهذه دقائق ورموز لا تؤخذ من النحاة لأنها ليست من شأنهم .

هذا وقد رد الصلاح الصفدي على ابن الأثير فقال : « قلت : هذا من جناية اعجاب المرء بعقله ألا تراه كيف يتصور الخطأ صواباً ثم أخذ يتبجح أنه ظفر بما لم يكن عند النحاة ولو أنه نظر الى هذه الفاء عقيب ماذا وردت ؟ هل هي عقيب قوله تعالى : « فلما ذهبوا به وأجمعوا على أن يجعلوه في غيابة الجب » والآيات المتعلقة بواقعة إلقائه الجب ، أو وردت عقيب قوله تعالى « اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وائتوني بأهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ، قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً » لعلم ابن الأثير أنه لا تراخي بين هذين البعدين ولا مدة مديدة لأن المدة إنما كانت بقدر المسافة التي توجه فيها البشير من مصر الى أن وصل الى أرض كنعان وهي مقام يعقوب عليه السلام وقدر مسافة ما بين ذلك اثنا عشر يوماً وما حولها ولهذا قال النحاة : إنها هنا زائدة ، ولابن الأثير من هذه الشناعات على النحاة وغيرهم أشياء أجبت عنها في كتابي » .

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

اللغـــة :

(حرصت) : في المصباح : حرص عليه حرصاً من باب ضرب إذا اجتهـد والاسم الحرص بالكسر وحرص عـلى الدنيا من باب ضرب وحرص حرصاً من باب تعب لغة إذا رغب رغبة مذمومة . وقال علماء اللغة : وحرص على الشيء وهو حريص من قوم حراص وما أحرصك على الدنيا والحرص شؤم ولا حرس الله من حرص ، وحرص القصار الثوب شقه وبثوبك حرصة وأصابته حارصة وهي من الشجاج التي شقت الجلد ، وحما محرّص : مكدّح ، وانهلّت الحارصة والحريصة وهي السحابة الشديدة وقـــع المطر وتحرّص وجـــه الأرض ، قال الحويدرة :

ظلمُ البطاح بها انهلال حريصة   فصفا النِّطافُ بها ُبعيد المُقلع

ورأيت العرب حريصة ، على وقع الحريصة .

(غاشية) : نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وفي القاموس والتاج الغاشية مؤنث الغاشي والغطاء والجمع غواش والداهية والقيامة وداء في الجوف وغاشية فلان خدمه وزواره .

الاعراب :

(ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) ذلك اسم اشارة في محل رفع مبتدأ ومن أنباء الغيب خبره وجملة نوحيه اليك حال ويجوز أن تكون في محل رفع خبراً ثانياً وفي هذه الآية الكريمة دليل لا يقبل الريب على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان أمياً لم يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى غير بلده الذي نشأ فيه ومع ذلك أتى بهذه القصة الطويلة مستجمعة شرائط القصة وخصائصها التي ابتدعت ذكرها العصور الحديثة . (وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) الواو عاطفة وكنت كان واسمها ولديهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كنت وإذ ظرف متعلق بما تعلق به الظرف أي بالاستقرار المحذوف وجملة أجمعوا مضافة للظرف والواو للحال وهم مبتدأ وجملة يمكرون خبر والجملة حالية . (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) الواو عاطفة وما نافية حجازية بذلك زيادة الباء في خبرها وأكثر الناس اسمها والواو اعتراضية ولو شرطية وحرصت فعل وفاعل والجملة معترضة بين ما الحجازية وخبرها وسيأتي في باب الفوائد بحث مسهب عن الجملة الاعتراضية والباء حرف جر زائد ومؤمنين مجرور بالباء لفظاً

في محل نصب خبر لما وجواب لو محذوف أي لم يؤمنوا . (وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين) الواو عاطفة وما نافية وتسألهم فعل مضارع وفاعل مستتر والهاء مفعول به وعليه حال لأنه كان في الأصل صفة لأجر والضمير يعود على القرآن ومن حرف زائد وأجر مجرور بمن لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به وإن نافية وهو مبتدأ وإلا أداة حصر وذكر خبر هو وللعالمين صفة لذكر . (وكأين من آية في السموات والأرض) تقدم القول مسهباً في كأين وكم الخبريتين، وهي في محل رفع مبتدأ ومن آية تمييز مجرور بمن وفي السموات والأرض صفة لآية . (يمرون عليها وهم عنها معرضون) جملة يمرون خبراً لمبتدأ وهو كأين وعليها متعلقان بيمرون ، وهم : الواو حالية وهم مبتدأ وعنها متعلقان بمعرضون ومعرضون خبرهم والجملة الاسمية حالية ويجوز أن يكون في السموات والارض خبراً لكأين وجملة يمرون صفة لآية (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) الواو عاطفة وما نافية ويؤمن أكثرهم فعل مضارع وفاعل وبالله متعلقان بيؤمن وإلا أداة حصر والواو حالية وهم مبتدأ ومشركون خبر والجملة نصب على الحال (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) الهمزة للاستفهام الانكاري وفيه معنى التوبيخ والتهديد والفاء عاطفة وأمنوا فعل وفاعل، وأن تأتيهم المصدر المؤول مفعول أمنوا والهاء مفعول تأتي وغاشية فاعل تأتي ومن عذاب الله صفة لغاشية (أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لايشعرون) أو تأتيهم عطف على تأتيهم السابقة والساعة فاعل تأتيهم وبغتة حال والواو حالية وهم مبتدأ وجملةلايشعرون خبر والجملة نصب على الحال.

البلاغة :

١ ـ في قوله « وما كنت لديهم » الآية فن يسمى في علم البيان بالاحتجاج النظري وبعضهم يسميه المذهب الكلامي وهو أن يلزم

الخصم ما هو لازم لهذا الاحتجاج وقد تقدم بحثه وفيه تهكم مرير بهم لأنه قد علم كل أحد أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما كان معهم فإذا أخبر به وقصه هذا القصص البديع لم تقع شبهة في أنه ليس منه •

٢ ــ في قوله تعالى « وما أكثر الناس ، ولو حرصت ، بمؤمنين » فن الاعتراض وقد تقدم ذكره وتحديده ونزيد هنا ما يتعلق ببحث بلاغي طريف وهو أن الاعتراض ينقسم الى قسمين أحدهما لا يأتي في الكلام إلا لفائدة وهو جار مجرى التوكيد والآخر أن يأتي في الكلام لغير فائدة فإما أن يكون دخوله فيه كخروجه منه وإما أن يؤثر في تأليفه نقصاً وفي معناه فساداً فالقسم الأول كهذه الآية ، وفائدة الاعتراض من وجهين أولهما تصوير حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمان قومه وهدايتهم وتهالكه على ردعهم عن غيهم وحرفهم عن مظان الخطأ ومواطن الضلال واستهدافه للأذى في سبيل هذا الحرص مع علمه بعدم جدوى ذلك واستحالة اقلاعهم عما هم فيه ، وثاني الوجهين تصوير لجاجتهم ، وجحود عقليتهم وإصرارهم على الغي الذي هم فيه شارعون وبه آخذون وعنادهم ومكابرتهم فيما لا تجدي معه الحجج والبراهين الثابتة المنيرة والقرآن الكريم حافل بهذا القسم وسيرد عليك في مواضعه إن شاء الله، وقد أوردنا طائفة من الشعر الجيد الذي زاده الاعتراض رقة وحلاوة وما أجمل قول ابن المعذب السعدي :

فلو سألت سراة الحي سلمى ... على أن قد تلونّ بي زماني
لخبرها ذوو أحساب قومي ... وأعدائي فكلٌّ قد بلاني

وهذا اعتراض بين لو وجوابها وهو من فائق الاعتراض ونادره وتقديره فلو سألت سراة الحي سلمى لخبرها ذوو أحساب قومي وأعدائي وفائدة قوله : « على أن قد تلونّ بي زماني » أي أنهم يخبرون عني على تلونّ الزمان بي يريد تنقل حالاته من خير وشر وليس

من عجمه على الزمان وأبان عن جوهره كغيره ممن لم يعجمه ولم يبن عنه .

أما القسم الثاني وهو الذي يأتي في الكلام لغير فائدة فهو ضربان:

الأول : يكون دخوله في الكلام كخروجه منه لا يكتسب به حسناً ولا قبحاً فمن ذلك قول النابغة الذبياني يرثي النعمان بن المنذر :

يقول رجال يجهلون خليقتي   لعل زياداً ـ لا أبا لك ـ غافل

فقوله : لا أبا لك من الاعتراض الذي لا فائدة فيه إلا إقامة الوزن وليس مؤثراً فيه حسناً ولا قبحاً ، ومثله قول زهير بن أبي سلمى :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش

ثمانين حولاً ، لا أبالك ، يسأم

والثاني : وهو الذي يؤثر في الكلام نقصاً وفي المعنى فساداً وسنورد أمثلة منه ليتفاداها العاقل فمن ذلك قول بعضهم :

فقد ، والشك ، بيّن لي ، عناء

بوشك فراقهم صرد يصيح

فإنه قدم « بوشك فراقهم » وهو معمول « يصيح » ويصيح صفة لصرد وذلك قبيح ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال هذا من موضع كذا رجل ورد اليوم وانما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل فكما لا يجوز تقديم الصفة على موصوفها فكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على موصوفها وفيه بعد ذلك من رديء الاعتراض الفصل بين « قد » والفعل الذي هو بيّن وذلك قبيح جداً لقوة اتصال

« قد » بما تدخل عليه من الأفعال حتى انهم يعدونها بمثابة الجزء من الفعل ولذلك أدخلت عليه لام القسم المراد بها توكيد الفعل كقوله تعالى: « ولقد علموا لمن اشتراه » هذا وفي البيت عيب ثالث وهو الفصل بين المبتدأ الذي هو الشك وبين الخبر الذي هو عناء بقولــه « بين لي » وعيب رابع وهو الفصل بين الفعل الذي هو بيّن وبين فاعله الذي هو حرد بخبر المبتدأ الــذي هو عناء فجاء معنى البيت ، كما تراه ، كأنه سورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها بعضها الى مكان بعض •

ومن هذا الضرب قول الآخر :

نظرت وشخصي مطلع الشمس ظله

إلى الغرب حتى ظله الشمس قد عقل

أراد نظرت مطلع الشمس وشخصي ظله الى الغروب حتى عقــل الشمس أي حاذاها وعلى هذا التقدير فقــد فصل بمطلع الشمس بين المبتدأ الذي هو شخصي وبين خبره الجملة وهو قوله «ظله الى الغرب» وأغلظ من ذلك وأسمج أنه فصل بين الفعل وفاعله بأجنبي وهــذا مما يبدو السكوت خيراً منه •

وحيث تكلمنا على الاعتراض من الناحية البلاغية الفنية فلا ندحة لنا عن أن نتناوله من ناحيته النحوية فقد قرر النحاة أنه يقع في مواضع:

١ ــ بين الفاعل ومرفوعه كقول بعضهم :

شجاك أظن ربــع الظاعنينا ولم تعبــأ بعــذل العاذلينا

فشجاك فعل ماض وفاعله ربع الظاعنينا وفصل بينهما بجملة أظن وقد أفادت هذه الجملة المعترضة التقوية لأنه حين يقــال شجاك ربع

الظاعنين يحتمل أن ذلك مظنون أو متوهم فأخبر أنه مظنون على أنه يحتمل في هذا البيت نصب ربع على أنه مفعول أول لأظن وجملة شجاك مفعوله الثاني وتقديره أظن ربع الظاعنينا شجاك •

٢ ــ بين الفعل ومفعوله المنصوب كقول الشاعر :

وبدلت ، والدهر ذو تبدل ، هيفا دبوراً بالصبا والشمأل

فبدلت فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل يعود على الريح والدهر ذو تبدل معترضة وهيفا مفعول بدلت أي ريحاً هيفا ومعناها حارة وبالصبا داخلة على المتروك كما هي القاعدة في الباء التي تقع بعد بدل والصبا الريح التي تهب من المشرق عند استواء الليل والنهار والشمأل هي الريح التي تأتي من ناحية القطب •

٣ ــ بين المبتدأ وخبره كقوله :

وفيهن ، والأيام يعثرن بالفتى نوادب لا يمللنه ونوائح

فقد فصل بين فيهن وهو خبر مقدم ونوادب وهو مبتدأ مؤخر بجملة والايام يعثرن بالفتى •

٤ ــ وبين ما أصله المبتدأ والخبر كقول عوف بن محلم :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان

فقوله وبلغتها جملة دعائية اعترضت بين اسم ان وخبرها وأصلهما مبتدأ وخبر •

٥ ــ بين الشرط وجوابه كقوله تعالى « فإن لم تفعلوا . ولن تفعلوا ، فاتقوا النار » وقد تقدم اعرابها .

٦ ــ بين القسم وجوابه كقول النابغة :

لعمري وما عمري عليّ بهين لقد نطقت بطلا عليّ الأقارع

فقد اعترض بجملة وما عمري علي بهين بين القسم وجوابه .

٧ ــ بين الموصوف وصفته كقوله تعالى « وانه لقسم لو تعلمون عظيم » فقد اعترض بجملة لو تعلمون بين الموصوف وهو قسم وصفته وهو عظيم .

٨ ــ بين الموصول وصلته كقول الشاعر :

واني لرام نظرة قِبَل التي لعلي وإن شطت نواها أزورها

فالعترض بين التي وصلتها وهي أزورها بلعلي وخبر لعل محذوف أي لعلي أفعل ذلك .

٩ ــ بين حرف التنفيس والفعل كقول زهير :

وما أدري وسوف أخال أدري أقــوم آل حصن أم نساء

وهذا الاعتراض في أثناء اعتراض آخر فإن سوف وما بعدها اعتراض بين أدري وجملة الاستفهام .

١٠ ــ بين حرف النفي ومنفيه كقوله :

فلا وأبي دهماء زالت عزيزة على قومها ما دام للزند قادح

وهناك مواضع أخرى ضربنا عنها صفحاً لندرة وقوعها ويمكن الرجوع اليها في المطولات .

قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

اللغــة :

(سبيلي) : السبيل الطريق أو ما وضح منها يذكر ويؤنث والجمع سبُل وسبْل وأسبُل وأسبِلة وسبول ، وابن السبيل : المسافر ،

وسبيل الله الجهاد وطلب العلم والحج وكل ما أمر الله به من الخير ويقال : ليس لك عليّ سبيل أي حجة تعتلّ بها وليس عليّ في كذا سبيل أي حرج ويقول المولّدون : ما على المحسن سبيل أي معارضة وسبيلنا أن تفعل كذا أي نحن جديرون بفعله .

الاعراب :

(قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)هذه مبتدأ وسبيلي خبر وجملة أدعو الله تفسير للسبيل والى الله متعلقان بأدعو ويجوز أن تكون الجملة حالية من الياء والأول أولى وعلى بصيرة متعلقان بأدعو أو بمحذوف حال من فاعل أدعو وأنا تأكيد لفاعل أدعو المستتر ومن اتبعني عطف على فاعل أدعو المستتر ويجوز أن يكون من مبتدأ وخبره محذوف أي ومن اتبعني يدعو أيضاً ويجوز أن يكون أنا مبتدأ مؤخراً وعلى بصيرة خبراً مقدماً ومن اتبعني عطفاً على أنا . (وسبحان الله وما أنا من المشركين) وسبحان مفعول مطلق لفعل محذوف أي وأسبح سبحان الله وما الواو حرف عطف وما نافية حجازية وأنا اسمها ومن المشركين خبرها . (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي اليهم من أهل القرى) ما نافية أرسلنا فعل وفاعل ومن قبلك حال وإلا أداة حصر ورجالا مفعول به وجملة نوحي اليهم صفة ومن أهل القرى صفة ثانية لرجالاً . (أفلم يسيروا في الأرض) الهمزة للاستفهام والفاء عاطفة على محذوف وقد تقدم تقريره ولم حرف نفي وقلب وجزم ويسيروا فعل مضارع مجزوم بلم وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بيسيروا . (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) الفاء عاطفة أو سببية وينظروا فعل مضارع إما مجزوم نسقاً على يسيروا أو منصوب

بأن مضمرة في جواب النفي وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان مقدماً وعاقبة اسم كان والذين مضاف لعاقبة ومن قبلهم متعلقان بمحذوف صلة الموصول • (ولـدار الآخرة خـير للذين اتقوا أفلا تعقلون) الواو حالية واللام لام الابتداء ودار مبتدأ والآخرة مضاف إليـه من إضافة الشيء الى نفسه لأن المراد بالـدار الجنة وهي نفس الآخرة واختار الزمخشري والبيضاوي ان يكون التقدير ولدار الساعة الآخرة أو الحال الآخرة فليس في الكلام على ذلك اضافة الشيء الى نفسه • وخير خبر دار وللذين متعلقان بخير وجملة اتقوا صلة وأفلا تعقلون تقدم اعرابه • (حتى إذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا) حتى حرف غاية وهي متعلقة بمحـذوف دل عليه الكلام كأنه قيـل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً فتراخى نصرهم حتى اذا استيئسوا من النصر ولا يلزم أن يكون الله وعدهم بالنصر في الدنيا بل كانوا يظنون ذلك ويرجونه لا عن اخبار ووحي وهذا خير ما قيل في هذه الآية التي اضطربت فيها أقوال العلماء والمفسرين والمعربين فيها اضطراباً شديداً وسياق الآية يرشد اليه وظنوا عطف عـلى استيئسوا وأن وما في حيزهـا سدت مسد مفعولي ظنوا وكذبوا بالبناء للمجهول أي ظنت الأمم أن الرسل اخلفوا ما وعدوا به من النصر وجملة كذبوا خبر أنهم • (جاءهم نصرنا فنجي من نشاء) جملة جاءهم لا محل لها لأنهم جواب إذا وجاءهم نصرنا فعل ومفعول به وفاعل والفاء عاطفة ونجي بالبناء للمجهول عطف عـلى جاءهم ومن نائب فاعـل ونشاء صلة • (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) الواو عاطفـة ولا نافية ويرد بالبناء للمجهول وبأسنا نائب فاعل وعن القوم متعلقـان بيرد والمجرمين صفة • (لقـد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) اللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق وفي قصصهم خبر مقـدم وعبرة مبتدأ مؤخر ولأولي صفـة لعبرة والألباب مضاف اليه

وسيرد في باب البلاغة مغزى هذه العبرة • (ما كان حديثاً يفترى) ما نافية وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر يعود على القرآن وحديثاً خبرها وجملة يفترى صفة لحديثاً • (ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) الواو حرف عطف ولكن مخففة مهملة وتصديق عطف على حديثاً وهو أولى من تقدير كان ، وقد تقدم مثل هذا في سورة يونس ، والذي مضاف اليه والظرف صلة وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة معطوفان على تصديق ولقوم صفة وجملة يؤمنون صفة لقوم •

البلاغة :

في سورة يوسف نفحة من القصص الرائع الذي استوفى شرائط القصة كما انتهت اليه أبحاث النقاد في العصر الحديث مما يؤخذ من مظانه الكثيرة وقد امتازت هذه القصة على تسلسل حوادثها وكثرة فنونها ، وتنوع فصولها بالايجاز وقد ألمعنا اليه فيما تقدم ونزيده بسطاً هنا فنقول :

١ ـ تقسيم الايجاز :

يأتي الايجاز على قسمين :

١ ـ قسم طويل ، ٢ ـ وقسم قصير •

والطويل : طوله بالنسبة للقصير منه لا لغيره من الكلام كما جاءت قصص القرآن كلها وأحسن ما جاء منها في هذا الباب قصة يوسف فإنها جاءت على الطريقتين في سورة واحدة من قوله : « نحن نقص

عليك أحسن القصص » إلى قوله : « وخروا له سجداً » وجاءت على الطريقة المختصرة في قوله علـى لسان يوسف : « يا أبت هـذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي » فذكر تعالى القصة أولاً على طريق البسط مفصلة لمن لم يشارك في طريق علمها وذكرها تعالى أخيراً مختصرة ليعلمها مفصلة من لم يكن يعلمها حتى إذا جاءت مجملة علم الاشارات فيهـا وابتدأها بقوله « نحن نقص عليك أحسن القصص » ثم أنهاها بقوله « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » ووجه الاعتبار بقصصهم هو أن هذه القصص انما سجات لحصول العبرة منها ومعرفة الحكمة والمغزى •

٢ ـ اختلاف صيغة اللفظة :

وفي قوله تعالى « لأولي الألباب » فن يطلق عليه القدامى الاسم الآنف الذكر وهو من البيان بمثابة القلب من الانسان وهو يدق إلا على من صفت قرائحهم واستغزرت ملكة الفصاحة فيهم ونعني باختلاف صيغة اللفظة نقلها من هيئة الى هيئة كنقلها من وزن الى وزن آخر أو نقلها من صيغة الاسم الى صيغة الفعل أو بالعكس أو كنقلها من الماضي الى المستقبل أو بالعكس أو من الواحد الى التثنية أو الجمع أو إلى النسب إلى غير ذلك اتتقـل قبحها فصار حسناً وحسنها فصار قبحاً وسنورد أمثلة مترتبة على نسق الترتيب الذي أوردناه فمن نقل اللفظة من صيغة الى أخرى لفظة « خَوْد » عبارة عن المرأة الناعمة وإذا نقلت الى صيغة الفعل قيل خوّد على وزن فعّل ومعناها أسرع يقال : خوّد البعير إذا أسرع فهي على صيغة الاسم حسنة رائعة وإذا جاءت على صيغة الفعل

لم تكن مستحسنة كقول أبي تمام من قصيدة له يمدح فيها أحمد ابن عبد الكريم :

وإلى بني عبد الكريم تواهقت رتك النعام رأى الظلام فخودا

فهي ثقيلة سمجة كما ترى على أن ثقلها وسماجتها يخفان عندما تنقل من الحقيقة الى المجاز كقول رجل من بني أسد :

أقول لنفسي حين خود رألها رويدك لماتشفقي حين مُشْفَق

رويدك حتى تنظري عم ّينجلي غيابة هذا البارق المتألق

والرأل النعام والمراد به هاهنا أن نفسه فرت وفزعت وشبه ذلك باسراع النعام في فراره وفزعه ولما أورده على حكم المجاز خف عنه بعض القبح الذي على لفظة خوّد وهذا يدرك بالذوق السليم ولا ضابط له ولا يخفى ما بين هذه اللفظة في إيرادها هاهنا وإيرادها في بيت أبي تمام فانها وردت في بيت أبي تمام قبيحة سمجة ووردت هنا متوسطة أما نقل الفعل من صيغة الى صيغة فمثاله لفظة « ودع » وهي فعل ماض ثلاثي لا ثقل بها وليست حروفها متنافرة ومع ذلك أحجم العرب عن استعمالها بصيغة الماضي لسماجتها فاذا نقلت الى المستقبل أو الأمر كانت حسنة فصيحة ، أما الأمر فكقوله تعالى « فذرهم يخوضوا ويلعبوا » ولم تأت في القرآن إلا كذلك وأما نقلها الى صيغة المستقبل فكقول أبي الطيب المتنبي :

تشقّكم بقناها كل سلهبة والضرب يأخذ منكم فوق مايدع

فهي هنا غاية في الفصاحة ولهذا أمات العرب ماضي يدع ويذر وقد استسمجوا قول أبي العتاهية مع حسن معناه :

أثروا فلم يدخلوا قبورهم شيئاً من الثروة التي جمعوا
وكان ما قدموا لأنفسهم أعظم نفعاً من الذي ودعوا

أما النقل من الإفراد الى التثنية والجمع فمثاله الآية التي نحن بصددها وذلك ان لفظة « اللب » الذي هو العقل لا لفظة اللب الذي تحت القشر فانها لا تحسن في الاستعمال الا مجموعة وكذلك وردت هنا وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم وقد تستعمل مفردة ولكن شريطة أن تكون مضافة أو مضافاً اليها فأما كونها مضافة فكقول النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر النساء : « ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الحازم من إحداكن يامعشر النساء » وأما كونها مضافاً اليها فكقول جرير :

إن العيون التي في طرفها حورٌ
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن أضعف خلق الله إنسانا

وهذا أمر يكاد يذهل المبين ، اسمع الى كلمة الصوف وهي مفردة تجدها سمجة في الاستعمال وقد استعملها أبو تمام فجاءت غثة وزاد في غثاثتها انها جاءت مجازية في نسبتها الى الزمان حيث يقول :

كانوا برود زمانهم فتصدعوا فكأنما لبس الزمان الصوفا

ولكنها وردت في القرآن الكريم مجموعة فاذا هي مرقصة مطربة قال تعالى « وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم

ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً الى حين » .

ولم يمنع العرب جمع المصادر إلا لهذا السبب والمدار في ذلك على الذوق السليم والجرس الموسيقي الذي لا يكتنه حسنه ولا يوصف وقد استعمل عنترة المصدر مجموعاً فجاء سمجاً مرذولاً قال :

فإن يبرأ فلم أنفث عليه وإن يُفقَد فحقّ له الفقود

فقوله الفقود جمع مصدر من قولك فقد يفقد فقداً ، واستعمال مثل هذه اللفظة غير سائغ وهذا كله مرده الذوق السليم ويرحم الله فولتير القائل « ذوقك أستاذك » .

وما دمنا قد وصلنا الى هذه المرحلة من التحليل الأدبي فلا بد لنا من أن نشير الى كتاب رائع هو « معاني القرآن للفراء » ومنهج الكتاب يقوم على الأمور التالية :

ينهج الكتاب نهجاً مبتكراً فهو يتعرض لآيات كل سورة بالترتيب فلا يقتصر على الغريب بل يتجاوزه الى إيضاح الجانب النحوي والاعراب في الآية وينتهي الى النظرية العامة فيبين قواعدها وأصولها وأدلتها وأسبابها ومسبباتها ثم يتكلم عن التشبيه والمثل والكناية والمجاز بصورة عامة ثم يتناول الاستعارة أحد قسمي المجاز والالتفات ، على أن الجديد كل الجدة في كتاب الفراء انه لاحظ النسق الصوتي ، والترابط بين الكلمات وانسجام النغم وتوافق الفواصل في آخر الآيات فيجيز حذف أواخر الكلمات موافقة لرؤوس الآيات مع موافقة ذلك لكلام العرب مثل قوله عز وجل : « والليل إذا يسر » وقد قرأ القراء يسري بإثبات

الياء ويسر بحذفها وحذفها أحب إليّ لمشاكلتها لرؤوس الآيات والعرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها أنشدني :

كفـــاك كف ما تليق درهمـــاً

جوداً وأخرى تعط بالسيف الـدما

وأنشدني الآخر :

ليس يخفي يسارتي قدر يوم ولقــد يخف شيمتي إعساري

وقوله « بطغواها » أراد بطغيانها إلا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات فاختير لذلك ، ألا ترى أنه قال : « وآخر دعواهم أن الحمد لله » ومعناه آخر دعائهم وكذلك « دعواهم فيها سبحانك اللهم » دعواهم فيها هذا ، « وما قلى » يريد ما قلاك فألقيت الكاف كما تقول : قــد أعطيتك وأحسنت ، معنـــاه وأحسنت اليك فيكتفى بالياء الاولى من إعادة الأخرى ولأن رؤوس الآيات بالياء فاجتمـــع ذلك فيه » الى أن يقول الفراء : لله وقوله عز وجل فأغنى فآوى يريد به فأغناك وآواك جرى على طرح الياء لمشاكلة رؤوس الآيات » .

ويجيز الفراء في كتابه الممتع « معاني القرآن » إضافة المصدر الى صاحبه مثل مافي قوله تعـــالى « إذا زلزلت الأرض زلزالها » قـــال : « فأضيف المصدر الى صاحبه وأنت قائل في الكلام : لأعطينك عطيتك وأنت تريـــد عطية وكان قربه من الجواز موافقـــة رءوس الآيات التي جاء بعدها » .

وعلى هذا النحو وضع الفراء أمامنا قواعد عامة للتغيرات التي يمكن أن تطرأ على الكلمات والتي قد يعمد اليها القرآن أحياناً للتوافق الموسيقي في نظمه ، وصلة تلك التغييرات بما يطرأ على القافية في الشعر لإقامة الوزن ولا يفتأ الفراء يشير الى أن القرآن في عدوله عن لفظ الى آخر أو تعديله الألفاظ لايخرج عن أساليب العرب وفنون القول عندهم، وخاصة في الشعر وهو الكلام الموزون الذي يشابه مافي نظمه من توافق وانسجام ما يراعيه أسلوب القرآن ، هذا وسيرد من كتاب الفراء في مواضع متفرقة من هذا الكتاب ما تميز به هذا السفر الجليل في مواضع متعددة من البيان .

ويرى الجاحظ في كتابه « نظم القرآن » الذي ألفه للفتح بن خاقان وزير المتوكل على الله الذي لم يطبع ـ مع الأسف ـ بل فقد مع ما فقد من الكتب في محنة بغداد التي أوقعها بها هولاكو ولم تقع إلا نبذ منه مبثوثة في كتب الجاحظ المطبوعة الأخرى ، يرى أن التنزيل قد أولى اللفظ عناية خاصة فاختاره بدقة ليدل على المعاني بدقة وقد يشترك لفظان في المعنى لكن أحدهما أدق من الآخر في الدلالة عليه ، ولنظم القرآن براعته في تنزيل اللفظ منزلته في الموضع الذي أريد له ويمتاز بروعته أيضاً في الاختيار ومراعاة الفروق بين الألفاظ فلا يأتي بالألفاظ المترادفة دالاً على معنى واحد إنما للدلالة على معان مختلفة وبقدر الدقة في إصابة المعنى يكون الفرق بين ألفاظ الناس في كلامهم وألفاظ القرآن ويقول في هذا الصدد : « وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ألا ترى أن الله تعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة وكذلك

ذكر المطر لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في مواضع الانتقام والأمة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث ولفظ القرآن الذي عليه نزل انه إذا ذكر الابصار لم يقل الاسماع واذا ذكر سبع سموات لم يقل أرضين ألا ترى أنه لا تجمع الأرض على أرضين ولا السمع اسماعاً ، والجاري على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الألفاظ إلا ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال وقد زعم بعض القراء انه لم يرد ذكر النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج » .

وتعرض الجاحظ لما جرى عليه نظم القرآن من نغم وموسيقى ووزن خاص رتيب مكون من وحدات مترابطة منسجمة ، وكم كنا تتمنى لو بقي هذا الكتاب لنستمتع بما فيه من أبحاث ولكننا سنحاول جمع ما تفرق منه في هذا الكتاب فقد تصدى لوزن القرآن وتكلم كثيراً لينفي عنه وزن الشعر يقول في هذا الصدد « ويدخل على من طعن في قوله تعالى « تبت يدا أبي لهب وتب » وزعم انه شعر لأنه في تقدير مستفعلن مفاعلن فيقال له : اعلم انك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن مستفعلن كثيراً ومستفعلن فاعلن وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً ولو أن رجلاً من الباعة صاح : من يشتري باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصد الى الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام وإذا جاء المقدار الذي يعلم انه من نتاج الشعر والمعرفة بالاوزان والقصد اليها كان ذلك شعراً وهذا قريب والجواب فيه سهل والحمد لله » .

ويرى ابن قتيبة في كتابه « مشكل القرآن » ان النغم الموسيقي والنظم والتوقيع الداخلي في الآيات هي احدى الخصائص التي يقوم

عليها إعجاز القرآن فهو حلو النغم ، رتيب الوقع ، حبيب الجرس الى النفوس لا تمله الآذان لما ينساب في عباراته وخلال لفظه من الموسيقى الخافتة ولا تتعثر فيه الألسنة لسلاستها وفيهذا الصدد يقول ابن قتيبة: « وجعله متلواً علي طول التلاوة ومسموعاً لا تمجه الآذان ، وغضاً لا يخلق على كثرة الرد » .

ونختم هذا المبحث ، على أن نعود اليه في مكان آخر بكلمة وردت في القرآن جميلة جداً ووردت في الشعر فكانت باردة وهي كلمة يؤذي فقد قال أبو الطيب :

تلذ له المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يلذ له الغرام

وهذا البيت جميل شريف المعنى إلا أن لفظة يؤذي قد جاءت فيه غثة باردة بينما وردت في القرآن بالغة الروعة بادية الكمال وذلك في قوله تعالى : « فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق » ويبدو لنا أنها وردت في بيت أبي الطيب منقطعة ، ألا ترى أنه قال : « تلذ له المروءة وهي تؤذي » ثم قال : « ومن يعشق يلذ له الغرام » فجاء بكلام مستأنف وهذا باب طويل المدار في سبر غوره واكتناه حسنه على الذوق السليم والطبع الرهيف .

هذا ولا مندوحة عن الاشارة الى أن أكثر القصص التي وردت في القرآن الكريم من قصص الأنبياء في جهادهم لتبليغ رسالتهم ونشر دعوتهم ومقاومة خصومهم من ذوي السلطان الذين أنكروهم وحالوا بينهم وبين هداية أقوامهم .

وإذا روجعت قصص القرآن الكريم مراجعة دقيقة تبيّن للناظر في مضامينها ان عبرتها الأولى دروس ينتفع بها الهداة ودعاة الاصلاح إذ كان من فرائض الاسلام الاجتماعية أن يندب من الأمة طائفة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر •

من تلك الدروس أن الجهلاء ينقادون للأمر والسطوة ولا ينقادون للحجة والدليل ويريدون من صاحب الدعوة كما جاء في قصة نوح أن يكون ملكاً أو تكون عنده خزائن الله ويقولون له : « قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين » •

ومن تلك الدروس أن أصحاب السادة في الأمة يكرهون التغيير ويتشبثون بالقديم ، ويأخذون على النبي أن يتبعه أناس من غير ذوي السيادة والجاه « وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادىء الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كذبين » •

ومن تلك الدروس أن الجمود على التقاليد الموروثة أكبر آفات العقل البشري لأنها تعطل تفكيره وتتركه في حكم الآلة التي تسير على نهج واحد في آثار الآباء والأجداد مع اختلاف الزمن وتبدل الأحوال •

على أن في القرآن الكريم قصصاً شتى من غير قصص الدعوة أو قصص الجهاد في تبليغ الرسالة ولكنها تراد كذلك لعبرتها ولا تراد لأخبارها التاريخية ، ومنها قصة يوسف التي نحن بصددها فهي قصة إنسان قد تمرس من طفولته بآفات الطبائع البشرية من حسد الأخوة إلى غواية المرأة الى ظلم السجن الى تكاليف الولاية وتدبير المصالح في إبان الشدة والمجاعة •